الردُّ الإسلاميُّ الممتاز على فيصل بن قزَّاز

الفقير إلى الله الإمام الرباني غفر الله له ولجميع المسلمين والمسلمات

شبكة صوفية حضرموت

الإصدار الثاني

الفهرس التفصيلي لأبحاث الرسالة

- استنكر الناقد أن يكون نفي الكيفية المراد به زجر السائل عن البحث والتقصي

- قام الناقد بتأويل النسيان بالترك وزعم أن هذا هو ظاهر النص

- زعم الناقد أن الحارث المحاسبي لم يصنف آيات الصفات ضمن زمرة المتشابهات

- زعم الناقد أن ما نقله المؤلفان عن الإمام أحمد من طريق الإمام التميمي ليس من كلامه

- زعم الناقد جواز السؤال عن الله بـ ((أين))

- زعم الناقد أن كلام الله عبارة عن حروف وأصوات

- زعم الناقد أن السادة الأشاعرة يتحيلون ويلبسون للقول بخلق القرآن

- شبهة المرحلة الثالثة للإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله

- إشكالية حول علم الكلام

* **ثالثاً** : المؤلفات التي اتكأ عليها الناقد في استدلالاته ولا تقوم بها حجة

- الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي

- شرح السنة المنسوب للبربهاري

- السنة لابن أبي عاصم

- رسال الرد على الجهمية والزنادقة – رسالة الاصطخري المنسوبتين للإمام أحمد

- شرح السنة للمزني

- الرد على المريسي لعثمان الدارمي

- التوحيد لابن خزيمة

- الاعتقاد القادري للقصاب

- الإبانة لابن بطة العكبري

- الرد على الجهمية - التوحيد لابن منده

- أصول السنة لابن أبي زمنين

- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للحصار القبري

- رسالة السنة ليحيى بن عمار السجستاني

- رسالة السجزي إلى أهل زبيد

- الاعتقاد - إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى

- رسالة الإيماء إلى مسألة الاستواء لأبو بكر الحضرمي

- الإيضاح في أصول الدين لابن الزاغوني

- الغنية للقطب الرباني عبد القادر الجيلاني

- رحلة ابن شيخ الحزاميين

- العلو للعلي الغفار للذهبي

- السنة للخلال

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة

- اعتقاد السنة لأبي بكر الاسماعيلي

- ذم الكلام وأهله لأبو اسماعيل الهروي الأنصاري

- السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد بن حنبل

- رسالة إلى مسدد

- الشريعة للآجري

- مناهج الأدلة في الرد على الأصوليين لابن رشد الحفيد

– شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي

– الصفات للدارقطني

* **رابعاً** : الأسانيد والأقوال الواهية التي استدل بها

– أثر ربيعة الجرشي (ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء)

– أثر خالد بن معدان (إن الله عز وجل لم يمس بيده إلا ...)

– أثر عكرمة البربري (إن الله عز وجل لم يمس بيده إلا ثلاثاً ...)

– أثر حكيم بن جابر (إن الله تبارك وتعالى لم يمس بيده من خلقه سوى ثلاثة أشياء)

– أثر عبد العزيز الماجشون (فوالله ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم) وأثر (سئل عما جحدت به الجهمية .....)

– نصّ مدسوس على الإمام القرطبي

– أثر أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الهروي (... ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه ؟ كيف ضحك ؟ قلنا : لا يفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره)

– كتاب الحيدة المنسوب إلى عبد العزيز الكناني

– نصّ حرب الكرماني في الأسماء والصفات

– أثر أبو اسحاق ابن شاقلا عند مناظرته لأبي سليمان الدمشقي أحد أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب : (... لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لها معنى عنده غير ظاهرها لبيّنه ...)

– أثر إسحاق بن راهويه : (علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة)

– أثر اسحاق بن راهويه (... إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة)

- أثر اسحاق بن راهويه (إذاً أنت لا تؤمن بأن لك في السماء رباً)

- أثر قتيبة بن سعيد (هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة : نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه)

- أثر ابن أبي حاتم نقلاً عن أبو حاتم وأبو زرعة الرازي قولهما (... وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله)

- أثر أبو نعيم الأصبهاني (وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية)

- حكاية مكذوبة على إمام الحرمين

- أثر سليمان بن طرخان التيمي (الله في السماء)

- أثر وائل بن داود التيمي عن كلام الله (مشافهة مراراً)

* **خامساً** : استدلالات لا حجة فيها

- أثر عمر (إنما الأمر هاهنا ، وأشار بيده إلى السماء)

- أثر ابن عباس (أشار بيده إلى عينيه عند قوله تعالى "تجري بأعيننا")

- أثر زين العابدين علي بن الحسين (إن الصدقة تقع في يد الله)

- أثر حماد بن زيد لما سُئل عن النزول قال (حق كل ذلك كيف شاء الله) وكذلك أثر (مثل الجهمية...) وكذلك أثر (فلا رب لكم)

- أثر الفضيل بن عياض (... قال الجهمي : أنا أكفر برب يزول من مكانه ، فقل : أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء)

- أثر يحيى بن معين (إذا قال الجهمي : أنا أكفر برب ينزل ، فقل له : أنا أؤمن برب يفعل ما يريد)

- أثر الشافعي (لله تبارك وتعالى أسماء وصفات ...)

- نصّ مبتور من كلام الإمام أحمد

- نصّ الإمام الترمذي في الصفات (... ولا يتوهم ، ولا يقال كيف ؟ ...)

- نصّ اللغوي أبو منصور الأزهري (فنحن نؤمن بها ولا نكيف صفتها)

- نصّ الإمام محمد بن خفيف (لا تدخل أوصافة تحت التكييف والتشبيه ...... واسم الكيفية عن ذلك ساقط)

- نصّ الإمام الكلاباذي (أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة موصوف بها .....)

- ما نقله الناقد من قول القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي في شرح رسالة القيرواني

- نصّ الإمام ابن عبد البر في التمهيد (حق الكلام أن يحمل على حقيقته ..... والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه)

- نصّ الإمام القاري (فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام)

- نقل مزوّر من وصية الإمام أبي حنيفة

- نصّ الإمام وكيع (ولا نقول فيها : مثل كذا ، ولا : كيف كذا)

- نصّ الإمام سفيان بن عيينة (... فقراءته تفسيره ولا كيف ولا مثل)

- أثر الإمام يحيى بن معين في النزول (صدق به ولا تصفه)

- أثر حماد بن سلمة (من رأيتموه ينكر هذا – أي النزول – فاتهموه)

- قول الإمام الترمذي (فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسّر أهل العلم ..... وقالوا إن معنى اليد هاهنا القوة)

- أثر الإمام سهل التستري (... وإنما على المؤمن الرضى والتسليم لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنه على عرشه)

- أثر ابن سريج (... اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن ...)

- أثر الإمام الأوزاعي (إن الله تعالى فوق العرش ونؤمن بما وردت السنة من صفاته)

- أثر سعيد بن عامر الضبعي (... قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله فوق العرش وقالوا هو ليس عليه شيء)

- نصّ الإمام ابن قدامة (إن الله وصف نفسه بالعلو في السماء)

- قول أبو البيان السلمي عند استدلال أهل التنزيه ببيت شعر للأخطل (إيش هذا الأخطل نصراني)

- تحوير لنصّ الإمام البخاري

* **سادساً** : التأويلات السلفية التي عارضها

- تلخيص أساليب الناقد في رده لتأويلات السلف الصالح

- كلام عجيب للإمام ابن تيمية في نفي وقوع المجاز في الكتاب والسنة

- أقوال أهل العلم في الحقيقة والمجاز

- إثبات المجاز في الكتاب والسنة بالأدلة وأقوال أهل العلم

- نقده للتأويلات التي وردت عن السلف الصالح

= تأويل ابن عباس للكرسي بالعلم

= تأويل ابن عباس والتابعي الحسن البصري للمجيء بمجيء أمره وقضائه

= تأويل ابن عباس "بأعيننا" بمرأى منا - نرى ما يعمل بك

= تأويل ابن عباس الأيد بالقوة والقدرة

= تأويل ابن عباس للنور بالهداية

= تأويل ابن عباس للوجه بالذات

= تأويل ابن عباس للساق بالكرب الشديد

= تأويل مجاهد والشافعي للوجه بالقبلة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغرِّ المحجلين وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ... وبعد ...

مقدمة الإصدار الثاني

هذا إصدارٌ خاصٌّ ذو تنضيد جديد للرسالة القديمة التي كتبتها رداً على كتاب (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) للأستاذ الدكتور فيصل بن قزاز الجاسم هدانا الله وإياه

وأحب أن أنتهز فرصة ظهور هذا الإصدار فأقول :

إن بيان الحق بالمنطق العلمي والأسلوب المترفِّع عن التجريح وقصد الإساءة إلى الآخرين هو ما ينبغي على كل باحث أن يقوم به قدر جهده ، وهو داخل في صميم قول الباري عز وجل (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آل عمران ١٠٤

وأما تحويل هذا البيان إلى سلسلة من الخصام والردود المتلاحقة والاستعانة بالثلب والملاسنات الجارحة ، فذاك هو المراء الذي نُهينا عنه

واحتمال الإساءة والتنزُّل عن علياء النقاش العلمي إلى غمز الآخرين أو لمزهم ، فقد طهَّرت رسالتي منه فيما لمسْتُ ذلك فيها أو حسبته على ذاك النحو

فأسأل الله عز وجل أن يعافيني من الخوض فيه أو الانزلاق في وِحَاله ، كما وأسأل العليَّ القدير أن يطهِّر ظواهرنا وبواطننا وأن يغفر لنا ولِمَن سبقنا في الإيمان وألا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا بجاه حبيبه المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله

فبيان الحق ضمن حدود الإطار الرباني والمنطلقات الإلهية التي لا بُدَّ منها لإيضاحه من أهم عوامل جمع الكلمة ولمِّ الشتات وترسيخ عوامل الوعي السليم ، وهذا ما أحسب نفسي أني قد قمْتُ به. والله الموفق

مدخل إلى الجذور :

لقد كان الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم جملة واحدة لا فصول لها ، وكان ما يُسمَّى في الأزمنة المتأخرة بـ (العقيدة) لا يعدو أركان الإيمان المعروفة ، وإنما كان يؤمن بها الصحابة رضوان الله عليهم على وجه الإجمال لا مجال للتفصيلات المحيّرة المستحدثة زمن الصراعات الكلامية ، فكان الأعرابي إذا وفد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم علّمه الإسلام بتعريفات يسيرة ثم يعود لموطنه مسلماً لا يشكُّ أحدٌ في إيمانه

ونتيجة للصراعات السياسية والمذهبية تضخَّمت العقيدة وتوسَّعت مسائلها ، وأخذ المتناحرون بكيل الاتهامات تبديعاً وتكفيراً وإحلالاً للدم ، فخرجت العقيدة عن وظيفتها التي كان ينبغي أن تؤدّى من عبادة الله وحده وطاعته والاعتصام بحبل الله والتعاون على البر والتقوى إلى عمل فكري يورث القلوب قسوة وشكوكاً وأحقاداً

ولا حرج أن يقوم المسلم بنقد أخطاء المسلمين لأن الإسلام غير المسلمين ، ومن ذلك أن يقوم سني بنقد أخطاء أهل السنة لأن السنة غير أهل السنة

ويحفظ لهذا ما ردَّ به الإمام أحمد بن حنبل على أحد أتباعه – وهو يواجهه بأن قوله مخالف لقول الإمام الزاهد عبد الله بن المبارك – قائلاً : (إن ابن المبارك لم ينزل من السماء إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق) مناقب أحمد لابن الجوزي ص١٨٧

بعبارة أخرى : إن الرد على المخالف ليس فيه فتح لأبواب الفتن والجدل والخصومات بل إن فيه زيادة على تفهُّم المخالف وتبيّن حجته أكثر فأكثر اللهم إن كان هذا الردُّ مصاحباً بعبارات التكفير وإحلال الدم

فيجب على علماء المسلمين قاطبة أن يفرقوا بين النقد الذي يراد به تبرئة الإسلام من أخطاء البشر ، والنقد الذي يراد به فصل الدين عن العلم والأخلاق والتشريع ؛ فالأول واجب شرعاً والثاني محرَّم شرعاً

وتجدر الإشارة إلى أن الانتماء لمذهب معين بقصد التفاخر فيه مع انتقاص مخالفيه هو انتماء بدعي جاهلي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – كما في قصة غزوة المريسيع – قائلاً : (دعوها فإنها منتنة)

أما الانتماء الذي لا يلزم منه ما ذكرنا فليس فيه محذور قط ، لأنه نقلٌ عن حقيقة الواقع ، وهو أشبه بالانتماء القبلي والذي يعرِفُ فيه الفرد أن قبيلته كسائر القبائل فيها الخير والشر والحق والباطل

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) :

(انظر كيف يتحمل مثل البخاري عن أعلام الشيعة والمعتزلة والمرجئة والخوارج ، ويجعل حديثهم حجة ومرويهم سنة ويفخر بذكر أسمائهم في أسانيده ويخلد لهم أجمل الذكر في أشرف مصنف ، انظرهذا وقابل بينه وبين جمود المتأخرين ورميهم علماء الفرق بالفسق والابتداع والضلال وهجرهم لعلومهم وصد الناس عنهم حتى فات الناس – واآسفا – علم جم وخير كثير)

الجرح والتعديل ص٢٢

فالحقيقة المطلقة هي الإسلام لا المذهبية كونه الانتماء الذي لا مسلك لنقد أجزائه وهو الذي يجب أن نؤمن أنه الحق كله والخير كله وأن به فلاحنا دنيا وآخرة ، أما المذاهب فهي مبنية على اجتهادات بشرية من نصوص الكتاب والسنة تتحرّى الحق فيهما يطرأ عليها الصواب والخطأ

وما أحوج هذه المذاهب الإسلامية اليوم – بلا استثناء – لقيام عقلاء منهم يذمون المنكر الموجود داخل مذهبهم يقولون الحق على أنفسهم ويوجّهون لأنفسهم لسان النقد بأن فينا من الطامات ما لا سبيل لإنكاره أو الذود عنه ولا مناص من تصحيحه

فبهذا الإنصاف المبني على نقد الذات والشهادة على الأنفس (شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ) ما يجعل للتواضع والإنصاف مدخلاً يسري في المناكب لتذليل المواقف المتعصبة من كافة الأطراف

(وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) الفرقان ٢٠

وآسف في الاعتراف بأن كثيراً من جهودنا وطاقتنا – وما أبرئ نفسي – مهدورة في أمور ثانوية وقضايا أكل الزمان عليها وشرب من ناحية ، وترك الأمور بالغة الأهمية تحت ذريعة ألا وجود لها ولا ضرر ناجم عنها من ناحية أخرى

فيخرِّج شخصٌ مؤلفاً فيه الدفاع عن آل البيت عليهم السلام في يوم ... ليصبح في اليوم الثاني شيعياً رافضياً جهمياً معطلاً ابن متعة عابداً للقبور والأموات

ويخرِّج آخر كتاباً فيه الدفاع عن الصحابة رضوان الله عليهم في يوم ... ليصبح في اليوم الثاني وهابياً ناصبياً حشوياً مجسماً ماسونياً عابداً للأجسام والجهات

والغريب أن هؤلاء هم أنفسهم من يدعون إلى الحوار بين الأديان !

فتأمل كيف يطعنون بين بعضهم في حواراتهم المذهبية التي ظاهرها حوار تحت سقف البيت الإسلامي الواحد ثم يدعون إلى الإخاء والمحبة مع تيارات الإلحاد المعاصرة التي لا تجتمع معهم في منهج

ويغيب عن عقولهم أن المبتدع المسلم – من وجهة نظرنا – يجب أن نحفظ له حق الإسلام كونه مؤدٍ للشعائر الإسلامية كما أنه من أهل القبلة ، فلا يجوز أن نساويه بالمشرك الخارج عن ملة الإسلام ، كما قال الإمام ابن القيم – عفا الله عنه وغفر له ورحمه – :

(لكن أخو التعطيل شرٌّ من أخي ال ** إشراك بالمعقول والبرهان

إن المعطل جاحد للذات أو ** لكمالها هذان تعطيلان

والمشركون أخفُّ في كفرانهم ** وكلاهما من شيعة الشيطان)

شرح نونية ابن القيم ١ / ٢٧

فهذا تكفير واضح لجمهور المسلمين الذين يفوِّضون ويؤولون الصفات والذين يسميهم ابن القيم معطلة ، ولهم حججهم في هذا كما لابن القيم حججه ، وكما يرميهم ابن القيم بالكفر فقد بالغ خصومه في ذمِّه ، فألَّف الإمام تقي الدين السبكي – عفا الله عنه وغفر له ورحمه – السيف الصقيل ، وفيه بالغ في معالجة الخطأ بالخطأ وردِّ الظلم بالظلم ، وتابعه على ذلك العلامة محمد زاهد الكوثري – عفا الله عنه وغفر له ورحمه – ، فغضب الحنابلة لهذا وطعنوا بالعلامة الكوثري ، وما زالت المعركة مستعرة ، ولو أنهم حكَّموا الكتاب والسنة في خلافهم مع تواضع وترحُّم على علمائهم لتذلَّلت كثير من الخلافات

كلا !! أبداً !! فمع الرد على البدعة ينبغي الردُّ بأسلوب سديد فيه من الاحتواء للمخالف بعين المحبة لهدايته والحرص على توجيهه للصراط الحميد لا بأسلوب الطعن ورميه ببدعته ، كما لا نجعل البدع على مستوى واحد فنستعدي كل من عنده أدنى مخالفة

روى الإمام الترمذي في سننه ٢٠٧٥ قال : حدثنا أبو هشام الرفاعي محمد بن يزيد حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا تكونوا إمَّعة تقولون إن أحسن الناس أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تُحسِنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

لقد آن الأوان أن نخلع عن أعيننا هذه الغشاوة ولنرى أنفسنا في الميدان كيف تضحك الأمم ملء بطنها إبان انتشار عدوى الدجل بين المسلمين بشكل هندسي بديع ، وعلى هذا ينبغي أن يكون لدينا نظرة استشرافية للمستقبل نطمح من خلالها لكسب ثقة الشباب لمواجهة الإلحاد القادم في التنصير والعلمنة وإبطال النبوات والمعجزات. والله المستعان

خطورة مقالة التشبيه :

لا يخفى على أحد خطر مقالة التشبيه كونها مقالة أساسها أخبار منكرة متشابهة وشبهات واهية باردة في مقابلة نصوص محكمة متواترة. لكنَّ خطر هذه المقالة يظهر في دأب معتنقها الذي يختار الكمون والإسرار حال وجود العلماء وقوة السلطان السياسي في دولة الإسلام ، ثم إذا غاب دور العلماء وضعُفت سلطة الإسلام وجد الخائضون في المتشابه متنفَّساً لاتباع المتشابه وأحسنوا استغلال هذا الضعف للمجاهرة بخوضهم بين العوام الذين يغترُّون بظهور الزهد والنسك ورفع شعارات البراءة من الفلسفة وعلم الكلام ، فيتترس الخائضون بالعوام الغيورين على ما يعتقدونه ديناً ، ويُستغَل العوام باسم محاربة البدعة في إثارة الفتن والتسلطِ على علماء الأمة بما يقدرون عليه من الأذى

ويحفظ التاريخ أن ظهور هذه المقالة مقرون بضعف حال المسلمين ، وأن ظهور المسلمين على أعدائهم يقترن بظهور التنزيه ، وليس أدل على ذلك من أن الملك نور الدين زنكي بلغه أن إنساناً بدمشق أظهر شيئاً من التشبيه وغلَّفه بشيء من الزهد والنسك ، وقد كثر حوله الأتباع من العوام فأحضره وأركبه حماراً وأمر بصفعه فطيف به في البلاد جميعها ونودي عليه هذا جزاء من أظهر في الدين البدع ، وما زال الناصر صلاح الدين فاتحُ بيت المقدس ناصراً للتوحيد وقامعاً جميع أهل البدع ، يدني أهل التنزيه ويقصي أهل التشبيه

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ١ / ٥٠ و ٤ / ٣٨٠

فوصف الباري سبحانه وتعالى بشيء من أوصاف الأجسام المادية أمر استنكف منه العقلاء وأصحاب الفطر السليمة ، والكلام في مقالة التشبيه نفياً وإثباتاً نبت من الكلام فيما تشابه من نصوص القرآن والسنة ، فلما خاض قوم في المتشابه خوضاً أثبتوا فيه وصف الباري بلوازم الأجسام وخواصها ، قام أهل السنة بدفع البدعة ونقض الشبهة وبيّنوا ما أوصل إليه الخوض في المتشابه من التحريف والفتنة ، وأقاموا القواطع العقلية والنقلية التي تنزِّه الباري سبحانه عن الجسدية ولوازمها

والصراع في هذه المقالة صراعٌ قديم يدور بين عقلٍ صحيح مؤيد بنقل صريح وبين حسٍ يتشوَّف ووهمٍ يتطلع إلى وصف الباري سبحانه بأحكام المحسوسات من الأجساد ، هذا الصراع الذي قطع فيه العقل والنقل بتنزيه الله عن الجسدية ولوازمها ، ثم تفاوتت النفوس البشرية في هجر العقل والإذعان لحكم الحس والوهم

ومن الخطأ أن نعتقد أن المنزهين استفتحوا الكلام في نفي التشبيه قبل أن يحوِّم مخالفوهم حول حمى التشبيه ، ومن الخطأ أيضاً أن نطالب بالسكوت عن النفي بعد الغرق في الإثبات

قال الله جل جلاله : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آل عمران ١٠٤

قال الإمام ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) :

(...ولم أرَ أقل عذراً ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هذه الفتنة ، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمور ووقوع الشحناء ، وليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار ، ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم ، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب ..... وأما قولهم هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها فلا تتكلفوها فإنما يفزع الناس إلى العالم في البدعة لا فيما جرت فيه السنة وتكلم فيه الأوائل ، والكلام لا يُعارض بالسكوت والشك لا يداوى بالوقوف والبدعة لا تُدفع بالسنة ، وإنما يقوي الباطل أن تبصره وتمسك عنه ..... فإن قيل إن الثوري وابن عيينة وابن المبارك وأشباههم لم يقفوا قلنا لكل زمان رجال ...)

الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٤٧ – ٥١

وقال الإمام أبو القاسم اللالكائي (٤١٨هـ) :

(فما جنى على المسلمين جناية أعظم مِنْ مُناظرة المبتدعة ، ولم يكن لهم قهر ولا ذلّ أعظم ممَّا تركهم السَّلف على تلك الجملة يموتون مِنْ الغيظ كمداً ودرداً ، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً ، حتَّىٰ جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً ، وصاروا لهم إلىٰ هلاك الإسلام دليلاً ، حتَّىٰ كثرت بينهم المشاجرة ، وظهرت دعوتهم بالمناظرة ، وطرقت أسماع مَنْ لم يكن عرفها مِن الخاصَّة والعامَّة ، حتَّى تقابلت الشُّبه في الحجج ، وبلغوا من

التَّدقيق في اللّجج ، فصاروا أقراناً وأخداناً ، وعلىٰ المداهنة خلّاناً وإخواناً ، بعد أنْ كانوا في الله أعداءً وأضداداً ، وفي الهجرة في الله أعواناً ، يكفِّرونهم في وجوههم عياناً ، ويلعنونهم جهاراً ، وشتَّان ما بين المنزلتين ، وهيهات ما بين المقامين

نسأل الله أنْ يحفظنا مِن الفتنة في أدياننا ، وأنْ يمسكنا بالإسلام والسُّنَّة ، ويعصمنا بهما بفضله ورحمته)

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ١٩ - ٢٠

والمطَّلع يعلم أن غلاة الحنابلة قد توسَّعوا في استدلالاتهم وأجازوا الاستشهاد بكتب اليهود والنصارى وعلمائهم ، ولذلك نجد كثيراً من آرائهم مروية من طريق كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام ونوف البكالي.

وغلاة الحنابلة مقلِّدون في التشبيه لا مبتدئين به إذ قد قال به متقدمون عليهم زمنياً أمثال المغيرة بن سعيد وبعض متقدمي الشيعة أمثال هشام بن الحكم أو معاصرون لهم كالكرامية أتباع محمد بن كرام السجزي ، فغلاة الحنابلة جمعوا ما تفرَّق من أقوال مَن سبقهم في التشبيه وزادوا عليه ونشروه ، فارتبط اسم الحنابلة بالنصب والتشبيه والعنف وإحداث الفتن بين الفرق والحقد وإلغاء المخالف بتكفيره أو تبديعه أو تصفيته

كل ذلك مسطور في الكامل لابن الأثير الجزري أعوام ٣١٠ - ٣١٧ - ٣٢٣ - ٣٢٩ - ٤٤٧ - ٤٦٩ - ٤٧٥ - ٤٨٨ - ٥٦٧ - ٥٩٦

ونعني بنفي الشبيه : أي لا يشبهه شيء في الصفات ؛ لأن صفاته من العلم والقدرة وغير ذلك ، أعلى وأجل مما في المخلوقات. فإنَّ عِلمَنا عرضٌ ومحدثٌ وقاصرٌ ومستفادٌ من الغير ، وعلمُه تعالى قديمٌ كاملٌ ذاتيٌّ. وكذا الحال في سائر الصفات

شرح العقائد العضدية ص٨٨ رقم ١٦٣

وهم عند قول الباري جل جلاله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) طه ٥ ، يفسِّرون ذلك أن الله فعل فعلاً في ذاته على العرش ، فيعتقدون أن الله جالس أو قاعد أو مستقر على العرش ، وهذه ألفاظ شاذة منكرة مخالفة لقاعدة (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى ١١

ورغم ذلك يدَّعون أنهم يصفون الله بما وصف نفسه ، وهذه دعوى غير صحيحة على التحقيق ، بل هم يزيدون ألفاظاً كلامية بدعية مثل (الجهة – الجسم – الحد – الحركة – المكان العدمي – حلول الحوادث في الذات الإلهية) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فصفات الله توقيفية من الشارع جل جلاله ، وهذه الألفاظ لم يرد بها نصٌ ، وعلى هذا فهي ألفاظ بدعية ينبغي أن تنفى بعد ظهورها واشتهارها

وقد جرى السلف الصالح على الإيمان بنصوص الصفات وعدم الخوض فيها وتفويض معانيها إلى قائلها كما قال الإمام سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) : (تفسيرها تلاوتها)

وثبت عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ) صاحب أبي حنيفة أنه قال : (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسَّر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، بل أفتوا بما في الكتاب والسنة ، ثم سكتوا)

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٤٣٢ رقم ٧٤٠

وسُئِلَ الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد **عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه** فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيفية

السنن الكبرى للبيهقي ٣ / ٤ رقم ٤٦٥٤

تنويه : وفي هذا ردٌّ على من زعم أن نصوص الصفات لا توهم التشبيه

والحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه وتظاهروا باتباع السلف الصالح في مسائل الصفات ؛ فالسلف يقولون بتنزيه الله تنزيهاً إجمالياً بدون خوض في المعنى ولا زيادة على الوارد ولا إبدال ما ورد بما لم يرِد ، والخلف يعيِّنون معنى موافقاً للتنزيه بما ترشدهم استعمالات العرب من دلائل لغوية وقرائن أحوال ، بينما الحشوية يزيدون ألفاظاً

شاذة منكرة ؛ فيقولون جلس الله على العرش ، وأن له ثقلاً على حملة العرش ، وأن له جهة ، وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقعد بجانب الله على العرش وأن نزول الله حركة وتنقل ، وهم أنواع كالكرامية والبربهارية والسالمية

قال الإمام الشهرستاني (٥٤٨هـ) :

(وأما مشبهة الحشوية ؛ فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر وكهمس وأحمد الهجيمي : أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذ بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض

وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوِّز الرؤية في دار الدنيا ، وأن يزوره ويزورهم.

وحكى عن داود الجواربي أنه قال : اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك ، وقال : إنَّ معبوده : جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من : يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين ، ومع ذلك : جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء ، وكذلك سائر الصفات وهو : لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء ، وحكى عنه أنه قال : هو أجوف من أعلاه إلى صدره مصمت ما سوى ذلك وأن له وفرة سوداء وله شعر قطط)

الملل والنحل ١ / ١٢٠ – ١٢١

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) في ملحة الاعتقاد :

(والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان :

أحدهما : لا يتحاشى من إظهار الحشو (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) المجادلة ١٨

والآخر : يتستر بمذهب السلف ؛ لسُحْتٍ يأكله ، أو حطام يأخذه.

أظهروا للناس نسكاً ** وعلى المنقوش داروا

(يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ) النساء ٩١

ومذهب السلف : إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه.

وكذلك جميع المبتدعة : يزعمون أنهم على مذهب السلف ؛ فهم كما قال القائل :

وكلٌ يدعون وصال ليلى ** وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا)

طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٢٢٢

قال العلامة ابن خلدون (٨٠٨هـ) :

(ثم وردت في القرآن آي آخرى قليلة توهم التشبيه ، مرة في الذات وأخرى في الصفات. فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها ، وعلموا استحالة التشبيه. وقضوا بأن الآيات من كلام الله ، فآمنوا بها ولم يتعرَّضوا لمعناها ، ببحث ولا تأويل. وهذا معنى قول الكثير منهم : اقرأوها كما جاءت ، أي آمنوا بأنها من عند الله. ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها ، لجواز أن يكون ابتلاء ، فيجب الوقف والإذعان له. **وشذَّ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات ، وتوغَّلوا في التشبيه : ففريق شبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك ، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق)**

المقدمة ١ / ٢٦٨

قال الإمام محمد بن يوسف السنوسي (٨٩٥هـ) :

(وأما الجهل المركَّب فهو ما ابتُلي به كثير ، فتجدهم يعتقدون الشيء على خلاف ما هو عليه وذلك جهل ، ثم يجهلون أنهم جاهلون وذلك جهل آخر ، ولذلك سُمِّيَ جهلاً مركباً ؛ كاعتقاد الفلاسفة التأثير للأفلاك واعتقادهم قدمها ، وهذه جهالة عظيمة ، ثم هم جاهلون بهذا الجهل منهم (ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) **والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل هو أصل ضلالة الحشوية فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة ...)**

شرح أم البراهين ص٨٢

وفي القرن الرابع الهجري أراد غلاة الحنابلة التحسين من صورتهم فأطلقوا على أنفسهم لقب السلفية

تاريخ المذاهب الإسلامية ص١٧٧ – الإمام محمد أبو زهرة

ولم تقم لهم قائمة حتى اجتهد الإمام ابن تيمية في ترميم هذه المقالة ، وأطال النفس فيها بما لم يسبقه إليه أحد قبله ولم يزد عليه أحد بعده حتى هذه الساعة

ومن هنا برزت الحاجة إلى نقد ما أحدثه الإمام ابن تيمية من الاعتراض ، وما رمَّم به الشبه البالية فتبيَّن أنه بذل جهداً عظيماً واسعاً فلم يزدد بهذا التوسُّع إلا تهويناً لما أحدثه ، فما يعدُّه في موضع مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الأئمة والسلف والعقل يعدُّه في موضع آخر قولاً ظاهراً مؤيداً بما كان مخالفاً له من قبل

وتبيَّن أنه يلزم الإمام ابن تيمية الاعتراف بتمام الأدلة التي اعترض عليها لأنه نصَّ على تمامها إذا تم إثبات تماثل الأجسام فلم ينفعه إنكار تماثل الأجسام لأن تماثلها صار في عصرنا حقيقة علمية حسية

وكتابه بيان تلبيس الجهمية هو المصدر الوحيد الذي اعترض على أدلة التنزيه وهذَّب شبه التشبيه

ولم يُكتب لحملته في عصره نجاحاً كمثل النجاح الذي كُتب لها في العصر الحديث الذي شهد اهتماماً واسعاً بمؤلفاته نشراً وتحقيقاً وتوزيعاً ، وكتبت حول هذه المسألة مئات الرسائل الجامعية بعضها من بعضٍ ماذكره ابن تيمية ، لم يزد فيها الباحثون دليلاً ولا اعتراضاً ولا مقدمة

قال الدكتور صهيب السقار :

(العبر والفوائد التي يجب أن لا تغيب عن الأذهان في دراسة مقالات التجسيم.

أولاً : إن اتباع الكتاب والسنة والسلف شعار يرفعه حتى من خالف قواطع الكتاب والسنة والسلف ، فها هو ابن القدوة الكرامي يزعم أنه آمن بما أنزل وما صحّ ، وهذا مقاتل وشيطان الطاق يزعم كل منهما أنه لم يثبت صورة للرحمن على صورة آدم إلا اتباعاً للأثر.

ثانياً : أن هذا الشعار يُلبَّس بتشنيع مذهب المخالف بنسبته إلى الفلسفة كما فعل ابن القدوة.

ثالثاً : أن مثل هذه المقالات الشنيعة وَقُودها العوام الذين لا يحسنون الاستنباط ويفتقرون إلى الفهم الدقيق ، وربما فتن بهذه المقالة بعض ضعاف الطلبة الذين يتململون من إعمال الفكر فيقتنعون في اعتقادهم بتقليد من

أظهر مخايل الزهد وأطال في النسك وأثر في الوعظ ، ويستدلون بما يظهر من التدين على ما بطن من الدين ، فها هو ابن كرام على شناعة مقالته ينخدع بزهده ووعظه الآلاف.

رابعاً : أن هؤلاء العوام يُستغلون في حماية صاحب هذه المقالة من بطش أهل الحق تارة كما هاب صاحب سجستان قتل ابن كرام واكتفى بنفيه ، وتارة يُستظهر بهم في إيذاء المخالفين وإثارة الفتن كما فعل ابن القدوة.

خامساً : أن المقالة التي بان فسادها لن تعدم من يحاول ترميمها واستئصال ما انكشف من عوارها فيتبرأ المرمِّم مما لايمكن إصلاحه أو يتلاعب بألفاظها ويحملها على معان أخرى غير المعاني التي بان فسادها.

سادساً : أن أكثر الناس تصريحاً بالعقائد الباطلة في هذا الباب يتمسكون بنفي التشبيه وإثبات ما أثبتوه على الوجه اللائق ، فهذا هشام بن الحكم يزعم أنه إنما أثبت جسماً لا كالأجسام. وفي هذه المقالة يقول ابن السبكي :

كذب ابن فاعلة يقول لجهله ** الله جسم ليس كالجسمان

لو كان جسماً كان كالأجسام يا ** مجنون فاصغ وعد عن بهتان

ومن ذلك أيضاً أن مقاتل بن سليمان بعد أن تجرأ على الله عز وجل بإثبات الجسم والصورة والأعضاء والجوارح زعم أنه مع ذلك لا يشبهه شيء ولا يشبه غيره.

وهذه النقاط لا تغيب في عصر من العصور عن فكر الخائضين في وصف الله عز وجل والمتبعين لما تشابه من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)

التجسيم في الفكر الإسلامي ص١٠٣ – ١٠٤

بين يدي رسالة الناقد :

وقع بين يديَّ كتاب نقدي يحاول فيه صاحبه طرد السادة الأشاعرة من حظيرة أهل السنة والجماعة ، وقد كرَّس لهذا مجهوداً كبيراً كما شهد له بذلك من قرَّظ له عمله ، فأخذت أقرأه قراءة تمعن وتدقيق ، فوجدته قد احتوى على أخطاء كثيرة عظيمة ، وما تورَّط به الناقد أمر بديهي إبان عدم تعرُّفه على منهج السادة الأشاعرة من كتبهم وعلى يد أعلامهم كونه مذهب عميق ودقيق المدراك ، بل قد تمكَّن في قلبه أن منهج السادة الأشاعرة مذهب مبتدع خارج عن مذهب أهل السنة ، فأَدَّى به اعتقاده هذا إلى كراهة المذهب الأشعري وكراهة أعلامه ، وتقرَّرت عنده أحكام مُسْبَقَة خاطئة ، فرأى أن من واجبه – وهو يرى نفسه متخصِّصاً في العقيدة – أن ينقُض هذا المذهب المبتدع الذي طبق العالم الإسلامي شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، ويأتيَ على بنيانه من القواعد

ولما حاول القيام بواجبه هذا بكتابة ما كتب ، راجع مجموعة كبيرة من كتب أهل السنة الأشاعرة ونظر فيها نظرات ، ولكنه لم يراجعها لأجل فهم المذهب على وجهه ، بل لأنه قد فهم المذهب من الخارج ولا حاجة له إلى فهمه مرة ثانية من هذه الكتب ، وإنما راجعها ليتصيَّد منها الدلائل على ما تقرَّر عنده مسبقاً

وكان الأحرى به أن يبحث لمعرفة الحقيقة والسعي لقطف ثمارها لا أن يبحث في قضية لم يعد لأحد فرصة لإنكارها فضلاً عن أن يعارك السطور محاولاً تأكيد أفكار تخاصم التاريخ والعقل والواقع معاً

فمن المعاصرين من ملأ الدنيا شغباً على مذهب أهل السنة والجماعة ومسلكَيهم فيما تشابه من الكتاب والسنة ، وهم على كثرة ما حقَّقوه ودرسوه ونشروه لم يقرِّروا شبهة ولم يحكموا اعتراضاً ولم يزيدوا إلا وبالاً وبللاً ، وكتبهم مشابهة للذي بين يدينا مثل :

أخطاء فتح الباري في العقيدة

التعليقات المفيدة على رسالة منهج الأشاعرة في العقيدة

آراء الكلابية العقائدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

القائد إلى تصحيح العقائد

الماتريدية دراسةً وتقويماً

المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات

تنبيهات على مقالات الصابوني

تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران

حوار مع أشعري

شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة

عداء الماتريدية للعقيدة السلفية

لا دفاعاً عن الألباني فحسب بل دفاعاً عن السلفية

منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله

منهج الأشاعرة في العقيدة

موقف ابن تيمية من الأشاعرة

نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان من الهفوات

نقض عقائد الأشاعرة في كتاب مناهل العرفان

نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية

وكم أرسل الإخوة الأحباب والعلماء الأفاضل رسائل ونصائح تلوَ النصائح لهؤلاء الأخوة ، إلا أنك لا تجدهم إلا وهم عن التذكرة معرضون ، مجلبين بخيلهم ورجلهم على إثارة الفتن وخلق الفوضى بين المسلمين. حتى وإن أخبرتهم أن الملاحدة في بقاع الأرض يضحكون على دين الله جراء أفعالكم وممارساتكم ضدنا إلا أن ما يسمونه بالفكر السلفي قد استحوذ على أذهانهم فما فاقوا وغفلوا

غير أننا كما قرأنا في تاريخ الإسلام وكما شهدت العهود الإسلامية برمَّتها ألا مناص للهروب من حقيقة واقعة ؛ وهي أن الأشاعرة والماتريدية هما المكوِّنان الرئيسان لأهل السنة والجماعة رضي من رضي وأبى من أبى ، فالأمة الإسلامية أشعرية بفضل الله جل جلاله ، وهذا ليس إلا منَّة من الحق جل وعلا أن خلق على يد أحد أكابر السلف الصالح من يعيد لهذه الأمة مجدها ، ويسطِّر لها عنوان الهيبة والعز الذي تذوَّقته على مرور أعصارها وتتابع عهودها ، ولعل بساطة الأستاذين حمد السنان وفوزي العنجري في كتابهما المبارك وأسلوبهما الهادئ في

الدفاع عن السادة الأشاعرة اقتداء بقول ربنا عز وجل (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) المائدة ٥٤ ونقولاتهما من الكتب البعيدة عن مواطن الخلاف هي ما أغرَت الناقد بممارسة المنهج الهجومي في نقده

من يدري ؟! ربما كان أسلوب المؤلفين المبجَّلين قد بدأ يؤتي ثماره في بداية عودة محمودة للطريق المستقيم كان قد سعى إليها فيما مضى إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، إذ أن الناقد أخفى جزءً من المعتقد الذي يدين به لله

ولقد حاول الناقد في نقده أن يعرض جملة من الاستدلالات ليبرهن على خطأ السادة الأشاعرة في قضايا الصفات ، وأحبَّ أن يُخصِّص لنقده خمسة أبواب خلط فيها الصحيح بالسقيم والعادل بالغائل

ولنبدأ بعرض فصول نقده لسبرها في جملة واحدة وبالله التوفيق

أما في الباب الأول

عرض ما أسماه الميزان الذي يعرف به أهل السنة ووضع تعريفاً لمصطلح الحشوية ، ثم نقل منهج السلف الصالح في آيات الصفات وعرض آراء الفرق المخالفة كالجهمية والمعتزلة وأخذ يبيِّن مدى مخالفة الأشاعرة ومنشأ ضلالهم (على حد زعمه) ، وأخذ ينقل من كتب الإمام الأشعري إقراراً لمنهجه ، ثم عرض مطلباً لحقيقة العقيدة المنسوبة للإمام أحمد والتي أقرَّها الإمام أبو الفضل التميمي مصاحباً استدلالته بقواعد نسبها للسلف الصالح

أما في الباب الثاني

عاد فذكر جملة من الأدلة على إثبات الصفات وأخذ يؤكد مخالفة الأشاعرة في هذا الباب ، ثم استدل بنقولات عن جواز السؤال عن الله بأين

أما في الباب الثالث

ردَّ كافة التأويلات التي نقلها المؤلفان عن السلف الصالح مدَّعياً أنها من جنس تأويلات الجهمية الباطلة تارة ، وأنها ليست من التأويلات تارة أخرى ، وأن المؤلفين اعتمدا على المنكرات والأباطيل في إثباتهما (على حد تعبيره)

أما في الباب الرابع

ذكر ما أسماها طرق لتعليم المعتقد ، وأخذ يبرّئ عدداً من كبار الأئمة مما عليه السادة الأشاعرة في المعتقد ، واعتمد نقولات عن الإمام ابن المبرد في الردِّ على الإمام ابن عساكر

أما في الباب الخامس والأخير

حاول التفريق بين ما سمَّاها الفرقة الكلابية والأشاعرة ، وأخذ يؤكد أنهما فرقتان مباينتان لأهل السنة ، وأن الإمام أحمد مخالف للإمام عبد الله بن سعيد بن كلاب ، ثم نقل عن بعض الأئمة أن الفرقتين مخالفتين لأهل السنة ، ولم ينسَ ذكر كتاب الإبانة وأنه كتاب صحيح لم تتلاعب به الأيدي كما ادَّعى المؤلفان ، ثم ذكر بعض النقولات عن إقرار مرحلة ثالثة للإمام الأشعري ، ثم حاول أن ينفي أن السادة الأشاعرة هم أكثر الأمة ونسب لهم التسلُّط على النصوص بالتحريف والتعطيل

هذه جملة ما أراد الناقد أن يرسِّخه في أذهان القراء عرضناها باستقراء كافة أبواب نقده وفصوله

أولاً : المآخذ التي استدركناها على الناقد :

إن المتتبع لنقولات الناقد يلتمس عدة مآخذ عليه نوجزها فيما يلي :

المأخذ الأول :

إن الإيمان برسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوجب طاعته واتباعه ، ويوجب الاستدلال بسنته على الإسلام عقيدة وأحكاماً ، إلا أن دليل العقيدة يختلف عن دليل الحكم الشرعي كون العقيدة أصل والحكم الشرعي فرع ، وأدلة الأصول هي أدلة إثبات ، أما أدلة الفروع فهي أدلة على أن الحكم موجود فيها

قال إمام الأصوليين أبو اسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) :

(كل مسألة مرسومة في أصول الفقه ، لا يبنى عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عوناً في ذلك فوضعها في أصول الفقه عارية)

الاعتصام ١ / ٤٢ – العلمية

والعقيدة هي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل. وما دامت هذه هي حقيقة العقيدة ، فلا بد أن يكون دليلها مُحدِثاً التصديق الجازم فلا ينفع الظن عندئذ

وقد حذَّرنا ربنا جل جلاله فأخبرنا عما جرى للأمم السالفة إبان الاتكال على الظن في الاعتقاد فقال في حق النصارى (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً) النساء ١٥٧

أي : على شك منهم ... ما كان لهم بمن قتلوه من علم ولكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظناً منهم أنه عيسى ... وما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه – وهم يحسبونه عيسى – يقيناً أنه عيسى ولا أنه غيره ولكنهم كانوا منه على ظن وشبهة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧ / ٦٦١

وأخبار الآحاد هي أخبار مفيدة للظن ، وعلى هذا فإن هذه الأخبار لا حجة لها في مسائل الاعتقاد ، وقد ردَّ الصحابة رضوان الله عليهم عدداً من أخبار الآحاد

راجع رسالة السيف الحاد في الرد على من أخذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد ص١٩ – ٢٢

وهذا هو مذهب جمهور الأمة كما حكاه النووي في مقدمة شرح مسلم وفي الإرشاد والتقريب ، وحكاه إمام الحرمين في البرهان ، والتفتازاني في التلويح ، والغزالي في المستصفى ، وابن عبد البر في التمهيد ، وابن الأثير في مقدمة جامع الأصول ، وصفي الدين البغدادي في قواعد الأصول ، وابن قدامة في روضة الناظر ، وعبد العزيز البخاري في كشف الأسرار ، والتاج السبكي في جمع الجوامع ، والمهدي في شرح المعيار ، والصنعاني في إجابة السائل ، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت ، والشنقيطي في مراقي الصعود وغيرهم

إمام دار الهجرة مالك بن أنس

ذكر القاضي عياض (٥٤٤هـ) :

(قال ابن القاسم وابن وهب : **رأيت العمل عند مالك أقوى من الحديث** ، قال مالك : وقد كان رجال من أهل العلم من التابعين يُحدِّثون بالأحاديث وتبلغهم عن غيرهم فيقولون : ما نجهل هذا ولكن مضى العمل على غيره)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ١ / ٢٢ – العلمية

قلت : فلو كان خبر الواحد يفيد عنده القطع لما قدَّم عليه عملاً ولا غيره كون المقطوع به لا يُعارَض بالمظنون ، وقد نقل المالكية عن إمامهم أنه ردَّ عدداً من أخبار الآحاد بمجرد مخالفتها لبعض القواعد الكلية والأدلة العامة. قال إمام الأصوليين أبو اسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) :

(ألا ترى إلى قوله في حديث غسل الإناء من ولوع الكلب سبعاً : "جاء الحديث ولا أدري ما حقيقته؟" وكان يضعفه ويقول : "يؤكل صيده فكيف يكره لعابه؟" ، وإلى هذا المعنى أيضاً يرجع قوله في حديث خيار المجلس

حيث قال بعد ذكره : "وليس لهذا عندنا حد معروف ولا أمر معمول به" فيه إشارة إلى أن المجلس مجهول المدة ، ولو شرط أحد الخيار مدة مجهولة لبطل إجماعاً ، فكيف يثبت بالشرع حكم لا يجوز شرطاً بالشرع ؟ فقد رجع إلى أصل إجماعي)

الموافقات في أصول الشريعة ٣ / ٢١

ناصر الحديث الإمام الشافعي

قال ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

(الأصل القرآن والسنة وقياس عليهما ، **والإجماع أكبر من الحديث المنفرد**)

سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٠

آداب الشافعي ومناقبه ص٢٣٢

مناقب الشافعي للبيهقي ٢ / ٣٠

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٩ / ١٠٥

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل

روى الإمام البخاري في صحيحه ٣٤٠٩ والإمام مسلم في صحيحه ٢٩١٧ والإمام أحمد في مسنده ٧٩٩٢ ، واللفظ لأحمد قال : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي التياح قال سمعت أبا زرعة يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يهلك أمتي هذا الحي من قريش قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال لو أن الناس اعتزلوهم

وقال أبي في مرضه الذي مات فيه : **اضرب على هذا الحديث فإنه خلاف الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. يعني قوله اسمعوا وأطيعوا واصبروا**

قلت : هذا دليل واضح وحجة نيِّرة في أن أخبار الآحاد عنده ظنية وإلا لما أمر بالضرب عليه مع أن الحديث مرويٌّ في الصحيحين. فتأمل !!

وقد نصَّ الإمام أحمد (٢٤١هـ) في رواية الأثرم أن خبر الواحد يُعمَلُ به ولا يشهد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله

العدة في أصول الفقه ٣ / ٨٩٨

المسودة في أصول الفقه ص٢١٧

قال الإمام أبو الخطاب الكلوذاني (٥١٠هـ) :

(**خبر الواحد لا يقتضي العلم** ، قال – أي الإمام أحمد بن حنبل – في رواية الأثرم :"إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح فيه حكم ، أو فرض عملت به ودنت الله تعالى به ، ولا أشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فقد نصَّ على أنه لا يقطع به ، وبه قال جمهور العلماء)

التمهيد ٣ / ٧٨

قال الإمام ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) :

(القسم الثاني : أخبار الآحاد

وهي ما عدا المتواتر

اختلفت الرواية عن إمامنا في حصول العلم بخبر الواحد. فرُويَ أنه لا يحصل به وهو قول الأكثرين والمتأخرين من أصحابنا ، لأنا نعلم ضرورة أنَّا لا نصدِّق كل خبر نسمعه ، ولو كان مفيداً للعلم لما صحَّ ورود خبرين متعارضين لاستحالة اجتماع الضدين ، ولجاز نسخ القرآن والأخبار المتواترة به لكونه بمنزلتهما في إفادة العلم ، ولوجب الحكم بالشاهد الواحد ولاستوى في ذلك العدل والفاسق كما في التواتر)

قال الإمام ابن بدران (١٣٤٦هـ) "شارحاً" :

(والذي يظهر من كلام المصنف أن هذه الرواية مخرَّجة على كلام أحمد في أحاديث الرؤية لا أنها صريح كلامه ..) وقد نصر الإمام ابن بدران قول الإمام ابن قدامة ثم قال :

(... خبر الواحد يفيد العلم لكن لا لذاته بل لما احتف به من القرائن. وهو الذي ذهب إليه ابن الحاجب وانتصر له وقال : يفيد العلم بانضمام القرائن ...)

نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر ١ / ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ / الحديث - الهدى

وممن ذهب إلى أن الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم النظري : الغزالي في المنخول ص٢٤٠ ، والآمدي في الإحكام ٢ / ٣٢ ، وابن الحاجب في مختصره ٢ / ٥٥

إقرارات أهل العلم

قال الإمام أبو منصور البغدادي (٤٢٩هـ) :

(وأما أخبار الآحاد فمتى صحَّ إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم ، وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم في أنه يلزم الحكم بها في الظاهر وإن لم يعلم صدقهم في الشهادة)

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص٣٢٥ - ٣٢٦

وقد تم الاتفاق على شروط لقبول أخبار الآحاد

قال الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) :

(وإذا روى الثقة المأمون خبراً متصل الإسناد رُدَّ بأمور :

أحدها : أن يخالف موجبات العقول فيُعلَم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا

الثاني : أن يخالف نص الكتاب و السنة المتواترة فيُعلَم أنه لا أصل له أو منسوخ

الثالث : أن يخالف الإجماع فيستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له ...... إلى آخره

الرابع : أن ينفرد الواحد برواية ما يجب على كافة الخلق علمه ، فيدل على أنه لا أصل له ، لأنه لا يجوز أن يكون له أصل وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم

والخامس : أن ينفرد برواية ما جرت به العادة بأن ينقله أهل التواتر فلا يُقبَل لأنه لا يجوز أن ينفرد في مثل هذا بالرواية ...)

الفقيه والمتفقه ١ / ٣٥٤

اللمع في أصول الفقه ص١٧٢ رقم ٢٢٥

شرح اللمع ٢ / ٦٥٣ رقم ٧٦٢

قال الإمام أبو بكر الجصَّاص (٣٧٠هـ) :

(ومما يُرَدُّ به أخبار الآحاد من العلل أن ينافي موجبات أحكام العقول لأن العقول حجة لله تعالى. وغير جائز إنقاص ما دلَّت عليه وأوجبته. وكل خبر يُضاده حجة للعقل فهو فاسد غير مقبول. وحجة العقل ثابتة صحيحة إلا أن يكون الخبر محتملاً لوجه لا يخالف به أحكام العقول ، فيكون محمولاً على ذلك الوجه)

الفصول في الأصول ٣ / ١٢١ – ١٢٢

قال الإمام أبو اسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ) :

(أخبار الآحاد لا توجب العلم)

التبصرة في أصول الفقه ص٢٩٨ – الفكر

قال فخر الإسلام البزدوي (٤٨٢هـ) :

(وهذا – أي خبر الواحد – يوجب العمل ولا يوجب العلم يقيناً عندنا)

كنز الوصول إلى معرفة الأصول ص١٥٢

الكافي شرح البزدوي ٣ / ١٢٥٤

قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير الجزري (٦٠٦هـ) :

(وخبر الواحد لا يفيد العلم ، ولكنَّا متعبدون به.

وما حكى عن المحدثين من أن ذلك يورث العلم ؛ فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل ، أو سمَّوا الظن علماً. ولهذا قال بعضهم : يورث العلم الظاهر ، والعلم ليس له ظاهر وباطن ؛ وإنما هو الظن)

جامع الأصول في أحاديث الرسول ١ / ١٢٥

قال شيخ المحدثين الإمام النووي (٦٩٠هـ) "متعقِّباً كلام الإمام أبي عمرو ابن الصلاح" :

(وهذا الذي ذكره الشيخ – أي ابن الصلاح – في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والأكثرون ؛ فإنهم قالوا : أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة إنما تفيد الظن فإنها آحاد ، والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرَّر ، ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك ، وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما ، وهذا متفق عليه ، فإن أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بما فيهما ، وهذا متفق عليه ، فإن أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدها ، ولا تفيد إلا الظن ، فكذا الصحيحين ... ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيها إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد اشتد إنكار ابن برهان الإمام على من قال بما قاله الشيخ – ابن الصلاح – وبالغ في تغليطه)

شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ٢٠

وقال الإمام جلال الدين الخبازي (٦٩١هـ) :

(... وهو– أي خبر الواحد – حجة للعمل به في الدين والدنيا ..... ولأن خبر الواحد يفيد غلبة الظن ، وإنها توجب العمل لعدم توقفه على اليقين بيقين)

المغني في أصول الفقه ص١٩٤ – ١٩٥

قال الحافظ عبد الرحيم العراقي (٨٠٦هـ) في ألفيته :

(وبالصحيح والضعيف قصدوا ** في ظاهر لا القطع ...)

وقال "شارحاً" :

(أي حيث قال أهل الحديث : هذا حديث صحيح ، فمرداهم فيما ظهر لنا عملاً بظاهر الإسناد ، لا أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر؛ لجواز الخطأ والنسيان على الثقة ، هذا هو الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم)

فتح المغيث ص١٥

وقال الإمام السخاوي (٩٠٢هـ) "شارحاً" :

(... بمعنى أنه اتصل سنده – أي الصحيح – مع سائر الأوصاف المذكورة ، أو فقد شرطاً من شروط القبول لجواز الخطأ والنسيان على الثقة ، والضبط والإتقان ، وكذا الصدق على غيره ، كما ذهب إليه جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين ومنهم الشافعي مع التعبد بالعمل به متى ظنناه صدقاً وتجنبه في ضده

لا أنهم قصدوا القطع بصحته أو ضعفه ؛ إذ القطع إنما يُستفَاد من التواتر أو القرائن المحتف بها الخبر ولو كان آحاداً ...)

فتح المغيث ١ / ٢٩ – المنهاج

قال أمير الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(ثم بعد تقرير ذلك كله جميعاً لم يقل ابن الصلاح ولا من تقدمه إن هذه الأشياء – أي ما في الصحيحين – تفيد العلم القطعي ، كما يفيده الخبر المتواتر ؛ لأن المتواتر يفيد العلم الضروري الذي لا يقبل التشكيك ، وما عداه مما ذكر يفيد العلم النظري الذي يقبل التشكيك ؛ ولهذا تخلفت إفادة العلم عن الأحاديث التي عللت في الصحيحين ، والله أعلم ، وبعد تقرير هذا ، فقول ابن الصلاح : "والعلم اليقيني النظري حاصل به" لو اقتصر على قوله "العلم النظري " لكان أليق بهذا المقام ، أما اليقيني ؛ فمعناه القطعي ، فلذلك أنكر عليه من أنكر ؛ لأن المقطوع به لا يمكن الترجيح بين آحاده ، وإنما يقع الترجيح في مفهوماته ، ونحن نجد علماء هذا الشأن قديماً وحديثاً يرجحون بعض أحاديث الكتابين – البخاري ومسلم – على بعض بوجوه من الترجيحات النقلية ، فلو كان الجميع مقطوعاً به ما بقي للترجيح مسلك ، وقد سلم ابن الصلاح هذا القدر فيما مضى لما رجح بين صحيحي البخاري ومسلم ، فالصواب الاقتصار في هذه المواضع على أنه يفيد العلم النظري كما قرّرناه ، والله أعلم)

النكت على ابن الصلاح ١ / ٣٧٨ – ٣٧٩

قال الإمام أبو العون السفاريني (١١٨٨هـ) :

(وأما تعريفه – يعني علم التوحيد – فهو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية أي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية ، والمراد بالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم من السمعيات وغيرها سواء كانت من الدين في الواقع ككلام أهل الحق ، أو لا ككلام أهل البدع

واعتبروا في أدلتها اليقين لعدم الاعتداد بالظن في الاعتقاديات)

لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية ١ / ١٤٩ – ١٥٠

وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) حيث قال :

(الثاني أن هذا من أخبار الآحاد فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصحُّ الإيمان إلا به)

منهاج السنة ٢ / ١٣٣

راجع أيضاً :

تقويم الأدلة في أصول الفقه ص١٧٠

أصول السرخسي ص٣١٣ – ٣٢٩

البلبل في أصول الفقه ٢ / ١٠٣

شرح مختصر المنتهى الأصولي ٢ / ٤١٦ – ٤١٧

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ١ / ٩ – ١٠

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص٤٦ – ٥٥

نضيف لهذا أن العلماء قد اتفقوا على أن التصحيح والتحسين والتضعيف ... أمور ظنية وأنه لا يمكن القطع بشيء من ذلك لاحتمال أن يكون الواقع بخلاف ذلك ، فنرى العلماء كثيراً ما يحكمون على بعض الأحاديث بالصحة لتوافر شروط الصحة فيها عندهم ، ثم يجدون بعض العلل التي تقدح في صحة ذلك الحديث فيحكمون عليه بما تقتضيه تلك العلة القادحة ، وقد يضعفون بعض الأحاديث لعدم توافر شروط الصحة فيها ، ثم يجدون ما يقويها فيحكمون بصحتها وهكذا

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الآحاد لا يفيد القطع وإلا لوجب على الإنسان أن يقطع اليوم بكذا وغداً بكذا ، وهذا لا يخفى فساده على أحد

ولو أفاد خبر الآحاد العلم لما تعارض خبران كون العلمين لا يتعارضان كما لا تتعارض أخبار التواتر ، ولا يخفى على النظار تعارض الكثير من أخبار الآحاد كونها لا تفيد القطع

تنويه : وقضايا العقيدة قضايا متفق ومجمع عليها ، والإجماع هو الدليل الشرعي اليقيني الثالث من الأدلة الأصلية في الشريعة الإسلامية ، فهو مقدَّم على مذهب الصحابي ومذهب التابعين اللذين صرف الناقد على الاحتجاج بهما كثيراً من ورقات الكتاب

المأخذ الثاني :

اعتماده على الكتب الواهية التي لا تقوم بها حجة وعلى الآثار الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات ، ولذلك كان من البديهي أن يصل إلى نتائج رديئة لا يمكن أن يسلَّم له بها لا نقلاً ولا عقلاً ، وأتى بقواعد منكرة جديدة فكان كمن بنى قصراً وحرق مصراً

وللناقد أسلوب غريب افتعل به من السادة الأشاعرة خصماً يجادله وعدواً يجاهده ؛ إذ هو يجعل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم رحمهما الله حجة على الآخرين. ونحن – على تقديرنا لهذين الإمامين العظيمين – لا نَعُدُّهما إلا إمامين من أئمة المسلمين يصيبان ويخطئان كغيرهما من أئمة المسلمين ، وفي المسائل التي خالفا فيها غيرهما من أئمة أهل السنة قد يكونان مصيبين فيها وقد يكونان مخطئين ، وليس أحد الطرفين حجة على الطرف الآخر ، ولم يجعل الله العصمة لأحد من الناس غير أنبيائه ، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه : (كلُّ أحدٍ مأخوذٌ من قوله ومتروك إلا صاحب هذا القبر) وأشار إلى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

ومن التقليل من شأن الإسلام أن يُحْصَر فهمُه الصحيح في رجلين من علمائه أو في مجموعة صغيرة من علمائه ، ثم إن كثيراً مما أنكره الناقد على السادة الأشاعرة هو مذهب الإمام أحمد ، وكثيراً منه وافق ابن تيمية فيه السادة الأشاعرة كما سنرى في ثنايا هذه الرسالة المتواضعة ، ولكن يبدو لي أن الناقد لم يعلم ذلك ، ولو أنه علمه لما أنكر

المأخذ الثالث :

استدلاله بنقولات فردية ونقولات مجملة متشابهة من كلام أهل العلم جاهلاً أو متجاهلاً كلامهم المحكم الصريح الذي لا يُقبَل الاجتهاد في فهمه

وهو ينقل كلاماً عمَّن هم موافقون للسادة الأشاعرة في الاعتقاد إلا أنه يحرِّف المراد من الكلام ، فهو ينقل عن : (ابن جرير الطبري – القصاب – أبو منصور الأزهري – محمد بن خفيف الشيرازي – أبو نصر الكلاباذي – عبد الوهاب بن نصر البغدادي – أبو اليسر البزدوي – أبو العباس السرخسي – عبد القادر الجيلاني – أبو عبد الله القرطبي – ابن رجب الحنبلي – ملا علي القاري – سهل التستري – أبو بكر الاسماعيلي – أبو سليمان الخطابي – الخطيب البغدادي – البغوي) رحمهم الله تعالى

ولعله يريد حشو كتابه بأسماء أهل العلم إيهاماً للقرَّاء بكثرة عدد مؤيِّديه وموافقيه .. لكن هيهات

المأخذ الرابع :

التلبيس في النقل وبتر الكلام – بقصد كان أم بغير قصد – بحيث يفهم منه مراد آخر غير ما يشير إليه الإمام المنقول من مؤلفه خاصة عند نقله عن الأئمة الأربعة في إقرارهم للعقيدة الإسلامية

المأخذ الخامس :

احتجاجه على السادة الأشاعرة بإقرارات مخالفة لمعتقد شيوخه وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والشيخ الألباني وغيرهم رحمهم الله تعالى

المأخذ السادس :

الكذب على السادة الأشاعرة وتقرير ما ليس من معتقدهم ثم الرد عليهم (وهذا أسلوب معتمد لزرع الوساوس والريب في القلوب)

وأحياناً ينسب إليهم جملة أمور هم قائلون بها لكنه لم يقف على مرادهم منها ، فحمل هذه الأمور على معانٍ لم يقصدوها ، وخطّأهم بناءً على ذلك

المأخذ السابع :

لم يذكر الناقد أي شيء عن العقيدة الطحاوية المجمع على أنها عقيدة أهل السنة والجماعة ولم ينقل عنها سوى شرحاً لابن أبي العز ، وسنعرض حاله في موضعه إن شاء الله

فإذا عرفنا المآخذ التي انحرف بها الناقد عن المسلك الصحيح ، أمكننا – حينئذ – أن نبدأ ببيان الأوهام والمغالطات التي انزلق فيها ضمن إقراراته ونقولاته .لا أرفع من الشعارات سوى السنة والجماعة متحرِّياً الصواب قدر طاقتي واجتهادي ، فما أصبت فمن الله وما أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان آملاً من الأخوة الباحثين والمهتمين تصويب ما أخطأت فيه من عزوٍ أو إقرار بالدليل والبرهان ، وسيجدوني إن شاء الله ممن يستجيب للحق ثمَّة هو ، ورحم الله امرأ عرف حدَّه فوقف عنده

وإن ترَ العيب فسُدَّ الخللا ** جلَّ من لا عيب فيه وعلا

أسأل الله أن أكون مدافعاً في قلمي عن الحق وأن يجنبني أن أكتب باطلاً ، كما أسأل الله ألا يفقدهم هذا البحث صوابهم وأن يلمّوا بعد ذلك شعثهم ويرجعوا إلى الحق. والعاقبة للمتقين

ثانياً : الشبهات التي طرحها الناقد :

ص٦١ / ٧٦ حاول الناقد أن يرسخ في ذهن القرَّاء أنهم يأخذون العقيدة من القرآن والسنة ، أما السادة الأشاعرة فيقحمون عقولهم القاصرة في باب العقائد دون الكتاب والسنة وأنهم أعملوا عقولهم في باب الأسماء والصفات الذي هو غيب

بداية نطرح هذا السؤال على الناقد (كيف اهتديت إلى دينك بلا عقل ؟!)

وبعبارة أخرى نقول : كيف صدَّقت بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله دون الرجوع إلى عقلك ؟!

قال الله جل جلاله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) الإنسان ٣

وقال أيضاً (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك ١٠

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه :

(رأيت العقل عقلين ** فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع ** إذا لم يكُ مطبوع

كما لا تنفع الشمس ** وضوء العين ممنوع)

المفردات في غريب القرآن ص٣٤٢ – المعرفة

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ) (في معرض حديثه عن الخلق) :

(... وجعل لهم عقلاً فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ، ونهاهم عن الكفر والكفران ، فأقرُّوا له بالربوبية ، فكان ذلك منهم إيماناً ، فهم يولدون على تلك الفطرة ، ومن كفر بعد ذلك فقد بدَّل وغيَّر ، ومن آمن وصدَّق ثبت عليه ودام)

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ص١٤٦ – ١٤٨

ولعل نشأة الناقد ضمن محيط إسلامي هو الذي صرفه عن التنبه إلى هذا الأمر الهام

أما الكلام في أصول التوحيد فمأخوذٌ من قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) الأنبياء ٢٢ ، وهذا الكلام موجَزٌ منبِّهٌ على الحجة بأن الله واحدٌ لا شريك له ، وقولِه عز وجل (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) المؤمنون ٩١ وإلى قوله عز وجل (أَم جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) الرعد ١٦

وكلام المتكلمين في الحِجاج في توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التي ذكرناها ، وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرآن

وأما ما يتكلم به المتكلمون من أن للحوادث أولاً ، وردُّهم على الدهرية أنه لا حركة إلا وقبلَها حركة ولا يومَ إلا وقبلَه يوم ، والكلامُ على مَن قال : ما من جزء إلا وله نصف لا إلى غاية ، فقد وجدنا أصل ذلك فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢٢٢٠ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا عدوى ولا صفر ولا هامة. فقال أعرابي : يا رسول الله. فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء ، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها ؟ قال : فمن أعدى الأول ؟)

فسكت الأعرابيُ لما أفحمه بالحجة المعقولة

وكذلك نقول لمن زعم أنه لا حركة إلا وقبلها حركة ، لو كان الأمرُ هكذا لم تحدث منها واحدة لأن ما لا نهاية له لا حدَثَ له ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه ١٥٠٠ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر قال : هل فيها من أورق ؟ قال : إن فيها لورقاً ، قال : فأنى أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق ، قال : وهذا عسى أن يكون نزعه عرق.

فهذا ما علّم اللهُ نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم مِن ردِّ الشيء إلى شكله ونظيره ، وهو أصلٌ لنا في سائر ما نحكم به من الشبيه والنظير

وأما الأصل في أن للجسم نهاية وأن الجزء لا ينقسم فقوله عز وجل (وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يس ١٢ ومُحالٌ إحصاءُ ما لا نهاية له ، ومحالٌ أن يكون الشيء الواحد ينقسم لأن هذا يوجب أن يكونا شيئين ، وقد أخبر أن العدد وقع عليهما. وأما الأصل في أن المحدِثَ للعالم يجب أن يتأتى له الفعلُ نحو قصدِه واختيارِه وتنتفي عنه كراهيتُهُ ، فقوله تعالى (أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ، أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) الواقعة ٥٨ – ٥٩

فلم يستطيعوا أن يقولوا بحجة أنهم يخلُقون مع تمنّيهم الولدَ ، فلا يكون مع كراهيته له ، فنبّههم أن الخالق هو مَن يتأتى منه المخلوقاتُ على قصدِه

واقرأ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وكيف كان ينظر ويتأمل ويتدبر في الكواكب والشمس والقمر ، ولما أراد إبطال زعم قومه بربوبية ما سوى الله بطريق العقل وأن هذه متغيرات في صفاتها ولها أفول وزوال وتنقُّل من حال إلى حال وأن الإله لا تجوز عليه مثل هذه المتغيرات في صفاته

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) الأنعام ٧٦

قال التابعي قتادة بن دعامة السدوسي (١١٨هـ) :

(ذكر لنا نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم بعدما أراه الله ملكوت السماوات .... **علم أن ربه دائم لا يزول**)

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٤ / ١٣٢٩ رقم ٧٥١٥

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٥٦

تفسير ابن كثير ص٧٠٠

وقال أيضاً "عند قوله تعالى (الآفلين)" :

(**الزائلين**)

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٤ / ١٣٢٩ رقم ٧٥١٦

قال النحوي الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) :

(**وإنما هذا مثل ضربَه لهم ليعرفوا إذا هو زال : لا ينبغي أن يكون مثله إلهاً** ، وليدلهم على وحدانية الله ، وأنه ليس مثله شيء)

معاني القرآن ١ / ٣٠٦ رقم ٣٩٨

قال الإمام ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) :

(**أراهم النقص الداخل على النجم بالأفول لأنه ليس ينبغي لإله أن يزول ولا أن يغيب** واعتبر مثل ذلك في الشمس والقمر حتى تبين للقوم ما أراد من غير جهة العناد والمبادأة بالتنقص والعيب)

تأويل مشكل القرآن ص٣٣٦

قال اللغوي الزجاج الحنبلي (٣١٠هـ) :

(**لا أحب من كانت حالته أن يطلع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث منتقل من مكان إلى مكان** ، كما يفعل سائر الأشياء التي أجمعتم معي على أنها ليست بآلهة أي لا أتخذ ما هذه حاله إلهاً ، كما أنكم لا تتخذون كل ما جرى مجرى هذا من سائر الأشياء آلهة)

معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٦٦

قال إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) :

(فأما الحركة والسكون والكلام فيهما فأصلهما موجود في القرآن وهما يدلان على التوحيد ، وكذلك الاجتماع والافتراق ، قال الله تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه : (فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) الأنعام ٧٦ في قصة أفول الكوكب والشمس والقمر وتحريكها من مكان إلى مكان ما دلَّ على أن ربه عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك ، **وأن من جاز عليه الأفول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بإله)**

استحسان الخوض في علم الكلام ص٤٥

قال الإمام أبو بكر السجستاني (٣٣٠هـ) :

(**القيوم** : **هو القائم الدائم الذي لا يزول** ، وليس من قيام على رِجْل)

نزهة القلوب ص١٥٨

قال إمام الهدى أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) :

(**ومَن يكون على حال ثم على أخرى فهو من الآفلين بالتحقيق**. والله أعلم)

التوحيد ص١٠٧

وقال أيضاً :

(وأيضاً محاجة إبراهيم قومه في النجوم ، وما ذكر بالأفول والغيبة ، **ولم يحاجهم بأن لا يحب رباً يُرى ، ولكن حاجهم بأن لا يحب رباً يأفل ، إذ هو دليل عدم الدوام)**

التوحيد ص١٤٢

قال شيخ العربية أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ) :

(وقال أبو عبيدة – معمر بن المثنى (٢١٠هـ) – : القيوم : القائم **وهو الدائم الذي لا يزول** .....

والقيام في كلام العرب على أوجه : ..... وقام قائم الظهير عند تحلق الشمس في الجو قبيل الزوال. قال الشاعر : وقام ميزان النهار فاعتدل .....

والقائم أيضاً : الدائم الذي لا يزول كأنه باقٍ مع الزمان ، **فيكون القيوم بمعنى الدائم الذي لا يزول ولا يحول**)

مجاز القرآن ١ / ٧٨

اشتقاق أسماء الله ص١٠٥ – ١٠٧

قال اللغوي ابن فارس (٣٩٥هـ) :

(وكل شيء غاب فهو آفل

قال الخليل (١٧٥هـ) : وإذا استقر اللقاح في قرار الرحم فقد أفل)

معجم مقاييس اللغة ١ / ١١٩ مادة أفل – الفكر

العين ٨ / ٣٣٧

وقال سيف السنة أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) :

(وكذلك الخليل عليه السلام ، إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيُّرها وانتقالها من حالة إلى حالة ؛ لأنه لما رأى الكوكب قال : هذا ربي ، **فعلم أن هذه لما تغيَّرت وانتقلت من حال إلى حال دلَّت على أنها محدثة مفطورة مخلوقة وأن لها خالقاً** ، فقال عند ذلك "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض")

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٢٩ – الأزهرية

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(**فلما رأى أفولها – أي الشمس – وزوالها ، وتبيّن له كونها محل الحوادث والتغيرات ، تبرَّأ منها كلها ،** وانقطع عنها إلى رب هو خالقها ومنشئها ، لا تعترضه الآفات ، ولا تحله الأعراض والتغيرات)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٧٠ – الأزهرية

وقال الإمام أبو المظفر الاسفراييني (٤٧١هـ) :

(٢٧– ... ولهذا قال إبراهيم الخليل "لا أحب الآفلين" **استدل بأفوله وبطلانه على حدوثه**)

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص١٤١ – الأزهرية

وقال الإمام النسفي (٦٨٧هـ) :

(**أي لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال لأن هذا من صفات الأجسام**)

مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٥١٦

وقال الإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ) :

(**أي الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال**)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٧ / ٢٠٠

ولما أراد سيدنا إبراهيم إبطال ربوبية الكوكب وجَّه استدلاله إلى كيفية المخلوقات فأبطلها في حق الخالق

(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) الأنعام ٨٧

فبيّن أن الكيفية ((هذا أكبر)) هي من صفات المخلوقات المحدثات ، وأن من نسبها لخالقها يكون مشركاً لأنه وصف الله بصفات مخلوقاته فوقع في الوهم

قال النحوي الفراء (٢٠٧هـ) :

(إنما قال : هذا ربي ، استدراجاً للحجة على قومه ليعيب آلهتهم أنها ليست بشيء **وأن الكوكب والقمر والشمس أكبر منها ولسْنَ بآلهة)**

معاني القرآن ١ / ٣٤١ - عالم الكتب

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) :

(وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه ، وعلى العيب لقومه في عبادتهم الأصنام ، **إذْ كان الكوكبُ والقمرُ والشمسُ أضوأ وأحسنَ وأبهجَ من الأصنام ، ولم تكن مع ذلك معبودة ، وكانت آفلةً زائلة غير دائمة** ، والأصنام التي هي دونها في الحسن وأصغرَ منها في الجسم ، أحقُّ ألا تكون معبودة ولا آلهة)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٦٠

وقال أيضاً مفسراً قوله "إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض" :

(... إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض الدائم الذي يبقى ولا يفنى ويحيي ويميت ، **لا إلى الذي يفنى ولا يبقى ويزول ولا يدوم ولا يضر ولا ينفع)**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٦٣ و ٢٤ / ٧٣٧

قال الإمام ابن عطية (٥٤١هـ) :

(ثم عرض إبراهيم عليهم من حركته وأفوله أمارة الحدوث ، **وأنه لا يصح أن يكون رباً ثم في آخر أعظم منه ثم في الشمس كذلك** ...)

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص٦٣٨

وسمّي استدلال سيدنا إبراهيم حجة وأضافها الله إليه فقال :

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) الأنعام ٨٣

ثم قال لقومه :

(قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) الأنعام ٧٨

فوجب علينا أن نتبع ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام ونستدل بعقولنا كما استدل ، فنصل إلى أن الله ليس كمثله شيء فلا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء

فالاستدلال بالعقل على وجود الله هو من أسس المنهج الإسلامي عند كل الأنبياء ، ولذلك شرط أهل السنة الماتريدية معرفة الله بالعقل ولو بدليل واحد

ولا يتوهَّم أحد أن الدليل الذي يشترطه أهل السنة الماتريدية هو دليل فلسفي كما يحاول البعض أن يوهم المسلمين ، بل المقصود أي دليل واقعي يورث اليقين كاستدلال الإمام الشافعي بورقة التوت على وجود الله ، وكقول الأعرابي : (البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، أفلا تدلان على العليم الخبير ؟)

ولله در الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) وهو يقول :

وكذاك عقلك لم يركَّب يا أخي ** عبثاً ويودع داخل الجثمان

لكن ليسعد أو ليشقى مؤمن ** أو كافر فبنو الورى صنفان

لو شاء ربك لاهتدى كلٌّ ** ولم يحتجْ إلى حدٍّ ولا برهان

فانظر بعقلك واجتهد فالخير ما ** تؤتاه عقل راجح الميزان

واطلب نجاتك إنَّ نفسك والهوى ** بحران فِي الدركات يلتقيان

نارٌ يراها ذو الجهالة جنة ** ويخوضُ منها فِي حميمٍ آن

ويظلُّ فيها مثل صاحب بدعةٍ ** يتخيَّلُ الجناتِ فِي النيران

وهذا ما رمى إليه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني وكذلك تلميذه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمهما الله

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (وقد نقله الناقد) :

(.... أولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر ...)

الاقتصاد في الاعتقاد ص٢٨

إذ كيف يتبع المرء ما لم يُسلِّم عقله به ؟!

وكيف يخاطب القرآن العقلاء بما هو مخالف للحقائق والقوانين العقلية ؟!

قال الله جل جلاله : (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الملك ٢٢

ولذلك كان النقل والعقل متفقين عند أهل الحق ، أما عند أهل الباطل فكانوا يسرحون مشوشين مضطربين ؛ إما أن يقدموا النقل على العقل في قضايا الاعتقاد بسبب جمود أفكارهم وتعطيل ما أمر الله بإعماله في كتابه ، أو يقدموا العقل على النقل بسبب توهُّم مخالفة الشرع للحقائق العقلية والقوانين البدهية

قال ربنا عز وجل :

(وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) الحج ٥١

قال ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

(...فاعلم أنه لا إله إلا الله فأمر بالمعرفة لا بالظن والتقليد)

(واعلم أن علوم الخلق على قسمين ضروري ومكتسب ، فمعنى الضروري كل علم يتعلق وجوده بقدرة غير العالم وذلك نحو العلم الواقع عن الحواس الخمس من الضروريات من غير اختيار ، ومعنى المكتسب كل علم يتعلق وجوده بقدرة العالم وذلك نحو العلم الحاصل عن النظر والروية)

الفقه الأكبر المنسوب للشافعي ص٢

وكذلك المسائل التي اعترض القوم عليها وبدَّعوا من خاض فيها قد علمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، غيرَ أنها لم تحدث في أيامه معيّنةً فيتكلم فيها وإن كانت أصولها موجودةً في القرآن والسنة

وما حدث من شيء فيما له تعلق بالدين من جهة الشريعة فقد تكلموا فيه وبحثوا عنه وناظروا فيه وجادلوا وحاجّوا كمسائل العَول والجدّات من مسائل الفرائض وكالحرام والبائن والبتة وحبلَكِ على غاربِك وكالمسائل في الحدود والطلاق وغير ذلك من الأحكام التي يكثر ذكرها مما قد حدثت في أيامهم ولم يجئ في كل واحدة منها نص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لو نصَّ على جميع ذلك ما اختلفوا فيها وما بقي الخلاف إلى الآن

فأما حوادث تحدث في الأصول في تعيين مسائلَ فينبغي لكل عاقلٍ مسلمٍ أن يردَّ حكمَها إلى جملة الأصول المتفق عليها بالعقل والحس والبديهة وغير ذلك ؛ لأن حكم مسائل الشرع التي طريقها السمعُ أن تكون مردودةً إلى أصول الشرع الذي طريقه السمعُ ، وحكمُ مسائل العقليات والمحسوسات أن يُرَدَّ كلُ شيءٍ من ذلك إلى بابه ولا يَخلِطَ العقلياتِ بالسمعياتِ ولا السمعياتِ بالعقليات ، فلو حدث في أيام النبي صلى الله عليه وسلم

الكلامُ في خلق القرآن وفي الجزء والطفرة بهذه الألفاظ لتكلم فيها وبيّنه كما بيّن سائرَ ما حدث في أيامه من تعيين المسائل والتكلم فيها

ثم يقال للمخالفين : لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثٌ في أن القرآن غيرُ مخلوق أو هو مخلوق ، فلِمَ قلتم إنه غير مخلوق ؟!

فإن قالوا : قد قاله بعض الصحابة وبعض التابعين ، قيل لهم : يلزم الصحابي والتابعي مثلُ ما يلزمكم من أن يكون مبتدعاً ضالاً إذ قال ما لم يقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فإن قال قائل : فأنا أتوقف في ذلك فلا أقول مخلوق ولا غير مخلوق

قيل له : فأنت في توقفك في ذلك مبتدعٌ ضالٌ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل : إن حدثَتْ هذه الحادثةُ بعدي توقفوا فيها ولا تقولوا فيها شيئاً ، ولا قال : ضلِلوا وكفِروا من قال بخلقه أو من قال بنفي خلقه

وخبّرونا لو قال قائلٌ : إن عِلمَ اللهِ مخلوقٌ أكنتم تتوقفون فيه أم لا ؟!

فإن قالوا : لا

قيل لهم : لم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابُه في ذلك شيئاً

وكذلك لو قال قائل : هذا ربُّكم شبعانُ أو ريانُ أو مكتسٍ أو عريان أو مقرور أو صفراوي أو مرطوب أو جسم أو عرَضٌ أو يشم الريح أو لا يشمها أو هل له أنفٌ وقلبٌ وكبدٌ وطِحالٌ وهل يحج في كل سنة ، وهل يركب الخيل أو لا يركبها ، وهل يغتمُّ أم لا ؟ ونحوَ ذلك من المسائل ، لكان ينبغي أن تسكت عنه لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتكلم في شيء من ذلك ولا أصحابُه ، أو كنتَ لا تسكتُ فكنتَ تبينُ بكلامك أن شيئاً من ذلك لا يجوز على الله عز وجل وتقدس كذا وكذا بحجة كذا وكذا

فإن قال قائل : أسكتُ عنه ولا أجيبه بشيءٍ أو أهجرُه أو أقوم عنه أو لا أسلم عليه أو لا أعوده إذا مرض أو لا أشهد جنازته إذا مات

قيل له : فيلزمك أن تكون في جميع هذه الصيغ التي ذكرتَها مبتدعاً ضالاً لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل من سأل عن شيءٍ من ذلك فاسكتوا عنه ، ولا قال لا تسلموا عليه ولا قوموا عنه ، ولا قال شيئاً من ذلك فأنتم مبتدعةٌ إذا فعلتم ذلك ، ولِمَ لَم تسكتوا عمّن قال بخلق القرآن ولِمَ كفّرتموه ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثٌ صحيحٌ في نفي خلقه وتكفيرِ من قال بخلقه ؟!

فإن قالوا : لأن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال بنفي خلقه وتكفيرِ من قال بخلقه ، قيل لهم : ولِمَ لم يسكت أحمدُ عن ذلك وتكلم فيه ؟!

فإن قالوا : لأن العباس العنبري ووكيعاً وعبدَ الرحمن بنَ مهدي وفلاناً وفلاناً قالوا : إنه غيرُ مخلوق ، ومَن قال بأنه مخلوقٌ فهو كافر

قيل لهم : ولِمَ لم يسكت أولئك عما سكت عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

فإن قالوا : لأن عمرو بن دينار وسفيانَ بن عيينة وجعفرَ بن محمد رضي الله عنهم وفلاناً وفلاناً قالوا : ليس بخالقٍ ولا مخلوق

قيل لهم : ولِمَ لم يسكت أولئك عن هذه المقالة التي لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

فإن أحالوا ذلك إلى الصحابة أو جماعةٍ منهم كان ذلك مكابرةً ، فإنه يُقال لهم : فلِم لم يسكتوا عن ذلك ولم يتكلم فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا قال : كفّروا قائلَه ؟!

فإن قالوا : لا بد للعلماء من الكلام في الحادثة ليعلمَ الجاهلُ حكمَها

قيل لهم : هذا الذي أردناه منكم ، فلِمَ منعتم الكلامَ ، فأنتم إن شئتم تكلمتم حتى إذا انقطعتم قلتم : نُهينا عن الكلام ، وإن شئتم قلّدتم مَن كان قبلكم بلا حجةٍ ولا بيان ، وهذه شهوةٌ وتحكّمٌ

ثم يُقال لهم : فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتكلم في النذور والوصايا ولا في العتق ولا في حساب المناسَخات ، ولا صنّف فيها كتاباً كما صنعه مالكٌ والثوري والشافعي وأبو حنيفة ، فيلزمكم أن يكونوا مبتدعةً ضُلالاً إذ فعلوا ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقالوا ما لم يقله نصاً بعينه ، وصنّفوا ما لم يصنّفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا بتكفير القائلين بخلق القرآن ولم يقله النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وفيما ذكرنا كفاية لكل عاقل غيرِ معاند

منقول بتصرف عن رسالة استحسان الخوض في علم الكلام – إمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري عليه سحائب الرحمة والرضوان

وقفة حول بدعة عقيدة الفطرة :

طلع علينا بعض الأخوة – هدانا الله وإياهم – بمحدثة جديدة لا أصل لها في الكتاب والسنة ، فادّعوا بأن هناك ما يسمى عقيدة الفطرة لتمرير بعض الشبهات الجدلية حول الذات الإلهية

قال ربنا عز وجل (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) النحل ٧٨

بل ويستدل بعضهم على أن الله عز وجل في السماء بذاته لما تفعله الحيوانات من رفع رأسها إلى السماء ، وجوابنا عن ذلك أن نقول :

ما هو نوع هذا الاستدلال هل هو من القرآن أم من السنة أم ماذا ؟!

ثم أن هناك حيوانات لم ترفع رأسها إلى السماء وبقيت أياماً بل شهوراً بل سنيناً منكسة الرأس ، فهل تعتبر هذه الحيوانات مبتدعة كونها لم تحقق هذه المزيَّة في التوحيد كما فعلت الحيوانات الموحِّدة ؟!

وليت لو أن هؤلاء الأخوة أخبرونا عن بعض معلومات التوحيد المتوفِّرة لدى الكائنات البحرية ، ومدى تغلغل عقيدة الفطرة عندها ؟!

شيء رائع أن نقفل أقسام العقيدة وأصول الدين في الجامعات الشرعية ونذهب لنتعلم التوحيد في زريبة الأبقار والأغنام والمداجن وأحواض السمك ، فنتعلم الإيمان بالله والأنبياء والملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر

هل هناك آية أو حديث تخبرنا أن نستدل بالحيوانات لنعرف بها التوحيد ؟!

من يدري !! ربما سنتعلم يوماً ما كيف نعبد الله من خلال حركات الحيوانات وسكناتها !!

ولا يتوهَّمنَّ أحدٌ بأنني أسخر من هؤلاء الأخوة ! إطلاقاً !! بل والله هذا ما يفهمه كل من تمعَّن في دعواهم مهما حاول أن يؤوِّل المقصود ، ولنتأمل الآن البيان الإلهي العظيم

(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ) الأعراف ١٧٩

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) :

(هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأنعام ، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشرّ فتميز بينهما، فشبههم الله بها ، إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه. ثم قال : (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) يقول : هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشدّ ذهاباً عن الحقّ وألزم لطريق الباطل من البهائم لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميّز ، وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضارّ وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح. والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية ، مع ما أُعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضارّ ، تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارّها ، فالبهائم منها أسدُّ وهي منها أضلّ ، كما وصفها به ربنا جلّ ثناؤه ..... هؤلاء الذين وصفت صفتهم القوم الذين غفلوا ، يعني سهواً عن آياتي وحججي ، وتركوا تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها ، لا البهائم التي قد عرّفها ربها ما سخرها له)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠ / ٥٩٤ – ٥٩٥

ومهما يكن غرضهم من هذه الادِّعاءات فيجب التنويه – بادئ ذي بدء – إلى أمرين مهمين :

الأمر الأول : أنه لم يرد لا في القرآن ولا السنة لفظ (العقيدة) حتى يكون هناك ما يسميه الأخوة (عقيدة الفطرة) ولم ترد لفظة (العقيدة) على لسان أحد من الصحابة لا بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف ولا حتى موضوع – فيما أعلم – بل كان اللفظ المستعمل هو (الإيمان)

الأمر الثاني : لم يذكر في كتاب الله وسنة رسوله إلى ما يشير إليه الأخوة من أن ما يسمونه عقيدة الفطرة هي ذاتها عقيدة التشبيه التي يطلقون عليها التوحيد ويعنونون عليها باسم السنة

ولنسلم جدلاً بهذا الأمر ... فيبقى الأخوة ملزَمين بما ألزموا أنفسهم به من فهم كتاب الله وسنة رسوله بفهم السلف ... فمتى أجمع السلف أو نصَّ أحدهم على وجود ما يدرجونه تحت مسمى عقيدة الفطرة ؟!

ربما تعلَّقوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ....)

إن المراد بالفطرة التي يولد عليها المولود أنه يولد مستعداً للخير أكثر من استعداده لقبول الشر ، وإلا فالمولود يولد كصفحة بيضاء خالياً عن أي عقيدة ، ولا يتقبل أي عقيدة حقاً أو باطلاً إلا بعد التلقين والتعليم ، ولو كان ما يدعيه القوم صحيحاً لما بقي حاجة في معرفة العقيدة إلى بعثة الرسل ، ولأحيل الناس في تعلم العقائد إلى الصبيان الذين لم يلقنوا بعد شيئاً

قال محمد بن يحيى الكحال : قلت لأبي عبد الله – أي الإمام أحمد بن حنبل – : "كل مولود يولد على الفطرة" ما تفسيرها ؟ قال : هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، شقي أو سعيد

طبقات الحنابلة ٢ / ٣٨٤ – ٣٨٥

ثم إن المكلَّف بمجرد إسلامه يصبح مسلماً ، ولا يصبح لا أشعرياً ولا ماتريدياً ولا حنبلياً إلا بالتعليم والتلقين ، وذلك لأن لكل واحدة من هذه الفرق آراء خاصة بها تتمايز فيما بينها ، عوام المسلمين بعيدون عن معرفتها بمراحل

قال الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) :

(قالوا : ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفراً أو إيماناً ، لأن الله أخرجهم في حالٍ لا يفقهون معها شيئاً ، قال الله تعالى : "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً " فمن لا يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان ، أو معرفة أو إنكار

قال أبو عمر : هذا القول أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها والله أعلم ...)

التمهيد ١٨ / ٧٠

قال الإمام أبو العباس القرطبي (٦٥٦هـ) :

(... ومعنى الحديث : إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهَّلة لقبول الحق كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات ؛ فما دامت باقية على ذلك القبول ، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق. دين الإسلام هو الدين الحق ، وقد جاء ذلك صريحاً في الصحيح "جبلَ الله الخلق على معرفته ، فاجتالتهم الشياطين" وقد

تقدم هذا المعنى ، وقد دلَّ على صحة هذا المعنى بقية الخبر حيث قال : "كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء)

المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم ٦ / ٦٧٦

قال الإمام النووي (٦٧٦هـ) :

(... وأما الفطرة المذكورة في هذه الأحاديث فقال المازري قيل هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم وأن الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين وقيل هي ما قضى عليه من سعادة او شقاوة يصير اليها وقيل هي ما هيء له .هذا كلام المازري ..... وقال ابن المبارك يولد على ما يصير إليه من سعادة او شقاوة فمن علم الله تعالى أنه يصير مسلماً ولد على فطرة الاسلام ومن علم أنه يصير كافراً ولد على الكفر وقيل معناه كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والاقرار به فليس أحد يولد إلا وهو يقر بأن له صانعاً وأن سماه بغير إسمه آو عبد معه غيره والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئاً للاسلام فمن كان أبواه او احدهما مسلماً استمر على الاسلام في أحكام الآخرة والدنيا وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا ...)

شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٢٠٨

والحديث – في حقيقته – حجة على القوم أنفسهم ؛ لأن القوم يوافقون اليهود والنصارى في التشبيه ، فاليهود والنصارى يؤمنون بأن الله ساكن السماء وأن له كيفاً وحدوداً وصفات التغير والحدوث والحركة والسكون والارتفاع والنزول الحسيان وغير ذلك. فقد جاء في نسخة التوراة المحرّفة ما يلي :

(وقال فاسمع إذاً كلام الرب قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وشماله)

سفر الملوك الإصحاح ١ رقم ١٩ – ٢٠

(الله جلس على كرسي قدسه)

سفر مزامير الإصحاح ٤٧ رقم ٨

(وشكراً للجالس على العرش الحي الأبدي)

سفر يوحنا الإصحاح ٤ رقم ٩

(وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لإلهنا الجالس على العرش)

سفر يوحنا الإصحاح ٧ رقم ١٠

(الجالس على العرش يحل فوقهم)

سفر يوحنا الإصحاح ٧ رقم ١٥

(وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا على شبهنا ...... فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم)

سفر التكوين الإصحاح ٢٦ – ٢٨

(فقال أنا الله إله أبيك ... أنا أنزل معك إلى مصر)

سفر التكوين الإصحاح ٤٦ رقم ٣ – ٤

(ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل)

سفر خروج الإصحاح ١٩ رقم ٢٠

(الله من السماء أشرف على بني البشر لينظر)

سفر مزامير الإصحاح ٥٣ رقم ٢

(الساكن في السماوات يضحك الرب)

سفر مزامير الإصحاح ٢ رقم ٤

(إن أنتم غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي)

سفر متى الإصحاح ٦ رقم ١٤

(وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هو ذا مسكن الله)

سفر رؤيا يوحنا الإصحاح ٢ رقم ٣

(حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم)

سفر التكوين الإصحاح ٢٨ رقم ١٧

(اسكتوا يا كل البشر قدَّام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه)

سفر زكريا الإصحاح ٢ رقم ١٣

راجع

بذل المجهود في إفحام اليهود – السموأل بن يحيى المغربي

رسالة موافقة الوهابية لليهودية – الشيخ فتحي الأزهري

وذكر المؤرخ شمس الدين ابن طولون (٩٥٣هـ) أن ابن تيمية قال :

(إن التوراة لم تبدل ألفاظها بل هي باقية على ما أنزلت وإنما وقع التحريف في تأويلها)

ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر ص٩٦

وقال العلامة محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) عن ابن تيمية :

(وهو سهل متسامح مع اليهود يقول عن كتبهم إنها لم تحرَّف تحريفاً لفظياً)

الإشفاق على أحكام الطلاق ص٧٢ – ابن زيدون

وقال الشيخ حمود التويجري "أحد أنصار القوم" :

(وأيضاً فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان ما فيها من الصفات كذباً وافتراء ووصفاً لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد لكان

إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النبي أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك ، وقد عابهم الله في القرآن بما هو دون ذلك فلو كان هذا عيباً لكان عَيب الله لهم به أعظم وذمَّهم عليه أشد)

عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن ص٧٧ – اللواء

قلت : فكيف يستشهد القوم بحديث الفطرة وهم أصلاً مؤيدون لليهود والنصارى في معتقدهم بحق الذات الإلهية ؟!

والشبهة المضحكة المبكية التي يتعلق بها هؤلاء الأخوة هي أنك إذا سألت ولداً صغيراً : أين الله ؟ فيقول (غالباً) : في السماء . وجوابنا على ذلك من وجهين :

الوجه الأول : أنك إذا سألت الولد نفسه (وأين هي السماء التي تقصدها ؟!) ، فسيشير لك إلى الغلاف الجوي الذي يحيط بالكرة الأرضية ؛ كون الولد لا يعلم كم عدد السماوات التي خلقها الله حتى يعلم أن الله فوق سبع سماوات خارج العالم على العرش بذاته وبكيفية وحدود تليق بجلاله

وبإمكان أي شخص أن يجرِّب ويسأل الولد الصغير عن ذلك ، وبعبارة أخرى : إن هذه أوهام من أوهام الحس المودعة عند الولد الصغير لا فطرة عنده

الوجه الثاني : أن خلافنا مع القوم ليس أن الله في السماء أم ليس في السماء ، وإنما خلافنا هو أن الله في السماء من حيث الجهة أم من حيث الصفة ... فافهم !!

قال الإمام ابن فورك (٤٠٦هـ) :

(وقد ذكرنا سابقاً أنَّا لا ننكر القول بأن الله في السماء اتباعاً للفظ الكتاب ، ولكنَّا نأبى أن يكون معناه على معنى كون الجسم في الجسم بالتمكن عليه وفيه ، لأن ذلك يؤدي إلى القول بحدثه ونفيه ، تعالى عن ذلك)

مشكل الحديث ص٢٣٥

أي أن جواب الولد الذي تعلَّق القوم به جواب مجمل لا دلالة فيه على ما يريدونه ، بل إن لدينا الحجة في أن الولد الصغير قد قصد الصفة لا الجهة ؛ كون الولد الموجود في شمال الكرة الأرضية سيقول في السماء (تبعاً لما يقرر القوم) ، وكذلك الذي في الجنوب والشرق والغرب ، فتغيرت جهتهم ولم يتغير جوابهم

ونبطل عقيدة الفطرة مستدلين بما رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، فقال لهم : وقد وجدتموه ؟! قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان

قال الإمام النووي (٦٧٦هـ) :

(... معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان ، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً وانتفت عنه الريبة والشكوك)

شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ١٥٤

وروى الإمام البخاري في صحيحه ٤٥٣٧ قال : وقال المنهال ، عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؟

قال : (فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ) المؤمنون ١٠١. (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ) الصافات ٢٧. (وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً) النساء ٤٢. (وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) الأنعام ٢٣. فقد كتموا هذه الآية ؟

وقال : (أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا - إلى قوله — دَحَاهَا) النازعات ٢٧ - ٣٠. فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال : (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ - إلى قوله — طَائِعِينَ) فصلت ٩ - ١١. فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ؟

وقال : (وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) النساء ٩٦. (عَزِيزاً حَكِيماً) النساء ٥٦

(سَمِيعاً بَصِيراً) النساء ٥٨. فكأنه كان ثم مضى ؟

فقال : (فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ) في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور : (فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ) الزمر ٦٨. فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتسائلون، ثم في النفخة الآخرة : (أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ)

وأما قوله : (مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ). (وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً). فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، فقال المشركون : تعالوا نقول لم نكن مشركين ، فختم على أفواههم ، فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً ، وعنده : (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ) النساء ٤٢

وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ، ودحوها : أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله : (دَحَاهَا) . وقوله : (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ). فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السماوات في يومين

(وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) سمى نفسه بذلك ، وذلك قوله ، أي لم يزل كذلك ، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلاً من عند الله

قال أبو عبد الله : حدثنيه يوسف بن عدي : حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بهذا

قلت : فإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يخطر في قلوبهم بعض الأمور المخالفة للعقيدة من وساوس وأوهام وقد شكوا ذلك ... فما بالك بالعوام والرعاع الذين لم ينهلوا شيئاً يُذكَر من مشكاة النبوة ؟!

قال الإمام القشيري (٤٦٥هـ) :

(سمعت الإمام أبا بكر ابن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي ، فكتبت إلى أصحابنا بمكة إني أسلمت الآن إسلاماً جديداً)

الرسالة القشيرية ص١٥

ويؤيد ذلك ما قاله السلف الصالح في حديثهم عن التوحيد

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ) :

(وإذا أُشكِل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد فينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالماً فيسأله ، ولا يسعه تأخير الطلب ، ولا يُعذَر بالوقف فيه ، ويَكْفُرُ إن وقف)

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ص٣١٩ – ٣٢٠

وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس (١٧٩هـ) :

(محال أن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ، ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" فما عصم به الدم والمال فهو حقيقة التوحيد)

الحاوي ٢ / ١٢٩

سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٦

طبقات الشافعية الكبرى ٩ / ٤٠

فدلَّ ذلك على أن التوحيد علم لا فطرة

وما يدَّعيه الناقد أن عوام المسلمين يعرفون أن الله فوق سبع سماواته على عرشه ، فنرد عليه بما صرَّح به الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) قائلاً :

(وأما قول العامة وكثر من الخاصة : الله موجود في كل مكان أو في كل الوجود – يعنون بذاته – فهو ضلال ...)

الدرر الغوالي من كلام العلامة محمد ناصر الدين الألباني ص٢٠٦

وقال أيضاً "عن حديث الجارية" :

(فيه جواز توجيه مثل هذا السؤال على سبيل الاختبار خلافاً لظن كثير من الناس ، ولو وجّهته إليهم لجهلوا الجواب فليتعلموه إذن من هذا الحديث)

تعليقه رقم ٧٥ على كتاب الإيمان لابن أبي شيبة ص٣٦

ص٧٥ ارتكب الناقد خطأً فادحاً في صفحة واحدة ، فزعم أن السادة الأشاعرة قد قرَّروا مسائل الاعتقاد بالعقل دون الكتاب والسنة ... ثم ادَّعى أن الحافظ أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات يذكر الباب ويعقبه بالآيات والأحاديث ثم يتبعه بالتأويل والخوض فيه بأصول الكلام

كيف يكون مصدر التلقي عندهم هو العقل وحده ثم يذكرون الآيات والأحاديث ؟!

إذاً فالناقد إما أنه يفتري على السادة الأشاعرة أو أنه لا يفقه لغة التعبير وتصوير الوقائع على نصابها ، وهذه نتيجة بديهية إبان عدم فهمه لمنهجهم من كتبهم

بل كيف يكون مصدر التلقي عندهم هو العقل وحده ومن مذهبهم أنه لا مجال للعقل في التحسين والتقبيح ، وأنه لا حسن إلا ما حسّنه الشرع ولا قبيح إلا ما قبّحه الشرع ؟!

إن الاستدلال عند السادة الأشاعرة يكون بالأدلة النقلية (نصوص الكتاب والسنة) وبالأدلة العقلية على وجه التعاضد لمواجهة أهل الزيغ وأهل الإلحاد في نفس الوقت ، فالأدلة النقلية والعقلية عندهم يؤيّد كل واحد منهم الآخر ، فهم يرَون أن النقل الثابت الصريح والعقل الصحيح لا يتعارضان لامتناع التعارض بين يقينيين

والمقرَّر عند أهل النظر أن أسباب العلم ثلاثة : العقل والحواس السليمة والخبر الصادق ، فمصدر التلقي عند السادة الأشاعرة ليس هو العقل فقط ، بل هو الخبر الصادق والعقل

التمهيد لقواعد التوحيد ص١٦ – الأزهرية

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) :

(وأهل النظر في هذا العلم يتمسكون أولاً بآيات الله تعالى من القرآن ثم بأخبار الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم بالدلائل العقلية والبراهين القياسية)

الرسالة اللدنية ص١٠٦

وعلى هذا فإن أهم أصول العقيدة الإسلامية لا يصح إثباتها إلا بالعقل ، وإثباتها بالدلائل النقلية مستلزم للدور المحال ؛ وذلك مثل إثبات وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ومشيئته وغيرها مما يتوقف عليه ثبوت الوحي. فلأن ثبوت النقل موقوف على ثبوت الوحي ، وثبوت الوحي موقوف على ثبوتها لا يصح الاستدلال عليها بالنقل. والاستدلال عليها بالنقل موجب لتقدم الشيء على نفسه وهو الدور المحال

قال القاضي ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥هـ) :

(المبحث الأول

في إبطال الدور والتسلسل ، أما الدور فلأن صريح العقل جازم على تقدم وجود المؤثر على وجود أثره ، فلو أثَّر الشيء في مؤثره السابق عليه ، لزم تقدم وجوده على نفسه بمرتبتين ، وهو محال)

طوالع الأنور من مطالع الأنظار ص١٦٥

مصباح الأرواح في أصول الدين ١٤٩

وكذلك النبوة إنما يتوقف ثبوتها على المعجزة الدالة عليه بطريق العقل ، فكان العقل على هذا أصلاً للنقل وشاهداً على صدقه ، فإهمال العقل إذا كانت دلالته قطعية وردُّ مقتضاه موجب لإنهيار أصل النقل ، وللطعن في شاهده الذي لم يثبت إلا به ، فيكون هذا إبطالاً للنقل

وهذه القاعدة مفروضة فيما إذا تعارض ما هو ثابت بالعقل ثبوتاً قطعياً لظاهر نص غير قطعي الثبوت أو غير قطعي الدلالة ، أما النص (القطعي الثبوت القطعي الدلالة) ، فلا يتصور التعارض بينه وبين العقل ، فظهر بهذا التحقيق أن أهل السنة الأشاعرة قد استعملوا العقل في المجال الذي لا يجوز أن يستعمل فيه إلا العقل ، ويكون استعمال النقل فيه موجباً للدور والمحال ،كمايكون إهمال العقل فيه موجباً لإبطال العقل والنقل جميعاً ،

فهم قد استعملوا العقل في مجاله الذي يجب أن يستعمل فيه ، وهذه هي الحكمة (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) البقرة ٢٦٩

منقول بتصرف عن رسالة منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام – الشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي حفظه الله

قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) :

(إنَّ دلالات العقول حظُّها في بعض المعلومات دون بعض ، وأن لا سبيل للعاقل من جهتها إلى التوصل إلى معرفة أحكام الأفعال في القبح والحسن ، والوجوب والندب على التعيين والتفصيل ، وإن كان فيها دلالات يمكن أن يتوصَّل بها إلى معرفة أحكام الموجودات بالحدوث والقدم ، والأوصاف التي تتبعها وتجري مجراها وتبنى عليها

فأما المعرفة بأعيان الواجبات وأحكامها من طريق الوجوب. فإن طريق ذلك الاستدلال بخبر الصادق الموثوق بخبره المأمون في غيبه. إذا أنبأ عن عواقبها وما يلقح بفعل بعضها وترك بعضها الفاعل والتارك من الضرر والنقص والعيب والذم

إن أول الواجبات من ذلك بالسمع النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله تبارك وتعالى ، وإن طريق المعرفة بوجوب ذلك أيضاً السمع ، وأنه لا يجب على أحد شيء من جهة العقول ...)

مجرد مقالات الأشعري ص٣٠

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤٧٨هـ) :

(فإن قيل : ما الدال على وجوب النظر والاستدلال من جهة الشرع ؟ قلنا : أجمعت الأمة على وجوب معرفة الباري تعالى ، واستبان بالعقل أنه لا يتأتَّى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر ، وما لا يُتوصَّل إلى الواجب إلا به فهو واجب)

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص١١

لكن أهل السنة الأشاعرة عندما يوجّهون خطابهم إلى مخالفيهم الذين لا يقيمون وزناً للكتاب والسنة ، فإنهم يقدِّمون الأدلة العقلية على النقلية ؛ وذلك في مجال الاستدلال في العقائد في باب العقليات لأنهم يرون أن المراد هو الرد على المخالفين كالدهريين والثنوية وأهل التثليث والمشبهة والمشركين ونحوهم ، فهؤلاء المخالفين لا يرون حجية للقرآن والسنة إلا بعد إقامة الأدلة العقلية على الإيمان بالله وأن القرآن كلام الله وأن محمد بن عبد الله هو رسول الله

عقائد الأشاعرة في حوار هادئ مع المناوئين ص٨٣ (بتصرف)

وقال الأستاذ المتكلم سعيد عبد اللطيف فودة :

(ولا يجوز القول بأننا – أي علماء الكلام – نقدم العقل على النقل ، ولا بأننا نقدم النقل على العقل ، لأن كلاً من القولين إنما يبنى على تسليم أمر ممنوع ، وهو : وجود تعارض بين العقل والنقل ، وهذا باطل قطعاً كما يفهمه النبيه. وإذ لا تعارض فلا تقديم)

بحوث في علم الكلام ص٣٢

ولذلك لا يجرؤ القوم على استخدام عقولهم كي يثبتوا – لمختلف المذاهب والفرق وخاصة الملاحدة – أن شرع الله هو الشرع الذي يصلح لكل زمان ومكان ، إذ كيف يثبتون ذلك وفهمهم لكتاب الله وسنة رسوله مخالف للقوانين العقلية والحقائق البدهية لدرجة أن أحد أقطابهم صرَّح بالإجماع على أن الأرض ساكنة فقال :

(**أجمع المسلمون على أن الأرض ساكنة** والشمس تجري .. والذين يقولون بدوران الأرض حول الشمس يسعون إلى القول بأن الشمس ساكنة وهذا كفر "والشمس تجري لمستقر لها")

شرح كتاب التوحيد لابن باز ص٢٠٢ – الضياء

ويفترق السادة الماتريدية عن السادة الأشاعرة بأن الماتريدية يرون أن معرفة الله يمكن أن يدرك وجوبها العقل ، كما أمر الله سبحانه وتعالى بالنظر في كثير من آيات القرآن الكريم فهو سبحانه وتعالى يأمر الناس بأن ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ، ويوجههم إلى أن العقل لو اتجه اتجاهاً مستقيماً خالياً من الهوى والتقليد أوصل إلى الإيمان بالله تعالى ومعرفته وذلك إعمالاً للنصوص القرآنية ، وترك النظر يكون إهمالاً لها ، وعدم اعتبار العقل سبيلاً لمعرفة الله تعالى يكون تعطيلاً للنتائج التي رتبها سبحانه وتعالى على النظر ، فلو كانت المعرفة لا تترتب على النظر لكان ذلك قطعاً للنتائج التي قرَّر الله تعالى أنها نتائج نظر

تاريخ المذاهب الإسلامية ص١٦٩ – الإمام محمد أبو زهرة

كان على الناقد أن يوجِّه شيئاً من كلامه إلى مشايخه الذين يشبهون الله في صفاته وهي – أي الصفات – من الغيب كما أقرَّ قلمُه ، فلِمَ لا يفوضون المعاني لقائلها وتنتهي المسألة بين الأخذ والرد ؟!

أما التأويل فقد كان مطيَّة دخل به المبتدعة الى تحريف العقائد ، فأغلق بعض السلف الصالح باب الخوض في التأويل لئلا يصل بالناس إلى التأويل الفاسد

حتى أن الإمام أحمد بن حنبل أنكر على أحدهم تفسير النزول من غير حركة ولا انتقال ، وقال له : (قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كان أغير على ربه منك) يعني في التنزيه

الاستقامة ١ / ٧٢ – ٧٣

أقاويل الثقات ص٦٢ – ٦٣

ولكن لما عمَّت البلوى وانتشرت البدعة ، نهض العلماء لقمعها وخاضوا فيما كرهوا الخوض فيه ، وكانوا أغنى الخلق عن هذا البحث لولا انتشار البدعة ، ولم يعد مقبولاً سكوت الأمة عن هذه البدعة ، فتعيَّن على بعضها الفرض الكفائي في الذب عن السنة ومحاربة هذه البدعة. قال الإمام السغناقي (٧١٤هـ) :

(فإنهم – أي السلف – لم يشتغلوا بتأويل المتشابه ، بل قالوا : نؤمن بتنزيله ، ولا نشتغل بتأويله ، ونفوِّض أمره إلى الله ، ونقول : ما أراد الله به فهو حق.

وأما مذهب الخلف فالاشتغال بالتأويل على وجه يوافق التوحيد ، وإنما اشتغلوا بتأويله رداً لتأويل الخصوم ، فإن الخصوم استدلوا بالمتشابهات لإثبات مذاهبهم الباطلة ، فوقع الخلف في تأويل المتشابه لضرورة دفع تمسك الخصوم به ، وإلا كان من حق المتشابه أن لا يُتمسَّك به.

ألا ترى أن الله تعالى كيف ذمَّ المتبعين للمتشابه بقوله (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ) آل عمران ٧)

الكافي شرح البزدوي ١ / ٢٣٩ – الرشد

قال العلامة محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) :

(وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يخوضون في المعضلات حرصاً منهم على معتقد الذين قرب عهدهم بالجاهلية وتدريباً لهم على الأعمال النافعة دون المماحكات الفارغة لأن الخوض فيها يضر ولا ينفع في شخص دون شخص وفي وقت دون وقت – وعمل الفاروق رضي الله عنه في صبيغ معروف – ولم يتقاعس الصحابة عن الإجابة عند حدوث ضرورة كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع نافع بن الأزرق فلا يكون المؤول بشرطه مخالفاً للصحابة رض الله عنهم بل مقتدياً بهم ، وقد سرد المحدث النظار الفخر بن المعلم القرشي الشافعي في (نجم المهتدي) في باب خاص منه نماذج كثيرة من التأويلات المروية عن الصحابة والتابعين وقد اكتظت كتب التفسير بالرواية بما روى عنهم في هذا الصدد. وكانت الصحابة يفهمون بسليقتهم كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يصعب عليهم فهم ما يستعصى فهمه على كثير ممن تأخر زمنه عن زمن الوحي ، ولم يقع في كلام أحد منهم شيء ينافي التنزيه أصلاً ، وأما ما وقع في بعض الروايات مما يوهم ذلك فمن تغيير أعراب الرواة وأعاجمهم . والرواية بالمعنى من غير فقهاء الرواة في حاجة إلى التنقيب والنظر وحيث كان غالب ألفاظ الروايات ألفاظ الرواة – على حسب فهمهم المعاني – لا يعول محققو علماء العربية في اللغة على ألفاظ الحديث المروي بالمعنى فكيف يتصور أن يتخذ علماء أصول الدين ألفاظ هؤلاء الرواة – على حسب أفهامهم – حجة في دين الله من غير نظر فيما إذا كان مخالفاً للتنزيه والبراهين القائمة ؟. والحاصل أن التفويض مع التنزيه مذهب جمهور السلف لانتفاء الضرورة في عهدهم والتأويل مع التنزيه مذهب جمهور الخلف حيث عن لهم ضرورة التأويل لكثرة السماعين في الإضلال في زمنهم. وليس بين الفريقين خلاف حقيقي لأن كليهما منزه ومن أهل العلم من توسط بين هؤلاء وهؤلاء كما أشرت إليه)

تعليقه على السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ص١٠٨ – الأزهرية

وبذلك اتفق أهل العلم على ترك السكوت فتكلم في ذلك من المحدثين والفقهاء والمتكلمين من تكلَّم. قال القاضي عياض (٥٤٤هـ) :

(وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبيِّنوها للناس ، وينقضوا شبهها عليهم ، وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد – المحاسبي – ، فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية ، والقائلين بالمخلوق)

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٩٩٩ – ١٠٠٠

كلُّ ذلك حملهم على الخوض في التأويل في بعض آيات الصفات ، وليس صحيحاً أنه لا يوجد من الصحابة والتابعين من لم يجنح إلى ممارسة التأويل التفصيلي في بعض نصوص الصفات بل هو منقول عن علي وابن عباس وابن مسعود والأوزاعي ومالك وأحمد غيرهم

شرح النووي على صحيح مسلم ٦ / ٣٦

البرهان في علوم القرآن ٢ / ٧٩

لكن السلف الصالح اختلفوا في بعض التأويلات فمنهم من ارتضاها ومنهم من ردَّها ؛ فنجد – على سبيل المثال – أن الصحابي ابن عباس والتابعي مجاهد والإمام سهل التستري قد أجازوا تأويل اليد بالقوة أو القدرة أو المنة. وكذلك جمعٌ من اللغويين كالفراء وأبو عبيدة والمبرد والزجاج ، في حين أننا نجد أن الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد والإمام الترمذي منعوا من تأويل اليد بالقوة أو القدرة أو النعمة

وكذلك اختلف السلف الصالح في تأويل الاستواء فمنهم من ذهب إلى أنه العلو والارتفاع ومنهم من ذهب إلى أنه القصد والإقبال ومنهم من ذهب إلى أنه الاستيلاء والقهر

وذهب الإمام الأشعري إلى أن الاستواء ليس بمعنى الاستيلاء والقهر ، وذهب اللغوي عبد الله بن يحيى المبارك واللغوي الزجاج والإمام الماتريدي إلى جواز أن يكون على معنى الاستيلاء والقهر

وهذا الاختلاف لا يوجب تفسيقاً ولا تضليلاً لأن المسألة لها متابعات كونها من فرعيات العقيدة

وتينك طائفة من تأويلات السلف الصالح لآيات الصفات :

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) البقرة ٢٩

ولها ستة أقوال جميعها متفقة على تنزيه الذات الإلهية عن ظواهر المتشابه :

١- **علا وارتفع أي علو ملك وسلطان** ؛ قاله أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس والطبري

صحيح البخاري ٩ / ١٢٤ – دار طوق النجاة / النسخة اليونينية

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١ / ٤٥٦ – ٤٥٧

٢- **أقبل على خلق السماء**؛ قاله الحسن البصري

تفسير ابن أبي زمنين ١ / ١٣١ (عن تفسير يحيى بن سلام "٢٠٠هـ")

٣- **قصد بأمره** ؛ قاله سفيان الثوري وابن كيسان

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٤١

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣ / ٢٧٠ – العلمية

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص٧٠

٤- **أقبل إلى وعلى** ؛ قاله الفراء

معاني القرآن ١ / ٢٥

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٨٢ – الأزهرية

٥- **تحوّل فعله** ؛ قاله المفضل بن فضالة والأخفش الأوسط

النكت والعيون ١ / ٩٢

معاني القرآن ١ / ٦٢ رقم ٢٨

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ البقرة ١١٥

- **قبلة الله** ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة البربري والحسن البصري وقتادة بن دعامة والشافعي والزجاج

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١ / ٢١٢ رقم ١١٢٢ - ١١٢٤

سنن الترمذي ٥ / ٢٠٦ رقم ٢٩٥٨

زاد المسير في علم التفسير ١ / ١٣٥

معالم التنزيل وحقائق التأويل ١ / ١٤٠

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٩٣ - الأزهرية

تفسير الإمام الشافعي ١ / ٢٢٠ - التدمرية

معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٩٧

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة ١٥٢

١- **اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي** ؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والطبري

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٣٧ (عن تفسير أبي الشيخ الأصبهاني)

الزهد والرقائق لابن المبارك ٢ / ٦٩٧ رقم ٨٧٢

سنن الترمذي ٥ / ٥٨١

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢ / ٦٩٥

٢- **اذكروني بطاعتي أذكركم بثوابي** ؛ قاله الفضيل بن عياض

٣- **اذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة** ؛ قاله ابن كيسان

التفسير الكبير للطبراني

الكشف والبيان ٢ / ١٩

٤- **اذكروني بالشكر والإخلاص أذكركم برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم** ؛ قاله الزجاج

معاني القرآن وإعرابه ١ / ٢٢٧ - ٢٢٨

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ) البقرة ٢١٠

١- **أمره** ؛ قاله الحسن البصري

تأويلات أهل السنة ٢ / ١٠٤

٢- **إقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق** ؛ قاله جعفر الصادق

حقائق التفسير ١ / ٧٢

٣- **قدرته وأمره** ؛ قاله أحمد بن حنبل

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١٤١

نهاية المبتدئين في أصول الدين ص٣٥

٤- **يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب** ؛ قاله الزجاج

معاني القرآن وإعرابه ١ / ٢٨٠

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ) البقرة ٢٥٥

١- **علمه** ؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ٥٣٧ - ٥٤٠

الكشف والبيان ٢ / ٢٣٢

صحيح البخاري ٦ / ٣١ – دار طوق النجاة – الطبعة اليونينية

٢- **أمر عظيم من أمره جل وعز** ؛ قاله الزجاج

معاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٣٧ – ٣٣٨

(فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ) النساء ١١٩

- **دين الله** ؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد والضحاك وقتادة بن دعامة والقاسم بن أبي بزة والسدي والزجاج

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧ / ٤٩٧ – ٥٠

سنن سعيد بن منصور ٤ / ١٣٧٥ رقم ٦٩١

تفسير عبد الرزاق الصنعاني ١ / ١٧٣

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٤ / ١٠٦٩

معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١١٠

(أَطْفَأَهَا اللّهُ) المائدة ٦٤

١- **ردَّهم الله تعالى وألزمهم الخوف منك ومن أصحابك** ؛ قاله ابن عباس

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢ / ٢٠٧

٢- **أذلهم الله** ؛ قاله الحسن البصري

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٤ / ١١٦٩ رقم ٦٥٨٩

٣- **أطفأ حسدهم ونارهم وقذف في قلوبهم الرعب** ؛ قاله السدي

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٤ / ١١٦٩ رقم ٦٥٨٨

٤- **سكّنه الله ووهّن أمرهم** ؛ قاله ابن قتيبة

تأويل مشكل القرآن ص١٤٨

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ الأنعام ١٨

١- **كل شيء قهر شيئاً فهو مستعل عليه** ؛ قاله الفراء والطبري

معاني القرآن للفراء ١ / ٣٢٩

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٨٩ - الأزهرية

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ١٨٠

٢- **العالي عليهم بتذليله لهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه** ؛ قاله الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ١٨٠

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ الأنعام ١٥٨

١- **أمر ربك فيهم بالقتل أو غيره** ؛ قاله ابن عباس

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢ / ٣٤٠

الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٢٩

البحر المحيط ٤ / ٢٥٨

اللباب في علوم الكتاب ٨ / ٥٢٦

٢- **يأتي أمره** ؛ قاله الضحاك والحسن البصري والماتريدي

الكشف والبيان ٤ / ٢٠٧

النكت والعيون ٢ / ١٩٠

تأويلات أهل السنة ٤ / ٣٢٧

٣- **بعلمه وقدرته بلا أين ؟ ولا كيف ؟** ؛ قاله مجاهد

البحر المحيط ٤ / ٢٥٨

٤ - **إهلاك ربك إياهم وانتقامه منهم** ؛ قاله الزجاج والطبراني

معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٣٠٧

التفسير الكبير

(فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ) الأعراف ٥١

١ - **نتركهم** ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والطبري والزجاج والماتريدي والنحاس

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٥٢ - الأزهرية

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠ / ٢٣٧ - ٢٣٨

معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٣٤١

تأويلات أهل السنة ٤ / ٤٣٦ - ٤٣٧

معاني القرآن الكريم للنحاس ٣ / ٤١

٢- **نؤخرهم في النار** ؛ قاله مجاهد ومعمر بن المثنى

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٥ / ١٤٩٢ رقم ٨٥٤٤

مجاز القرآن ١ / ٢١٥

٣- **نتركهم من الرحمة** ؛ قاله السدي

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٥ / ١٤٩٢ رقم ٨٥٤٥

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الأعراف ٥٤ ، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) طه ٥

١- **استوى أمره** ؛ قاله الحسن البصري

النكت والعيون ١ / ٩٢

البحر المحيط ١ / ٢٨١

٢- **الإقبال على الشيء** ؛ قاله ثعلب النحوي

المحكم والمحيط الأعظم ٨ / ٦٤٠

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣ / ٢٠٠

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٣ / ٤٩١

٣- **الاستيلاء والقهر** ؛ قاله عبد الله بن يحيى المبارك والزجاج وجمعٌ من النحاة واللغويين

غريب القرآن وتفسيره ص٢٣٤ - عالم الكتب

معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٥٠

(نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ) التوبة ٦٧

- **تركهم** ؛ قاله ابن عباس وثعلب النحوي والطبري

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٦ / ١٨٣٢ رقم ١٠٥٠٣

المحكم والمحيط الأعظم ٨ / ٥٨١

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٥٤٩

(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) هود ٣٧

١- **بحراستنا** ؛ قاله ابن عباس

٢- **بأمرنا** ؛ قاله الضحاك بن مزاحم وسفيان بن عيينة

الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٠٩

٣- **بمرأى منا** ؛ قاله الحسن البصري

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٢ / ٣٢٢

٤- **بحفظنا** ؛ قاله الربيع بن أنس والطبراني

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢ / ٥٧٢

زاد المسير في علم التفسير ٤ / ١٠١

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٣ / ١٥٢

التفسير الكبير

(مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) هود ٥٦

١- **يحييها ويميتها** ؛ قاله الضحاك

الكشف والبيان ٥ / ١٧٤

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٤ / ١٨٣

الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٣

٢- **في ملكه وسلطانه** ؛ قاله البخاري والماتريدي

صحيح البخاري ٦ / ٧٣ – دار طوق النجاة – النسخة اليونينية

تأويلات أهل السنة ٦ / ١٤٥

٣- **يقهرها ويذلها بالملك والسلطان** ؛ قاله ابن قتيبة

تأويل مشكل القرآن ١٨١

(مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ) الأنبياء ٢ ، (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ) الشعراء ٥

١- **تنزيله إلينا هو المحدث** ؛ قاله قتادة بن دعامة وأحمد بن حنبل وسهل التستري والطبري والأزهري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٢٢٢

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٢٩ – الأزهرية

تفسير سهل التستري ص٢١٠

الكشف والبيان ٣ / ٣٦٧

٢- **محدث إلينا وليس عند الله بمحدث** ؛ قاله هشام بن عبيد الله الرازي

سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٤٦

٣- **ذكر آخر غير القرآن** ؛ قاله أحمد بن حنبل

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٢٩ – الأزهرية

(فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ) الأنبياء ٨٧

١- **ظن أن لا يأخذه العذاب الذي أصابه** ؛ قاله ابن عباس

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٣٧٨ – ٣٧٩

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٧٠ – الأزهرية

٢– **فظن أن لن نعاقبه** ؛ قاله مجاهد والحسن البصري وقتادة بن دعامة والفراء

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٣٧٩

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٧١ – الأزهرية

معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٠٩

٣– **لن نضيق عليه وأنا نخليه ونهمله** ؛ قاله ابن قتيبة

تأويل مشكل القرآن ص٤٠٨

٤– **من التقدير ليس من القدرة** ؛ قاله ثعلب النحوي والزجاج وغلام ثعلب

الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٢٧١

معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٤٠٢

ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص٣٦٣

٥– **فظن أن لن نحكم عليه بما حكمنا** ؛ قاله ابن شجرة

النكت والعيون ٣ / ٤٦٦

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) النور ٣٥

١– **مزين السماوات والأرض** ؛ قاله أبيّ بن كعب وأبو العالية والحسن البصري وسهل التستري

التفسير الكبير

الكشف والبيان ٧ / ١٠٠

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٦ / ٤٥

تفسير سهل التستري ص٢٠٦

٢- **هادي أهل السماوات والأرض** ؛ قاله ابن عباس وأنس بن مالك وابن قتيبة والطبري والطبراني

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٨ / ٢٥٩٣ رقم ١٤٥٥٠

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٢٠١ رقم ٣٣٠

تأويل مشكل القرآن ص٣٢٨

التفسير الكبير

٣- **يدبر الأمر فيهما** ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والزجاج

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٢٩٦

معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٤٣

٤- **منوِّر السماوات والأرض** ؛ قاله الضحاك والحسن البصري

التفسير الكبير

البحر المحيط ٦ / ٤١٨

٥- **هدى السماوات والأرض** ؛ قاله يحي بن سلام

تفسير يحي بن سلام ١ / ٤٤٨

٦- **حق أهل السماوات والأرض** ؛ قاله ثعلب النحوي

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٩٥ - الأزهرية

(وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ) النور ٣٩

- **عند عمله** ؛ قاله الفراء وابن قتيبة والنحاس

معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٥٤

تأويل مشكل القرآن ص٣٢٩

معاني القرآن الكريم للنحاس ٤ / ٥٤١

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص ٨٨

١- **إلا ما أريد به وجهه** ؛ قاله ابن عباس وأبو العالية وسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١١ / ٥٢٥ (عن تفسير عبد بن حميد)

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٩ / ٣٠٢٨ رقم ١٧٢١٤

شعب الإيمان ٥ / ٣٥٠ رقم ٦٨٩٤

حقائق التفسير ٢ / ١١٢

٢- **علم العلماء** ؛ قاله مجاهد

مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢ / ٦٦٢

النكت والعيون ٤ / ٢٧٣

٣- **إلا هو** ؛ قاله الضحاك ويحي بن سلام والفراء ومعمر بن المثنى والزجاج والطبراني

النكت والعيون ٤ / ٢٧٣

تفسير يحيي بن سلام ٢ / ٦١٤

معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٤

مجاز القرآن ٢ / ١١٢

معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٥٨

التفسير الكبير

٤- **إلا دينه** ؛ قاله جعفر الصادق

الكشف والبيان ٧ / ٢٦٧

الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٣١

مجموع الفتاوى ٢ / ٤٢٧

٥- **إلا جاهه الذي جعله في الناس** ؛ قاله معمر بن المثنى

معاني القرآن الكريم للنحاس ٥ / ٢٠٧

البحر المحيط ٧ / ١٣٣

الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٣١

٦- **إلا ملكه** ؛ قاله البخاري وابن كيسان

صحيح البخاري ٦ / ١١٢ - دار طوق النجاة - النسخة اليونينية

الكشف والبيان ٧ / ٢٦٨

(وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) الروم ٢٧

١- **هيّن عليه وما شيء عليه بعزيز** ؛ قاله الربيع بن خيثم وابن عباس والحسن البصري وقتادة بن دعامة ومعمر بن المثنى وكثير من أهل اللغة

الكشف والبيان ٧ / ٣٠٠

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣ / ٤٣٢

معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٨٣

٢ – **هو أهون عليه في العبرة عندكم ليس أن شيئاً يعظم على الله عز وجل** ؛ قاله الشافعي

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٦٦ – الأزهرية

أحكام القرآن للبيهقي ص٥١ – إحياء العلوم

مناقب الشافعي للبيهقي ١ / ٢٨٩

٣ – **أهون عليه عندكم لأنكم أقررتم بأنه بدأ الخلق وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه** ؛ قاله المبرد والزجاج

الكامل ٢ / ٨٧٨

معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٨٣

(مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) يس ٧١

١ – **القوة** ؛ قاله الحسن البصري والماتريدي والنحاس

تفسير يحيى بن سلام ٢ / ٨١٩ (عن تفسير الحسن البصري)

تأويلات أهل السنة ٨ / ٥٣٨

معاني القرآن الكريم ٥ / ٥١٨

٢ – **من صنعتنا** ؛ قاله السدي

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١٠ / ٣٢٠١ رقم ١٨١١٣

(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) الصافات ٩٩

١ – **ذاهب بعمله وقلبه ونيته** ؛ قاله قتادة بن دعامة

٢ – **مهاجر من الأرض المقدسة لعبادة الله** ؛ قاله الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ٥٧٦

٣- **هاجر إلى الأرض المقدسة** ؛ قاله النحاس

معاني القرآن الكريم ٦ / ٤٦

(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) الفتح ١٠

١ - **يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير** ؛ قاله ابن عباس والفراء

الكشف والبيان ٩ / ٤٥

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٧ / ٣٠٠

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٧ / ٣٨٩

معاني القرآن للفراء ٣ / ٦٥

٢ - **منته وإحسانه** ؛ قاله الحسن البصري والزجاج

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١١٥

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٢

٣- **قوة الله فوق قوتهم** ، قاله سهل التستري وابن كيسان

تفسير سهل التستري ص٢٥١

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤ / ١٣٦

زاد المسير في علم التفسير ٧ / ٤٢٨

الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٣٠٦

(وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) الذاريات ٤٧

– **بقوة** ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة بن دعامة وعطاء بن أبي مسلم الخراساني وسفيان الثوري ومنصور بن المعتمر والفراء ومعمر بن المثنى والطبري والزجاج والماتريدي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٥٤٥ – ٥٤٦

العظمة ٣ / ١٠٣٤ رقم ٥٥٢

معاني القرآن للفراء ٣ / ٨٩

مجاز القرآن ١ / ٤٦

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٥٧

تأويلات أهل السنة ٩ / ٣٩٠

(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) الطور ٤٨

١ – **بعلمنا** ؛ قاله السدي والماتريدي

النكت والعيون ٥ / ٣٨٧

تأويلات أهل السنة ٩ / ٤١٤

٢ – **بالرعاية والكلاءة والرضا والمحبة والحراسة من الأعداء** ؛ قاله التستري

تفسير سهل التستري ص٢٦١

٣– **بمرأى منا نراك ونحوطك ونحفظك** ؛ قاله الطبري والزجاج والطبراني

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٦٠٥

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٦٨

التفسير الكبير

(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) النجم ٨

- من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثمّ مسافة ، إنما التداني أنه كلما قرب منه بعّده عن أنواع المعارف إذ لا دنو ولا بعد ؛ قاله جعفر الصادق

الرسالة القشيرية ص١٨

(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) القمر ١٤

١ - **بأمرنا** ؛ قاله الضحاك وسفيان بن عيينة

النكت والعيون ٥ / ٤١٣

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٧ / ٥١٨

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ١٢٦

٢ - **بمرأى منا** ؛ قاله الطبري والزجاج

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ١٢٦

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٨٨

٣ - **بتقديرنا وحفظنا** ؛ قاله الماتريدي

تأويلات أهل السنة ٩ / ٤٤٧

٤ - **بحفظنا ووحينا وأمرنا** ؛ قاله الطبراني

التفسير الكبير

(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) الرحمن ٣١

١- **وعيد من الله عز وجل للعباد وليس بالله شغل** ؛ قاله ابن عباس والضحاك والفراء والطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٢١٦ - ٢١٧

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٥٢ - الأزهرية

معاني القرآن للفراء ٣ / ١١٦

٢- **قصدت قصده أي للحساب** ؛ قاله الكسائي والزجاج

الكشف والبيان ٩ / ١٨٥

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٩٩

٣- **سنعمد** ؛ قاله المبرد

الكامل ١ / ٣٦

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) القلم ٤٢

١- **القيامة والساعة وشدتها** ؛ قاله ابن عباس

معاني القرآن للفراء ٣ / ١٧٧

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٢٦ - الأزهرية

٢- **الأمر الشديد** ؛ قاله سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة بن دعامة ومعمر بن المثنى والزجاج

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٤ / ٦٤٧ (تفسير عبد بن حميد وتفسير ابن المنذر)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ١٨٨ - ١٨٩

مجاز القرآن ٢ / ٢٦٦

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢١٠

٣- **السترة بين الدنيا والآخرة** ؛ قاله الحسن البصري

تفسير السمعاني ٦ / ٢٨

٤- **يُكشَف عن الغطاء** ؛ قاله الربيع بن أنس

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ١٩٥

(لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) الحاقة ٤٥

١- **القوة والقدرة** ؛ قاله ابن عباس والفراء والمبرد والطبري والزجاج وأبو بكر السجستاني وعامة أهل البيان

الكشف والبيان ١٠ / ٣٢

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٨ / ٢١٤

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٨ / ٢٦٩

معاني القرآن للفراء ٣ / ١٨٣

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٢٤٣

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢١٨

نزهة القلوب ص٢٢٩

٢- **انتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا** ؛ قاله مجاهد

تفسير السمعاني ٦ / ٤٢

٣- **بالحق** ؛ قاله الحكم بن عتيبة والسدي وثعلب النحوي

الجامع لأحكام القرآن ٢١ / ٢١٥

اللباب في علوم الكتاب ١٩ / ٣٤٤

تفسير السمعاني ٦ / ٤٣

٤ - **أقام اليمين مقام القوة لأن قوة كل شيء في ميامنه** ؛ قاله ابن قتيبة

تأويل مشكل القرآن ١٥٤

(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) القيامة ١٨

١ - لابن عباس ثلاثة تأويلات هي : **بيّنّاه** ، **أنزلناه** ، **إذا أتاه جبريل استمع**

صحيح البخاري ٦ / ١٦٣ - دار طوق النجاة - النسخة اليونينية

تفسير النسائي ٢ / ٤٨٠ رقم ٦٥٤

٢ - **قرأه عليك جبريل** ؛ قاله الفراء

معاني القرآن للفراء ٣ / ٢١١

٣ - **جمعناه** ؛ قاله البخاري والماتريدي

صحيح البخاري ٦ / ٩٩ - دار الطوق النجاة - النسخة اليونينية

تأويلات أهل السنة ١٠ / ٣٤٧

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) الإنسان ٩

١ - **طلب رضا الله والقربة إليه** ؛ قاله الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٥٤٦

٢ - **طلب ثوابه** ؛ قاله الزجاج

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥٩

(وَجَاء رَبُّكَ) الفجر ٢٢

١- **أمره وقضاؤه** ؛ قاله الحسن البصري والطبراني

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤ / ٤٨٤

الكشف والبيان ١٠ / ٢٠١

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٨ / ٤٢٢

التفسير الكبير

٢- لأحمد بن حنبل قولين هما : **جاء ثوابه** ؛ **قدرته**

مناقب أحمد للبيهقي (مخطوط)

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١١٠

البداية والنهاية ١٠ / ٣٦١

نهاية المبتدئين في أصول الدين ص٣٥

(وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)

١- **من أتاني مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه** ؛ قاله ابن قتيبة

تأويل مختلف الحديث ص٣٢٧

٢- **إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وبما أمرت تسارع إليه مغفرتي ورحمتي** ؛ قاله الترمذي وبعض السلف الصالح

سنن الترمذي ٥ / ٥٨١

(ينزل ربك)

١- **الاطلاع والإقبال على عباده ، يعني ينظر إلى عباده بالرحمة** ؛ قاله علي بن أبي طالب

بحر الكلام ص١١٢

٢- **ينزل أمره وتنزل رحمته** ؛ قاله مالك بن أنس ويحيى بن بكير وقوم من أهل الأثر

التمهيد لابن عبد البر ٧ / ١٤٣

سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٥

الرسالة الوافية ص١٣٦

شرح النووي على صحيح مسلم ٦ / ٣٧

الإنصاف للبطليوسي ص٨٢

٣- **نزوله إقباله** ؛ قاله حماد بن زيد

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٢١ - الأزهرية

٤- **ينزل بعلمه وقدرته وعظمته** ؛ قاله أحمد بن حنبل

شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢ / ٤٥٣ رقم ٧٧٧

فتح الباري لابن رجب ٣ / ١١٧ - الغرباء الأثرية

تفسير ابن رجب الحنبلي ١ / ١٤٢ - العاصمة

(حتى يضع الجبار قدمه فيها)

١- **الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها** ؛ قاله الحسن البصري

تهذيب اللغة ٩ / ٤٥

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١٧٠

دفع شبه من شبَّه وتمرَّد للتقي الحصني بتحقيق الكوثري ص٢٢ - الأزهرية

٢- **من سبق في علمه أنه من أهل النار** ؛ قاله النضر بن شميل

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٣٠ و٣٣١ - الأزهرية

مشكل الحديث ص٦٠ - ٢٢٧

عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥ / ١٣٦

٣- **القدم المتقدم في الشرف والفضل خصوصاً** ؛ قاله ابن الأعرابي

مشكل الحديث ص٦٠

الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب ص٨٣

٤- **حتى يضع الرب جلا وعلا موضعاً من الكفار والأمكنة في النار** ؛ قاله ابن حبان

صحيح ابن حبان ١ / ٥٠٢ - حديث رقم ٢٦٨

(إصبعين من أصابع الرحمن)

- **بين أثرين من آثار الرحمن وهو التوفيق والخذلان ، فمن وفَّقه الله يشتغل بالطاعة ، ومن خذله يشتغل بالمعصية** ؛ قاله عبد الملك الأصمعي

بحر الكلام ص١٠٩

ولنسلم جدلاً أن الصحابة والتابعين لم يمارسوا التأويل التفصيلي في نصوص الصفات ، فمذهب الصحابي مختلف في كونه حجة عند علماء الأصول ، فكيف بمذهب التابعين وتابعي التابعين ؟!

نضيف لهذا أن التأويلات المطلوبة والتي ينكرها القوم على المنزهين موجودة في الكتاب والسنة ، مما يغني عن البحث في تأويلات السلف الصالح ، وكلٌّ يُؤخَذُ منه ويُردُّ عليه إلا كتاب الله وسنة نبيه صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله

ص٢٣٦ – ٢٣٧ استنكر قول المؤلفين أن يكون نفي الكيفية المراد به زجر السائل عن البحث والتقصي

الكيفية لغة : لفظ ينسب إلى كيف التي يسأل بها عن الحال

قال العلامة الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) :

(والكيف : هيأة قارة في الشيء لا يقتضي قسمة ولا نسبة لذاته.

فقوله : (هيأة) يشمل الأعراض كلها

وقوله : (قارة في الشيء) احتراز عن الهيأة غير القارة كالحركة والزمان والفعل والإنفعال

وقوله : (لا يقتضي قسمة) يخرج الكم

وقوله : (ولا نسبة) يخرج باقي الأعراض النسبية

وقوله : (لذاته) ليدخل فيه الكيفيات المقتضية للقسمة أو النسبة بواسطة اقتضاء محلها ذلك ، وهي أربعة أنواع : المحسوسة – النفسانية – المختصة بالكميات — الاستعدادية التهيؤ")

التعريفات للجرجاني ص١٥٨ – الفضيلة

راجع أيضاً :

مصباح الأنوار في أصول الدين ص١١١ حتى ١١٧

التعاريف للمناوي ص٦١٤

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢ / ١٣٩٤ حتى ١٣٩٦

ومذهب القوم هو تفويض الكيف وهو مذهبٌ مضطربٌ فيه ركاكة إذ أنه لم يضبط عقيدة القوم في صفات الله عز وجل ، فربما يقف أحدهم على أحد الألفاظ الموهمة وينكشف له وجه التأويل فلا يثبت بلفظه صفة أثبتها غيره من صفات الله عز وجل ، وواقع حالهم يثبت استحالة اتفاقهم على حصر هذه النصوص وعدِّ صفات الله عز وجل التي تثبت بها ، وأبعدُ منه استحالةً أن يجمعوا في كل نصٍّ أثبتوا به صفة روايةً عن واحد من الصحابة أو التابعين ينصُّ فيها على عدِّها من صفات الله عز وجل ، وأبرز مثال على ذلك هو أن الناقد يهرب من تأويلات السلف زاعماً أنهم مختلفون في عدِّ الآية من نصوص الصفات كما فعل عند نقده لبعض التأويلات التي عرضها المؤلفان في كتابهما

فكيف وهم يحكون هذا المذهب – أي تفويض الكيف – عن جميع السلف ؟!

كيف وهم أنفسهم يختلفون في عدِّ هذه الصفات ؟!

وهذا الاختلاف يهدم هذا المسلك لأنهم لم يذكروا ضابطاً لهذه النصوص التي يعدُّونها من نصوص الصفات ، فإذا أخرج أحدهم نصًّا منها وسلك به مسلك التأويل (كتجويزهم تأويل المعية بالعلم ، وتأويل الوجه بالقبلة ، وتأويل أتيته هرولة بالإسراع في الخير وغيره) ، لزمه جواز التأويل في غيره إلا أن يذكر فرقاً بين النصوص ودونه خرط القتاد ، وقبولهم بهذه التأويلات يفسد منهجهم أكثر وأكثر لأنهم يزعمون أن التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ليس موجوداً في الكتاب والسنة ولا في كلام السلف ، بل هو تعطيل وطاغوت وإلحاد

ومهما اختلفت الاصطلاحات في الظاهر والتفسير والتأويل فإنه لو عوملت جميع النصوص الواردة في الباب بمثل ما عوملت به آيات المعية والقرب لكان النزاع بين أهل السنة وبين القوم نزاعاً لفظياً فقط

والتفويض في المتشابهات : هو رد العلم التفصيلي بها إلى الله عز وجل مع الاكتفاء بالفهم الإجمالي للآيات والأحاديث الواردة في ذلك تبعاً للسابق واللاحق من الكلام والعمل بما سيق الكلام من أجله من الترغيب في أعمال الخير مع تنزيه الله عن سمات الخلق

فالتفويض ليس تجهيلاً للسلف كما يزعم البعض ، بل إن السلف رضي الله تعالى عنهم فهموا من هذه الآيات والأحاديث ما وقع الترغيب فيه من الأعمال وما وقع الخبر عنه من فضل الله ، وكانوا أحرص الناس على ذلك مع تنزيههم لله عز وجل

قال الشيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ) :

(التكييف ذكر كيفية الصفة سواء ذكرتها بلسانك أو بقلبك)

المحاضرات السنية ١ / ٩٦

وقال الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان :

(التكييف تعيين كنه الصفة ، يقال : كيَّف الشيء أي جعل له كيفية معلومة)

مختصر الأجوبة الأصولية على الواسطية ص٢٥

قلت : وهذا تفسيرٌ صُنِع خصيصاً ليلبِّسوا به لفظ الكيفية التي أثبتوها لأن التكييف إثبات لكيفية معلومة كانت أو مجهولة ، **فلو أثبت شخص لله شبهاً فهو** ((**مشبِّه**)) ، **بصرف النظر إن ادّعى أنَّ التشبيه الذي أثبته معلوم أو مجهول** ، **وقِس على ذلك**

قال الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) :

(كيف : **كيف لفظٌ يُسألُ به عمَّا يصح أن يُقال فيه شبيه وغير شبيه كالأبيض والأسود والصحيح والسقيم** ، ولهذا لا يصح أن يُقال في الله عز وجل كيف ...)

المفردات في غريب القرآن / مادة شبه ص٤٤٤ – المعرفة

والماهيتان قد تشتركان في جميع ذاتياتهما مع اختلاف في المماثلة كالاشتراك بين الإنسان والإنسان

وقد تشترك الماهياتان في بعض ذاتياتهما مع اختلاف في المماثلة كاشتراك الإنسان مع الحيوان ، ومثال ذلك : إن للمرء يد حقيقية وللأسد يد حقيقية (وأعني بالحقيقية الجارحة) ، فيُقال في هذا أن يد المرء لا تماثل يد الأسد ، لكنهما يشتركان في حقيقة اليد ، إذ معنى اليد عند الاثنين واحد وهو الجارحة

فإن عنى القوم هذا المعنى الذي صوَّرناه في نفيهم المثيل لله جل جلاله ، فهذا يعدُّ منهم تشبيهاً محضاً بغض النظر عن ادِّعائهم بعد ذلك أن الله لا يشبهه شيء ؛ لأنهم حملوا صفات الله جل جلاله على معنى من المعاني الموجودة عند المخلوق ، ومن وصف الله بمعنى من معاني المخلوق فهو مشبِّه ، ويكشف الشيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ) عن حقيقة التنزيه المعتمد عندهم فيقول :

(إن الله عز وجل له وجه وله عين وله يد وله رجل عز وجل ، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان ، **فهناك شيء من الشبه لكنه ليس على سبيل المماثلة** ، كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر لكن بدون مماثلة ، وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ، من أن جميع صفات الله سبحانه وتعالى ليست مماثلة لصفات المخلوقين ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل)

شرح العقيدة الواسطية ١ / ١١٠ – ١١١

مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨ / ٨٩

وقال أيضاً :

(**أن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح** ؛ لأن ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه ، والاشتراك نوع تشابه ، فلو نفيت التشبيه مطلقاً ؛ لكنت نفيت كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق في شيء ما

مثلاً : الوجود ؛ يشترك في أصله الخالق والمخلوق ، هذا نوع اشتراك ونوع تشابه ، لكن فرق بين الوجودين ، وجود الخالق واجب ووجود المخلوق ممكن

وكذلك السمع ؛ فيه اشتراك ، الإنسان له سمع ؛ والخالق له سمع ؛ لكن بينهما فرق ، لكن أصل وجود السمع المشترك

فإذا قلنا : من غير تشبيه. ونفينا مطلق التشبيه ، صار في هذا إشكال)

شرح العقيدة الواسطية ١ / ١١٢

مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨ / ٩٠

قلت : ونلاحظ هنا أن الشيخ ابن عثيمين يقيس صفات الله على الأعيان بقوله (**ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه** ، والاشتراك نوع تشابه ، فلو نفيت التشبيه مطلقاً ؛ لكنت نفيت كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق في شيء ما)

فقد قال ربنا عز وجل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى ١١

ولفظة (شيء) نكرة ، والنكرة في سياق النفي يفيد العموم ، قال الإمام أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ) :

(واعلم أن المثل المطلق للشيء هو ما يساويه في جميع أوصافه ، ولم يتجاسر أحد من الخلائق على إثبات المثل المطلق لله ، بل من أثبت له شريكاً ادَّعى أنه كالمثل له يعني يساويه في بعض صفات الإلهية ، **فالآية ردٌّ على من زعم التساوي من وجه دون وجه**)

الكليات ص٨٥١ – الرسالة

قال النحوي ابن بري (٥٨٢هـ) :

(إذا قيل هو مثل على الاطلاق فمعناه أنه يسد مسده ، **وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة**)

لسان العرب ١١ / ٦١٠

قال اللغوي ابن سيده (٤٥٨هـ) :

(وذلك نحو قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) تقديره والله أعلم ليس مثله شيء ، **ولا بد من اعتقاد زيادة الكاف ليصح المعنى** ؛ لأنك إن لم تعتقد ذلك أثبت له عز اسمه مثلاً ، وزعمت أنه ليس كالذي هو مثله شيء ، فيفسد هذا من وجهين ؛ أحدهما ما فيه من إثبات المثل لمن لا مثل له عزَّ وعلا علواً كبيراً ، والآخر أن الشيء إذا أثبت له مثلاً فهو مثل مثله ؛ **لأن الشيء إذا ماثله شيء فهو أيضاً مماثل لما ماثله ، ولو كان ذلك كذلك على فساد اعتقاد معتقده لما جاز أن يقال ليس كمثله شيء** ...)

المحكم والمحيط الأعظم ٧ / ١٤٩

وليس صحيحاً أن هنالك وجه شبه بين أصل وجود الخالق والمخلوق ، فوجود الله وجود أزلي ذاتي ووجود المخلوق عدمي تحت مشيئة الباري جل جلاله. وقِس على ذلك

قال الإمام أبو الحسن علي بن محمد المزين (٣٢٨هـ) :

(التوحيد : أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلقه ، **باينهم بصفاته قدماً كما باينوه بصفاتهم حدثاً**)

الرسالة القشيرية ص٧٥

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(ثم يعلم أن صانع العالم لا يشبه شيئاً من العالم **لأنه لو أشبه شيئاً من المحدثات بجهة من الجهات لأشبهه في الحدوث من تلك الجهة** ، ومحال أن يكون القديم محدثاً أو يكون قديماً من جهة حديثاً من جهة ...)

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص٩ - ١٠

وجاء أحدهم ليكحِّل كلام الشيخ ابن عثيمين فعمَاه ، وذكر أن الشيخ يقصد الاشتراك في مسمَّى الصفات الذهني بين الخالق والمخلوق ، وأن هذا لا يلزم أي تشابه أو تماثل في الخارج بين الخالق والمخلوق

قلت : وهذا يفسِّر أن القوم قد أثبتوا صفات الباري جل جلاله بعد أن عقلوا معناها مما عقلوه موجوداً عند المخلوقات ، وعلى هذا فالقوم يتوهَّمون أن إثبات الصفات التي يُسمونها بالعينية على حقيقتها للخالق والمخلوق ليس تشبيهاً ، إذ التشبيه هو إثبات الاشتراك الخارجي لا الذهني

وإذا سألناهم عن مصدر هذا الاشتراك الذهني ، لرأينا ألا مستند لهم فيه من الشرع ، بل هي فرضية وهمية أفرزتها عقولهم المتشوِّفة للحس ، فأثبتوا أموراً وهمية لم تنطق بها النصوص ولم يشهد لها العقل ، وقد أجمع سلف الأمة على أن صفات الله لا تُتوهَّم ، وأن كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك

قال الإمام أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد النيسابوري (٢٦٠هـ) :

(من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة **ولم يتهم خواطره** فلا نعده في ديوان الرجال)

الرسالة القشيرية ص٤٥

قال الإمام أبو علي أحمد بن محمد القاسم بن منصور الروذباري (٣٢٢هـ) :

(التوحيد : استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل ، وإنكار التشبيه ، والتوحيد في كلمة واحدة : **كل ما صوَّره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه** لقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) الشورى ١١)

وقال أيضاً :

(كلُّ ما توهَّمه متوهِّم بالجهل أنه كذلك ، فالعقل يدلُّ على أنه بخلافه)

الرسالة القشيرية ص١٦ – ١٧

قال الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن داود الرقيّ (٣٢٦هـ) :

(المعرفة : **إثبات الحق على ما هو خارجاً عن كل ما هو موهوم)**

الرسالة القشيرية ص٦٨

نضيف لهذا أن صفات الله عز وجل لا تقاس بالذهن ولا تدرَك بالعقل ، فكيف عرف القوم أن هذا الاشتراك لا يوجب تشابهاً وتماثلاً بين الخالق والمخلوق ؟!

ومن أسرار (ليس كمثله شيء) أنها على جميع الوجوه التي ذكرها العلماء في تفسيرها لا يطمع المجسم في الظفر منها بشبهة ينفذ بها إلى التجسيم ، فكان اختلاف تفاسير أهل الشأن زيادة في مواضع مقامع التنزيه التي تنهال على رؤس المجسمة

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٣هـ) :

(المثل شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى)

العين ٨ / ٢٢٨

قال اسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) :

(إنما يلزم المسلم الأداء ويوقن بقلبه أن ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته ، **ولا يعقل نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرَّفهم الربُّ عز وجل ، فأما أن يدرك أحد من بني آدم تلك الصفات فلا يدركه أحد)**

مجموع الفتاوى ٤ / ١٨٥ (عن السنة لأبي الشيخ الأصبهاني)

وفي مسألة البحث يقول الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) :

(الأجسام بينها قدر مشترك وهو جنس المقدار كما يقولون ما يمكن فرض الأبعاد الثلاثة فيه)

ثم يقول "في رد قول من قال إنه جسم كالأجسام" :

(هذا وإن قال إنه كالأجسام المخلوقة في القدر المشترك بينها ، بحيث يجوز عليه ما يجوز على المجموع ، لا على كل واحد واحد فهذا أيضاً قول معلوم الفساد ، ولا نعرف قائلاً معروفاً يقول به ، فإن هذا هو التشبيه والتمثيل الذي يعلم تنزه الله عنه ، إذ كان كل ما سواه مخلوقاً والمخلوقات تشترك في هذا المسمى فيجوز على المجموع من العدم والحدوث والافتقار ما يجب تنزيه الله عنه. بل لو جاز ووجب وامتنع عليه ما يجوز ويجب ويمتنع على الممكنات والمحدثات لزم الجمع بين النقيضين .....

فتنزيه الله عما يستحق التنزيه عنه من مماثلة المخلوقين يمنع أن يشاركها في شيء من خصائصها سواء كانت تلك الخاصة شاملة لجميع المخلوقات أو مختصة ببعضها)

درء تعارض العقل والنقل ٤ / ١٤٣ - ١٤٤

قلت : وفي هذا النص أربع نقاط :

الأولى : إثبات اشتراك الأجسام في قدر مشترك وهو جنس المقدار أو قبول الأبعاد الثلاثة

الثانية : أن هذا الاشتراك يعني أن يجوز على كل واحد من المشتركين في هذا القدر ما يجوز على الآخر وأنه يجب له ما يجب له وأن يمتنع عليه ما يمتنع عليه

الثالثة : أن هذا الاشتراك في هذا القدر هو التماثل الذي يعلم تنزه الله عنه

الرابعة : تأكيد أن نفي المماثلة لا يستقيم معه إثبات شيء من خصائص المخلوقات

فيُقَال : هذه النقاط هي أركان الدليل الذي نفاه الإمام ابن تيمية ، فلم ينفِ إلا ألفاظاً واصطلاحات مع أنه أثبت المعنى والدلالة ولكن بعبارات غير عبارات المتكلمين ولكن تتضمن نفس المعنى ، فما الذي يمنع أن نصطلح في هذا القدر المشترك وهو جنس المقدار أنه حقيقة كل جسم وماهيته ، وأن المشارك له فيه مثلٌ له ، وأن الله عز وجل تنزَّه عن أن يكون له مثل وأن يشترك مع شيء في الحقيقة أو الماهية فلا يشارك الجسم في الأحكام الواجبة والجائزة والممتنعة ولا يثبُت له شيء من خصائص الجسم ولوازمه ؟

وليس أدل على تناقض الإمام ابن تيمية في هذه المسألة وغيرها من قوله (التشابه الذي هو التماثل لا يكون بالموافقة في بعض الصفات بل بالموافقة في جميع الصفات الذاتية التي يقوم بها إحداهما مقام الآخر)

فكيف يستقيم هذا مع ما سبق من دعواه أن المتكلمين استعملوا المماثلة في معنى ليس هو في لغة العرب ولا في لغة غيرهم ؟

ثم إنَّ تحمس ابن تيمية في إنكار أن يكون المثل مستعملاً في لغة من لغات الأمم فضلاً عن لغة العرب بمعنى المشاركة في الحقيقة وما عدَّه افتراءً على لغة القرآن تهويلٌ يكفي في رده الاستشهاد باستعمال القرآن الكريم للمماثلة بمعنى المشاركة في الحقيقة.

قال تعالى (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) إبراهيم ١١ ، وقال تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) الكهف ١١٠ ، وقال تعالى (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) المؤمنون ٢٤ ، وقال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) الإسراء ٩٩

ويظهر بأدنى تأمل أن الآيات الكريمة تثبت المماثلة بين جميع البشر ، بل بين رسل الله عز وجل وبين من كفر من قومهم ، فهل ثمَّة اشتراك بين رسل الله عز وجل وبين الكفار غير الاشتراك في البشرية أو الانسانية ؟

ما الذي يشترك فيه جميع البشر فتتحقَّق به المماثلة بينهم غير الاشتراك في الحقيقة أو النوع ؟

وإذا ثبت استعمال القرآن الكريم للمماثلة بمعنى المشاركة في الحقيقة فإن الاستشهاد بلغة العرب ولغة سائر الأمم تطويل بلا طائل

وقد اعترض الإمام ابن تيمية على طريقة الاستدلال بقوله تعالى (ليس كمثله شي) فقال :

(..ومنشأ الغلط من الاشتباه والاشتراك والإجمال في لفظ الجسم ولفظ المثل

فيقال : الجسم في لغة العرب هو البدن وهو عندكم ما يمكن الإشارة إليه ، فالهواء والماء والنار ونحو ذلك ليس جسماً في لغة العرب ، وهو في اصطلاحكم جسم

وإذا كان الجسم في لغة العرب أخص منه في عرفكم ، وقد علم بصريح العقل أن الذهب ليس مثل الفضة ولا الخبز مثل التراب ولا الدم كالذهب فما يسمى في لغة العرب جسداً وجسماً ونحو ذلك ، هو مما يعلم أنه ليس متماثلاً بصريح العقل والحس ، فكيف بما هو أعم من ذلك ؟ مثل كونه يشار إليه أو كونه يقبل الأبعاد الثلاثة : الطول والعرض والعمق ؟ .....

ثم يقولون مع هذا إن كل ما وصف بهذه المعاني العامة فإنه يجب أن يكون متماثلاً مستوياً في الحد والحقيقة لا يختلف إلا باختلاف أعراضه

فهذا القول من أبعد الأقوال عن المعقول الذي يعرفه الناس بحسهم وعقلهم. ثم بتقدير أن يكون كذلك فلا يتمارى عاقلان أن لفظ المثل في لغة العرب وسائر الأمم ليس المراد به هذا. وأنه إذا قيل : إن كذا مثل كذا أو ليس مثله ، وهذا ليس له مثل ، فإنه ليس المفهوم من المثل كون هذا بحيث يشار إليه أو كون كل منهما له قدر أو له طول وعرض وعمق لا بالمعنى اللغوي ولا بما هو أقرب إليه فضلاً عن اصطلاحهم.

ونحن نعلم بالضرورة من لغة العرب أنهم لا يقولون الجبل مثل النار ولا الهواء مثل الماء ولا الجمل مثل البقر ولا الشمس والقمر مثل الذهب والفضة ، مع اشتراكهما في كثير من الصفات الزائدة على مطلق المقدار ، بل قد نفي في القرآن كون الشيء مثلَ غيره مع كون كل منهما جسماً بل حيواناً بل إنساناً ...)

درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١١٢ - ١١٣ - ١١٤

وقال أيضاً :

(إذا قالوا الموصوفات تتماثل والأجسام تتماثل وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى ١١ على نفي مسمّى هذه الأمور التي سمّوها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث كان هذا افتراءً على القرآن ، فإن هذا ليس هو المثل في لغة العرب ولا لغة القرآن ولا غيرهما. قال تعالى (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) محمد ٣٨

فنفى مماثلة هؤلاء مع اتفاقهم في الانسانية ، فكيف يقال إن لغة العرب توجب أن كل ما يشار إليه مثلٌ لكل ما يشار إليه. وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) الفجر ٦ – ٧ – ٨ فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد ، فكيف يقال إن كل جسم فهو مثل لكل جسم في لغة العرب حتى يحمل على ذلك قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى ١١)

قلت : إن علماء التوحيد لما حقَّقوا الكلام في المثلين لم يهملوا هذا الفارق فنظروا فيما يصح في اللغة أن يحكم بتماثله على الإطلاق دون التقيد بوجه من وجوه المماثلة ثم سبروا ما في المتماثلين من المعاني المشتركة واختبروها فوجدوا أنه لا يصح في اللغة أن تطلق المماثلة مجردة عن التقدير بوجه من وجوهها على مشتركين في اللازم فلا يقال الثلج مثل البيض لمجرد اشتراكهما في اللون ولزومه لكليهما ، إلا أن تقول الثلج مثل البيض في اللون.

ولا تطلق أيضاً على مشتركين في العرضيات فلا يقال : الإنسان المتحرك مثل الفرس المتحرك إلا على إرادة تفيد المماثلة بالاشتراك في هذا العرضي ، ووجدوا أنه حيث أطلقت المماثلة كان طرفاها مشتركين فيما اصطلحوا على تسميته بتمام الماهية ، فصحَّ أن يقال إن المثل إذا أطلق مجرداً عن التقييد بوجه من الوجوه يراد في لغة العرب المشارك في تمام الماهية ، فالاصطلاح الحادث في تسمية ما اشترك به طرفا المماثلة ، لا في استعمال المثل استعمالاً يخالف لغة القرآن

فأغلب عناية الإمام ابن تيمية واعتراضاته ينصب على الألفاظ والاصطلاحات مع أن المعنى الذي يصفه بمخالفة الكتاب والسنة وأقوال الأئمة والعقل يثبته في مكان آخر ولكن بنحو ألفاظ المتكلمين

أما الأمثلة التي ذكرها ابن تيمية فلا ترد على ما سبق ، لأن المثل استُعمِل فيها مقيّداً بوجه من وجوه المماثلة. أما قوله تعالى (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) محمد ٣٨ ، فالمراد أمثالكم في التولي والزهد في الإيمان ، وأما قوله تعالى: (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) الفجر ٨ ، فالمراد مثلها في الجبروت والإجرام ، ولا يخفى أن إجمال وجه الشبه وعدم التصريح به جارٍ على أساليب العرب المعروفة في التشبيه فلا يخفى أن القائل محمد مثل الأسد لا يدَّعي أنه مثلُه من كل وجه ، بل لا فرق بين هذا القول وبين قوله محمد أسد وقوله محمد مثل الأسد في الشجاعة إلا ما يفيده الحذف من المبالغة في المشاركة في وجه الشبه على ما هو معروف في البلاغة

وبالجملة فلا يدل نفي المماثلة في وجه من الوجوه على عدم جواز إطلاق المماثلة في وجه آخر ولا يدل أيضاً على انتفاء المماثلة المطلقة بينهما ، ففي الآية التي استشهد بها ابن تيمية لا يدل انتفاء المماثلة بين القومين في التولي والزهد في الإيمان على عدم اتفاقهم في الانسانية وتماثلِهم فيها. ولا على أن المثل في لغة القران لا

يستعمل في المتفقين في تمام الماهية ، إذ لامانع في اللغة والاصطلاح أن تقول : هذا الإنسان الذي هو مثل هذا الإنسان في الإنسانية ليس مثلَه في الطول ولا في العرض ولا في نحو ذلك مما هو خارج عن الحقيقة أو الماهية.

أما الكيف فهو في كلام السلف الصالح يأتي على معنيين :

المعنى الأول بمعنى الجسمية ، والمعنى الثاني حقيقة الصفات وكنهها

قال إمام الهدى أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) :

(والسؤال عن الكيفية يحتمل وجهين : أحدهما طلب المثال له ، أن يكون مثْلاً لشيء من الأشياء ؛ والله واحد يجلّ عن الأشباه. وثانيهما يحتمل : كيف صفته ؟ فجوابه : مثل الأول أن ليس لصفته كيف ، إذ هو طلب المثال ، و هو يتعالى عن الشبْه بالذات والصفة ؛ إلا أن يريد به : أيوصف هو ؟ قيل : بلى ، بما وصف به نفسه من الرحمة والعلم والقدر)

التوحيد ص١٧٤

وعلى هذا فإن المنفي المرفوع هو الكيف بمعنى الجسمية ، والمثبت المجهول هو الكيف بمعنى حقيقة الصفات وكنهها. وإليك بيان أقوال أهل العلم :

قال سيدنا جعفر الصادق (١٤٨هـ) عند قول الله جل جلاله (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) النجم ٨ :

(**انقطعت الكيفية عن الدنو** ...)

حقائق التفسير ٢ / ٢٨٤

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ / ٢٧١

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣ / ١٥٧

قال الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ) :

(الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، **ولا يُقال كيف وكيفٌ عنه مرفوع**)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : سند جيد

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٧٩ – الأزهرية

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٨٩

قال الإمام سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) :

(كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن **فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل**)

شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢ / ٤٣١ رقم ٧٣٦

قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) :

(قال أحمد : ..... ويلزم شرعاً كل مسلم مكلف قادر على معرفة الله بصفاته التي تليق به والإيمان بما صح عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم **مع التنزيه عن التشبية والتجسيم والتكييف والتمثيل والتفسير والتأويل والتعطيل وكل نقص** ...)

المسودة في أصول الفقه ١ / ٤٠٨

قال الإمام ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) :

(ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم في الإفراط في التمثيل **فقالوا بالتشبيه المحض وبالأقطار والحدود ، وحملوا الألفاظ الجائية في الحديث على ظاهرها وقالوا بالكيفية فيها** ...)

الرد على الجهمية والمشبهة ص٤٠ – العلمية

قال الإمام الترمذي (٢٧٩هـ) :

(والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ، ثم قالوا : تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ، ولا يقال : كيف ؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تُروى هذه الأشياء كما **جاءت ويؤمن بها ولا تفسَّر ولا تتوهم ولا يقال : كيف** ، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه)

سنن الترمذي ٤ / ٦٩٢

قال الإمام الأشعري (٣٢٤هـ) :

(الإجماع العاشر

وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ، **ووصف به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكيُّف له** ، وأن الإيمان به واجب ، **وترك التكييف له لازم**)

رسالة إلى أهل الثغر ص٢٣٦

قال الإمام محمد بن خفيف الشيرازي (٣٧١هـ) في كتابه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات :

(... **ولا تدخل أوصافة تحت التكييف والتشبيه ...... واسم الكيفية عن ذلك ساقط**)

مجموع الفتاوى ٥ / ٨٠

قال الحافظ أبو سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) :

(... **والكيفية عن الله وصفاته منفية ..... وتعالى الله أن يكون مُشبَّهاً بشيء أو مُكيَّفاً بصورة خلق أو مُدرَكاً بحدّ. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**)

معالم السنن شرح سنن أبي داود ٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣

قال الإمام أبو نصر السجزي (٤٤٤هـ) :

(**وصفات الباري لا كيفية لها**)

رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص١٩١ – الراية

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) "عند حديث النزول" :

(ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين : منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله ، ووكل علمه إلى الله **ونفى الكيفية والتشبيه عنه** ، ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة .....

سُئِل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث ، فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيفية)

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص٤٤

قال الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) :

(وقال آخرون : ينزل بذاته .....

قال أبو عمر : ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة **لأن هذا كيفية وهم يفزعون منها** ، **لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً** ، **وقد جلَّ الله وتعالى عن ذلك** ، وما غاب عن العيون ، فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه ، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا نتعدَّى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير ، فإنه ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير)

التمهيد ٧ / ١٤٤ – ١٤٥

قال الإمام النسفي (٥٠٨هـ) :

(... **وبهذا يُعرَف فساد قول من زعم من الكرامية أن لله تعالى كيفية لا يعرفها إلا هو** لأنها عبارة عن إلهيات ، والصور والألوان والأحوال وكل ذلك محالٌ عن الله تعالى ، والله الموفق)

التمهيد لقواعد التوحيد ص٣٠ – ٣١

قال الإمام التوربشتي (٦٦١هـ) :

(**بل يُعتقَد أنها صفات لله سبحانه لا كيفية لها**)

الميسَّر في شرح مصابيح السنة ١ / ٥٤

وقال أيضاً :

(وسبيل السلف ..... أن يمروها كما جاءت إيماناً بظاهر القول واجتناباً عن التعرض لباطنه بالتأويل **مع نفي الكيفية** ؛ مخافة ان يلحقهم بذلك درك ، وهذا هو الأحوط والأصلح)

الميسَّر في شرح مصابيح السنة ١ / ٦١

قال الإمام القرافي (٦٨٤هـ) :

(ومعنى قول مالك : الاستواء غير مجهول ، أن عقولنا دالتنا على الاستواء اللائق بالله ، وجلاله ، وعظمته ، وهو الاستيلاء دون الجلوس ، ونحوه مما لا يكون إلا في الأجسام ، وقوله : **والكيف غير معقول معناه : أن ذات الله تعالى لا توصف بما وضعت العرب له كيف ، وهو الأحوال المتنقلة ، والهيئات الجسيمة من التربع وغيره ، فلا يعقل ذلك في حقه تعالى** لاستحالته في جهة الربوبية ، وقوله : والسؤال عنه بدعة ، معناه لم تجرِ العادة في سيرة السلف بالسؤال عن هذه الأمور المثيرة للأهواء الفاسدة ، فهو بدعة)

الذخيرة ١٣ / ٢٤٣

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) :

(فمن سبيلهم في الاعتقاد ..... وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدَّقوه ، **لم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه** ، وأخذ ذلك الآخر عن الأول ووصَّى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أولهم ، وحذَّروا من التجاوز ...)

نقض المنطق ص٢

قال الإمام بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) :

(وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح (٦٤٣هـ) : الناس في هذه الأشياء الموهمة للجهة ونحوها فرق ثلاثة ، ففرقة تؤول ، وفرقة تشبه ، وثالثة ترى أنه لم يطلق الشارع مثل هذه اللفظة إلا وإطلاقه سائغ وحسن ، فنقولها مطلقة كما قالوا **مع التصريح بالتقديس والتنزيه والتبري من التحديد والتشبيه . ولا نَهِمُ بشأنها ذكراً ولا فكراً** ، بل نكل علمها إلى من أحاط بها ، وبكل شيء خبراً. وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمة وسادتها ، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، **ولا أحد من المتكلمين يصدف عنها ويأباها** ، وأفصح الغزالي عنهم في غير موضع بتهجير ما سواها ، حتى ألجم آخراً في إلجامه كل عالم وعامي عما عداها ، قال : وهو كتاب "إلجام العوام عن علم الكلام" وهو آخر تصانيف الغزالي مطلقاً أو آخر تصانيفه في أصول الدين ، حثَّ فيه على مذهب السلف ومَن تبعهم)

البحر المحيط في أصول الفقه ٣ / ٤٤٠

البرهان في علوم القرآن ٢ / ٧٨ - ٧٩

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) :

(والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن أحدٍ منهم خلاف ذلك البتة خصوصاً الإمام أحمد ، **ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل من الأمثال لها** ، وإن كان بعض من كان قريباً من زمن الإمام أحمد فيهم من فعل شيئاً من

ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل فلا يُقتدى به في ذلك ، إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم)

مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ٣ / ١٦ – الفاروق

فضل علم السلف على الخلف ص١٩ – المنيرية

وينبغي الإمساك عن التصرف في تلك الألفاظ بل الإمساك أيضاً عن تفسيرها بلغة أخرى لأن من الألفاظ العربية ما لا يطابقها في غير العربية ، وفي اللغة العربية تراكيبُ لغويةٌ تدل على معان لا تدل عليها بترجمة ألفاظها

ونمسك عن تصريفها فلا نقول في قوله تعالى "الرحمن على العرش استوى " هو المستوي على العرش لأن الفعل يدل على استواء مرتبط بزمان ، واسم الفاعل ليس كذلك ففي مثل هذا التصريف زيادةُ معنى ربما لا يكون مراداً في اللفظ الوارد

ونمسك عن القياس والتفريع على اللفظ الوارد ، فلا نفرّع إثبات الخنصر والإبهام على إثبات اليد كما تجاسر عليه بعضهم

ونمسك عن تجريد اللفظ عن سياقه وسباقه لأن كل كلمة سابقة ولاحقة تؤثر في إفهام المراد ، فإذا بلغنا قول الله عز وجل " وهو القاهر فوق عباده " فلا يجوز أن نقول "هو فوق عباده " لأن لفظ القاهر قبله يشير إلى فوقية الرتبة والقهر ، كما قال تعالى على لسان فرعون "وإنا فوقهم قاهرون" ، ونزعُ لفظِ القاهر يعطل هذا المعنى الذي يحتمله السياق احتمالاً قوياً ويوهم فوقيةً غيرَها لم يكن ليُفطن إليها لولا هذا التجريد عن السياق. بل قولنا "هو القاهر فوق غيره" ليس كقولنا "القاهر فوق عباده " لأن ذكر العبودية مع كونه موصوفاً بأن القاهرَ فوقه يؤكد فوقية السيادة والقهر

إلجام العوام عن علم الكلام ص٦٤ – ٨٤

وقد أخطأ بعض المصنفين لما جمعوا في كتاب واحد أخباراً تحت باب خصُّوه لإثبات اليد ، وخصوا باباً لإثبات الرجل وباباً لإثبات الوجه فقويَ بذلك الإيهام وغلَب الحس

وهذه الألفاظ صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أوقات متفرقة متباعدة محفوفة بقرائن تشير إلى معانٍ صحيحة يضرُّ بها هذا الجمع ويجرِّدها عن قرائنها ويجعل معها قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وإيهام التشبيه ، فصار الإشكال في أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم ينطق بما يوهم خلاف الحق ، بل قال كلمة يتطرق إليها احتمال موهم إذا انضم إليها كلمة ثانية وثالثة ورابعة من جنس واحد ضعُف الانتباه إلى هذا الاحتمال ، لأنه يثبت للآحاد حال الانضمام ما لا يثبت لها حال الانفراد

إلجام العوام عن علم الكلام ص٣٠ (بتصرف)

ص٢٤٦ قام الناقد بتأويل النسيان بالترك قائلاً : (وليس المراد ضد الذكر وإلا لم يؤاخذوا عليه ، وإنما هو تركهم لما أمرهم الله عمداً ، فصار جزاؤهم أن يترك الله رحمتهم وحفظهم)

انظر تصريح الناقد ((وليس المراد)) إذ لو لم يكن هذا ما يُفهَم من ظاهر الكلام لما نفاه البتة ، فالنسيان عرفاً يكون ضد الذكر ، فنقوم بصرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر مقبول في اللغة

قال الحسن البصري (١١٠هـ) :

(إن الله لا ينسى شيئاً ولا يسهو ، ولكن الكفرة يكونون على الكرامة والرحمة والمنزلة كالشيء المنسي)

تأويلات أهل السنة ٤ / ٤٣٧

قال ثعلب النحوي (٢٩١هـ) :

(لا ينسى الله جلَّ وعز ، إنما معناه تركوا الله فتركهم ، فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضعه موضعه)

المحكم والمحيط الأعظم ٨ / ٥٨١

بل حتى رسالة الرد على الجهمية والزنادقة التي يتمسَّك القوم بنسبتها للإمام أحمد قامت بتأويل النسيان بالترك ص٨٩

قال الدكتور صلاح الدين بن أحمد الإدلبي :

(يتمسك الأشاعرة بظاهر ما يدلُّ عليه اللفظ ويجيزون صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لدليل يقترن باللفظ فيصرفه عن ظاهره ، وهذا الدليل يسمى عندهم قرينة. ومن أمثلة ذلك عندهم الآية القرآنية (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ) التوبة ٦٧ ، فتأتي كلمة النسيان في كلام العرب بمعنى الآفة وذهاب العلم ، وتأتي بمعنى الترك ، واستعمالها بالمعنى الأول أكثر ولذا كان هو الظاهر الراجح من كلمة النسيان بصفة عامة ، وكان الثاني وهو الترك هو الاحتمال المرجوح ، لذا فإنه يتعيَّن العدول عن تفسير النسيان في الآية عن الظاهر الراجح وهو الآفة وذهاب العلم إلى الاحتمال المرجوح وهو الترك ، والقرينة الصارفة عن المعنى الأول هو استحالة الآفة وذهاب العلم على الله

وأما صرف اللفظ عن ظاهره لغير دليل فلا يجوز ، فالخروج عن ظاهر اللفظ إنما يصح عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع ، وهو ما يطلقون عليه التأويل الصحيح ، أما الخروج عن ظاهر اللفظ لما يظنه المرء دليلاً دون أن يكون في حقيقة الأمر دليلاً فهو التأويل الفاسد ، وأما الخروج عن ظاهر اللفظ لا لدليل ولا لشبهة دليل فإن الأشاعرة يعتبرونه لعباً وليس من التأويل في شيء وهو ما يطلق عليه تحريف الكلام عن مواضعه)

عقائد الأشاعرة في حوار هادئ مع المناوئين ص١٧٢ – ١٧٣ (بتصرف)

وقد عقد الإمام ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) عنواناً أسماه (**باب مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه**) ، فقال :

(ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان :

..... **وكذلك قوله (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ)** التوبة ٦٧)

تأويل مشكل القرآن ص٢٧٥ – ٢٧٧ – ٢٧٩

قال الإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ) "عند قوله تعالى (فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ) الأعراف ٥١" :

(نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركاً كلياً فالكلام خارج مخرج التمثيل ، **وقد جاء النسيان بمعنى الترك كثيراً ويصحُّ أن يفسَّرَ به هنا فيكون استعارة أو مجازاً مرسلاً** ، وعن مجاهد

أنه قال : المعنى نؤخرهم في النار ، وعليه فالظاهر أن ننساهم من النسء لا من النسيان. والفاء في قوله تعالى (فَٱلْيَوْمَ) فصيحة)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٨ / ١٢٧

وقال أيضاً "عند قوله تعالى (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ) التوبة ٦٧" :

("نَسُواْ ٱللَّهَ" **النسيان مجاز عن الترك وهو كناية عن ترك الطاعة** فالمراد لم يطيعوه سبحانه "فَنَسِيَهُمْ" منه لطفه وفضله عنهم، والتعبير بالنسيان للمشاكلة ...)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٠ / ١٣٣

ص٢٥٨ زعم الناقد أن الحارث المحاسبي عقد في كتابه فهم القرآن فصلاً في المحكم والمتشابه ولم يذكر منها أنها آيات الصفات

يدَّعي الناقد أن الحارث المحاسبي لم يصنِّف آيات الصفات في زمرة المتشابهات ، ونحن بدورنا نقلب عليه تعقيبه بالقول : ومتى صنَّف الحارث آيات الصفات ضمن زمرة المحكمات ؟!

ومتى كان ترك فعل شيء حجة شرعية على بطلانه ؟!

وليت لو أن الناقد اكتفى بالقول (ولا أعلم أحداً من السلف أو الأئمة) بل قال ص٢٥٤ (ولا يُعلم عن أحد من السلف ولا من الأئمة) ، كون عدم الوجدان ليس دليل العدم

ونصوص الصفات من المتشابه

قال الله جل جلاله :

(وَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ) آل عمران ٧

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) :

(ما تشابهت ألفاظه وتصرَّفت معانيه بوجوه التأويلات ؛ ليحقِّقوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق ، تلبيساً منهم بذلك على مَن ضعفت معرفته بوجوه تأويل وتصاريف معانيه)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ٢٠٤

قال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) :

(قال شيخنا أبو العباس رحمة الله عليه : متبِعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلباً للتشكيك في القرآن وإضلالِ العوامّ ، كما فعلته الزنادقة والقرامِطة الطاعنون في القرآن ؛ أو طلباً لاعتقاد ظواهر المتشابه ، كما فعلته المجسِّمة الذِين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجِسمية حتى اعتقدوا أن البارىء تعالى جسم مجسم وصورة مصوّرة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع ، تعالى الله عن ذلك ؛ أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها ، أو كما فعل صبِيغ حين أكثر على عمر فيه السؤال)

الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٢٢ - ٢٣

وروى الإمام البخاري ٤٢٧٣ والإمام مسلم ٢٥٦٥ في صحيحَيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الوحي الإلهي :

(إذا رأيت الذين يتّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم) واللفظ للبخاري

قال أهل العلم :

(صدَّقنا بما تشابه من آي الكتاب وأنه حق وإن لم نعلم تأويله)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ٢٢٥

وعن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : سمعت رجلاً يحدث ابن عباس بحديث أبي هريرة هذا – أي "حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط" – ، فقام رجل فانتقض ، فقال ابن عباس : **ما فرق من هؤلاء يجدون عند محكمه ويهلكون عند متشابهه**

مصنف عبد الرزاق ١١ / ٤٢٣ رقم ٢٠٨٩٥

وقال الصحابي ابن عباس (٦٨هـ) :

(سبحانه وتعالى بخلقه يؤمنون به مجملاً ويكفرون به مفصلاً حملهم على ذلك زخرف العدو وإغواؤه)

دفع شبه من شبَّه وتمرَّد للتقي الحصني بتحقيق الكوثري ص٣٦ – الأزهرية

وقال أيضاً :

(... والمتشابهات : منسوخه ومقدمه ومؤخره ، وأمثاله وأقسامه ، وما يُؤمَنُ به ولا يُعمَلُ به)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ١٩٣

الفقيه والمتفقه رقم ٢٠٤

ورُوي عن عكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي قالوا : المحكم الذي يُعمَلُ به

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٢ / ٥٩٢ رقم ٣١٦٧

قلت : ومن المعلوم أن آيات الصفات يُؤمَنُ بها ولا يُعمَلُ بها

قال مجاهد (١٠٠هـ) في المحكمات :

(ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك فهو متشابه يُصدِّق بعضه بعضاً ، وهو مثل قوله " وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ" البقرة ٢٦ ، ومثل قوله "كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ" الأنعام ١٢٥ ، ومثل قوله " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ" محمد ١٦)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ١٩٦

تفسير مجاهد ص٢٤٨

قال الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ) عند قوله تعالى "وأُخَرُ متشابهات" :

(ما نُسِخ وتُرِك يُتلى)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ١٩٥

قال عمرو بن مرة الجملي (١١٨هـ) :

(فالمحكم ما اجتمعوا عليه والمتشابه ما اختلفوا فيه شد نيتك في المحكم وإياك والخوض في المتشابه)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٣٣٦

قال الربيع بن أنس (١٤٠هـ) في المحكمات :

(هي الآمرة الزاجرة)

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٢ / ٥٩٢ رقم ٣١٧٠

قال ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

(فإن قيل قال الله تعالى : "الرحمن على العرش استوى" يقال أن هذه الآية من المتشابه التي يحار في الجواب عنها وعن أمثالها لمن لا يريد التبحر في العلم أي : يمر بها كما جاءت ولا يبحث عنها ولا يتكلم فيها لأنه لا يأمن الوقوع في الشبهة والورطة إذا لم يكن راسخاً في العلم)

الفقه الأكبر المنسوب للشافعي ص١١

كذلك قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس وفقهاء المدينة والأصمعي

أصول الدين للبغدادي ص١١٢ – ١١٣

قال الحافظ أبو سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) :

(فإن قيل كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علماً بحقيقته ونصفه بشيء لا درك له في عقولنا ؟ قيل : قد أمرنا أن نؤمن بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالجنة ونعيمها وبالنار وأليم عذابها ، ومعلوم أنَّا لا نحيط علماً بكل شيء منها على التفصيل ، وإنما كلِّفنا الإيمان بها جملة

ألا ترى أنَّا لا نعرف أسماء عدة الأنبياء وكثير من الملائكة ولا نحيط بصفاتهم ، ثم لم يقدح ذلك فيما أمرنا أن نؤمن به

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الجنة "يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر")

إبطال التأويلات لأخبار الصفات ١ / ٦٤

قال الإمام أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) "عند صفة الإتيان" :

(والآية من المتشابهات)

تفسير السمعاني ١ / ٢١٠

وقال أيضاً "عند صفة المجيء" :

(وهو من المتشابه الذي يُؤمَن به ولا يُفسَّر ، وقد أوَّل بعضهم : وجاء أمر ربك ، والصحيح ما ذكرنا)

تفسير السمعاني ٦ / ٢٢٠

قال الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) :

(**والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى** وأوصاف يوم القيامة فإن تلك الصفات لا تتصوَّر لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسُّه)

المفردات في غريب القرآن / مادة شبه ص٢٥٤ – المعرفة

قال الإمام ابن قدامة (٦٢٠هـ) :

(**والصحيح أن المتشابه ما ورد في صفات الله سبحانه** مما يجب الإيمان به ويحرم التعرض لتأويله كقوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى – بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ – لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ – وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ – تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) ونحوه فهذا اتفق السلف رحمهم الله على الإقرار به وإمراره على وجهه وترك تأويله ..... فإن قيل فكيف يخاطب الله الخلق بما لا يعقلونه أم كيف ينزل على رسوله ما لا يطلع على تأويله ، قلنا يجوز أن يكلفهم الإيمان بما لا يطلعون على تأويله ليختبر طاعتهم كما قال تعالى "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ – وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ – وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ" وكما اختبرهم بالإيمان بالحروف المقطعة مع أنه لا يعلم معناها. والله أعلم)

روضة الناظر وجنة المناظر ص٣٦

قال الإمام السغناقي (٧١٤هـ) :

(وقول شمس الأئمة – أي السرخسي – : "ما يشبه لفظه ما يجوز أن يوقف على المراد فيه وهو بخلاف ذلك" نظير ذلك قوله تعالى (يد الله) فبالنظر إلى اليد يُعلَم أن المراد منها الجارحة ، ثم هذا الموضع لا يحتمل ذلك ،

فكان على خلاف المراد الذي يُعلَم من ظاهر الكلام ؛ لأن الله تعالى منزَّه عن الجارحة ، فتشابه موجب السمع وموجب العقل)

الكافي شرح البزدوي ١ / ٢٣٨ – الرشد

قال الإمام ابن الوزير اليماني (٨٢٢هـ) :

(قسم فيه مخاطر كبيرة وخوف من البدعة والعذاب **وهو ما يتعلق بذات الله عز وجل ونحوه من المتشابهات** ...)

إيثار الحق على الخلق ص١٥٦

قال الإمام المرداوي (٨٨٥هـ) " وهو يتكلم عن المتشابه" :

(**... أو لظهور تشبيه في صفات الله تعالى كآيات الصفات وأخبارها فاشتبه المراد منه على الناس ،** فلذلك قال قوم بظاهره فشبَّهوا وجسَّموا ، وفرَّ قوم من التشبيه فتأولوا وحرفوا فعطلوا ، وتوسَّط قوم فسلَّموا فأمروه كما جاء مع اعتقاد التنزيه فسَلِموا ، وهم أهل السنة وأئمة السلف الصالح)

التحبير شرح التحرير ٣ / ١٣٩٦ – الرشد

قال الإمام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) :

(**من المتشابه آيات الصفات** ... وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا نفسِّرها مع تنزيهنا له تعالى عن حقيقتها)

الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٠

قال الإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ) :

(... لكنهم نزّهوا – أي السلف – مولاهم عن مشابهة الحوادث. **ثم فوَّضوا إليه سبحانه تعيين ما أراده هو أو نبيه من الصفات المتشابهات)**

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١ / ٦٠

وقال أيضاً "عند آية الكرسي" :

(وأكثر السلف الصالح جعلوا ذلك من المتشابه الذي لا يحيطون به علماً وفوضوا علمه إلى الله تعالى مع القول بغاية التنزيه والتقديس له تعالى شأنه ...)

ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان ص٣٢

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣ / ١٠

وقال أيضاً :

(ثم اعلم أن كثيراً من الناس جعل الصفات النقلية من الاستواء واليد والقدم والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والتعجب وأمثالها من المتشابه)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣ / ٨٧

راجع أيضاً :

كشف الأسرار شرح المصنف على المنار ١ / ٢٢١ – ٢٢٥

نسمات الأسحار شرح إفاضة الأنوار ص٩٦

وهكذا نرى أن السلف الصالح قد عدُّوا آيات الصفات من المتشابه الذي يُتلى ولم يذكر أحدهم أنه من المحكم كون المحكم يُؤمَن ويُعمَل به

فإن قيل : إن الإيمان يستلزم معرفة حقيقة ما نؤمن به ؟!

قلنا : فكيف أثبتم للباري جل جلاله كيفية وأنتم تجهلونها ولا تعرفون حقيقتها ؟!

وهل إيماننا بالغيب يستلزم أن نكون محيطين به علماً ودراية (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) البقرة ٣ ؟!

ص٣٩٨ – ٣٩٩ زعم الناقد أن ما نقله المؤلفان عن الإمام أحمد (إن لله تعالى يدين وهما صفة له في ذاته ليستا جارحتين ولا مركبتين ولا جسم ولا من جنس الأجسام ...) ليس من كلام الإمام أحمد ، ثم أراد الهروب من الورطة فقال : وكان التميميون مائلين إلى الأشاعرة

ص٤٠٢ وما بعد زعم مخالفة اعتقاد أحمد للتميمي لعقيدة أهل السنة الأشاعرة وطرح خمسة أمثلة منها مسألة الحرف والصوت

١– ما فائدة التذرُّع بالميل في علم الرواية المحكمة ؟! إنها لا تفيد جرحاً البتة ، فقد كان الرجل صدوقاً ثقة وله يد في علوم كثيرة

مختصر طبقات الحنابلة ص٣٦٣ – العربية

٢– وما نقله الإمام أبو الفضل عبد الواحد التميمي هو بيان لعقيدة الإمام أحمد على وجهها الصحيح لولا بعض الهنّات ، يقول عنه الشيخ عبد العزيز عبد الجبار الحاضري :

(وعقيدته في نفي الحد والحيز ظاهرة ، قد عافاه الله تعالى مما ابْتُلي به أكثر الحنابلة من الحشو ، وذلك معروف ، فهو صاحب كتاب اعتقاد المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، الذي سقنا لك عنه نصوص الإمام أحمد **على بعض هنَّات لا يخلو منها حنبلي** ...)

تنزيه الحق المعبود عن الحيز والحدود ص١٩٥

وقد قال الإمام التميمي في آخر رسالته :

(وهذا – أي المعتقد – وما شابهه محفوظ عنه – أي الإمام أحمد – وما خالف ذلك فكذبٌ عليه وزور)

العقيدة لأحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال ص١٠٣ – دار قتيبة

طبقات الحنابلة ٢ / ٢٩٠

٣- ولننتقل الآن للرد على ما ذكره الناقد من مخالفة ما كتبه الإمام أبو الفضل التميمي لاعتقاد السادة الأشاعرة ، ولنرَ أمانته العلمية وتقواه في النقل من الكتب

الأول : ما نقله عن الإمام التميمي : (وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز ، ووجه الله باق لا يبلى ، وصفة له لا تفنى ، ومن ادَّعى أن وجهه نفسه فقد ألحد ، ومن غيَّر معناه فقد كفر)

قلت : ولنُعرِض عن أمانة الناقد في نقل الكلام ولنعرض النص كاملاً :

(ومذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

أن لله عز وجل وجهاً لا كالصور المصورة والأعيان المخططة ، بل وجه وصفة بقوله (كل شيء هالك إلا وجهه) ، ومن غيَّر معناه فقد ألحد عنه وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز

ووجه الله باق لا يبلى ، وصفة له لا تفنى ، ومن ادَّعى أن وجهه نفسه فقد ألحد ، ومن غيَّر معناه فقد كفر ، وليس معنى وجه معنى جسم عنده ولا صورة ولا تخطيط ، ومن قال ذلك فقد ابتدع)

اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل ص١٧

قلت : فكلمة الحقيقة التي يقصدها الإمام التميمي هي حقيقة اللفظ ، وصفة الوجه ليست على معنى جسم ولا تخطيط ، أما قوله أن من غيّر معناه فقد كفر فكلامٌ فيه نظر ، وقد نقلنا عن السلف تأويلهم للوجه في هذا الموضع. فليراجع

الثاني : نقل أيضاً عن الإمام التميمي (إن لله تعالى يدين ، وهما صفة في ذاته ..... ويفسد أن تكون يد القوة والنعمة والتفضل. لأن جمع يد : أيد ، وجمع تلك أياد)

قلت : ولنقارن الآن بين النص الذي نقله الناقد والنص الأصلي :

(وكان يقول - أي أحمد - : إن لله تعالى يدان وهما صفة له في ذاته ليستا جارحتين وليستا مركبتين ولا جسم ولا جنس من الأجسام ، ولا جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ، ولا يقاس على ذلك ، ولا مرفق ولا

عضد ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم : يد ، إلا ما نطق القرآن به أو صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .....

ويفسد أن تكون يد القوة والنعمة والتفضل لأن جمع يد أيد ، وجمع تلك أياد ، ولو كانت اليد عنده القوة لسقطت فضيلة آدم وثبتت حجة إبليس)

اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل ص٢٢ – ٢٣

قلت : فتأمل كيف حذف الناقد التنزيه الذي نقله الإمام التميمي عن الإمام أحمد والذي هو ثمرة الكلام ، ثم عرض قول الإمام التميمي في فساد تأويل اليد ، وينبغي أن نعلم أن السلف اختلفوا في بعض التأويلات فمنهم من ارتضى تأويل اليد ومنهم من منع من ذلك ، ومذهب الإمام أحمد معروف في إغلاق باب التأويل نهائياً سداً لذريعة الوصول إلى التأويلات الفاسدة

الثالث : ما نقله عن الإمام التميمي (وكان يقول : إن القرآن كيف تصرَّف غير مخلوق ، وأن الله تعالى تكلم بالصوت والحرف)

قلت : مسألة الحرف والصوت سنتكلم عنها لاحقاً إن شاء الله

الرابع : ما نقله عن الإمام التميمي (وكان يبطل الحكاية ، ويضلل القائل بذلك

وعلى مذهبه أنَّ من قال : إن القرآن عبارة عن كلام الله عز وجل فقد جهل وغلط .....ولم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين من المتقدمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين عليهم السلام القول بالحكاية والعبارة ، فدلَّ على أن ذلك من البدع المحدثة)

قلت : كما نعلم أن الإمام أحمد لم يكن يتجاوز في ألفاظه ما تقرِّره الشريعة ، ولذلك كان ينكر كل لفظ محدث ويعتبره بدعة وإن كان الغرض منه شرح وبيان العقيدة ، حتى أنه عدَّ اللفظية من قول الجهمية مع أن بعض السلف قائلون بأن الألفاظ من أفعال العباد وأفعال العباد مخلوقة

الخامس : ما نقله الناقد عن الإمام التميمي (وكان يقول – أي أحمد – في معنى الاستواء : هو العلو والارتفاع ..... فهو فوق كل شيء)

قلت : ولنعرض النص الأصلي الذي بتر الناقد منه ثمرته :

(وكان يقول – أي أحمد – في معنى الاستواء : هو العلو والارتفاع ولم يزل الله تعالى عالياً رفيعاً قبل أن يخلق عرشه فهو فوق كل شيء والعالي على كل شيء وإنما خصَّ العرش لمعنى فيه يخالف سائر الأشياء.

والعرش أفضل الأشياء وأرفعها فامتدح الله بأنه على العرش استوى : أي عليها علا ، ولا يجوز أن يقال استوى بمماسة ولا بملاقاة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

والله تعالى لم يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش)

اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل ص٣٨

قلت : فتأمل !

فالناقد إذاً يتعلق بالقش والقشور تاركاً اللبّ. والعاقبة للمتقين

ص٤٢٨ وص٤٥٧ زعم جواز السؤال عن الله بـ ((أين)) واحتج بحديث الجارية

١- اختلف أهل العلم في جواز السؤال عن الله بـ ((أين)) فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منع ، والذين أجازوا السؤال بأين لم يقصدوا إثبات مكان لله جل جلاله أو جهة ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، بل قصدوا اتباع ألفاظ الكتاب ، ولم يخوضوا في معانيها

وحديث الجارية آحاد ، ومثل هذا الحديث يصح الأخذ به فيما يتعلق بالعمل دون الاعتقاد ، ولذا أخرجه الإمام مسلم في باب تحريم الكلام في الصلاة دون كتاب الإيمان

٢- نصوص العلماء في إثبات تشابه الحديث وتباين متونه

* الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)

روى الخلال في سنته ٩٩١ قال : وأخبرني محمد بن علي قال : ثنا أبو بكر الأثرم إنه قال لأبي عبد الله في الحديث الذي يروى أعتقها فإنها مؤمنة ، قال : (ليس كل أحد يقول فيه إنها مؤمنة) يقولون : (أعتقها) قال : (ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال بن علي لا يقول فإنها مؤمنة) قال : (وقد قال بعضهم : فإنها مؤمنة ، فهي حين تقر بذلك فحكمها حكم المؤمنة. هذا معناه) قال محقق الكتاب عطية الزهراني : إسناده صحيح

السنة ص٥٧٥ – الراية

قلت : فتأمل أيها القارئ كيف ينقل الإمام أحمد اختلاف الرواة في لفظ الحديث بل وينقل اختلافهم في الحكم بوقوع الإيمان أيضاً ، ولعل هذا ما اتكأ عليه الإمام النووي في إيراد الحديث ضمن قائمة المتشابهات كما دوّن في منهاجه شارحاً حديث الجارية والذي سأنقله في تعقيبي السادس إن شاء الله

* الإمام البزار (٢٩٢هـ)

صرَّح الإمام البزار بأن متون الحديث متباينة قائلاً :

(وهذا قد رُوي نحوه بألفاظ مختلفة)

كشف الأستار عن زوائد البزار ١ / ١٤

* الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)

قال الحافظ البيهقي :

(وهذا صحيح ، قد أخرجه مسلم مقطعاً من حديث الأوزاعي وحجاج بن الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية ، وأظنه – أي الإمام مسلم – إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه ، وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ٣٩١ – الأزهرية

وقال أيضاً :

(أخرجه مسلم في الصحيح من حديث الأوزاعي دون قصة الجارية

السنن الكبرى ١٠ / ٩٨ رقم ١٩٩٨٥

قلت : ويتضح من كلام الحافظ البيهقي أن نسخ صحيح مسلم لم تتفق كلها على هذه القصة ، فلعل الإمام مسلم قد راجع كتابه في مرحلة تالية وحذفها ، كما كان الإمام مالك يفعل في الموطأ ، وكما فعل الإمام البخاري عندما أخرجه في خلق أفعال العباد ، واقتصر على ما يتعلق بتشميت العاطس بدون أي إشارة إلى اختصاره للحديث ؛ أي أنه لم يعتمد صحة ما ورد في قصة الجارية نظراً لاختلاف الألفاظ الواردة فيها والدالة على عدم الضبط

* أمير الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني :

(وفي اللفظ – أي لفظ حديث الجارية – مخالفة كثيرة)

التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ٣ / ٢٢٣

٣- إثبات تباين متون الرواية بطرقها

ففي رواية (... فقال لها : من ربك ؟ قالت : الله ، قال : من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة)

مسند أحمد ٢٩ / ٤٦٥ رقم ٧٩٤٥

السنن الكبرى للنسائي ٦ / ١٦٣ رقم ٦٤٤٧

صحيح ابن حبان ١ / ٤١٨ رقم ١٨٩

قال الشيخ الألباني : حسن صحيح

معجم الصحابة ٣ / ٧٣ رقم ١٠٢٧ بسند آخر حسن

وفي رواية (... بجارية سوداء أعجمية ..... فقال لها رسول الله : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة ، فقال لها : من أنا ؟ فأشارت بإصبعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء ؛ أي : أنت رسول الله ، فقال : أعتقها)

مسند أحمد ١٣ / ٢٨٥ رقم ٧٩٠٦

وفي رواية (... فقال لها : (أين الله) فأشارت إلى السماء بإصبعها ، فقال لها : (فمن أنا ؟) فأشارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى السماء ، يعني أنت رسول الله ، فقال : (أعتقها فإنها مؤمنة)

سنن أبي داود ٣ / ٣٨٢ رقم ٣٢٨٤

وفي رواية (... قال : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة)

سنن الدارمي ٣ / ١٥١٤ رقم ٢٣٩٣

وفي رواية (... فقال : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتشهدين أني رسول الله ؟ قالت : نعم ، قال : أعتقها)

المعجم الكبير ١٢ / ٢٦ رقم ١٢٣٦٩

مصنف ابن أبي شيبة ١١/ ٢٠ رقم ١٠٣٩٢

وفي رواية (... فقال : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتشهدين أني رسول الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت : نعم ، قال : أعتقها)

مصنف عبد الرزاق ٩ / ١٧٥ رقم ١٦٨١٤

وفي رواية (... قال : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتشهدين أن محمداً رسول الله ؟ قالت : نعم ، قال : أتوقنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعتقها)

موطأ مالك ص٥٥٥

وفي رواية (... أتشهدين أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، قالت : نعم ، قال فأعتقها)

كشف الأستار عن زوائد البزار ١ / ١٤ رقم ١٣

٤- وإليك مجموعة من النصوص المحكمة التي تدل على تنزيه الباري جل جلاله :

(قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ) الأنعام ١٢

(وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً) الرعد ١٥

(يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ) الإسراء ٤٤

(وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ) المؤمنون ٧١

(وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) النمل ٨٧

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) القصص ٣٠

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ) الروم ٢٥

(وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الروم ٢٦

قال الإمام الطبري :

(ولله مَن في السماوات والأرض ؛ من مَلَك وجن وإنس ، عبيد ومُلّك)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٤٨٣

(وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ) النمل ٨٧

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ) الزمر ٦٨

(عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) سبأ ٣

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ) الجاثية ١٣

(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا) فصلت ١٢

(وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ) النجم ٢٦

(وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) الذاريات ٢٢

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) الطلاق ١٢

قلت : وغير ذلك من النصوص التي صرّفها الله في كتابه العزيز تنزيهاً وتعظيماً ، فلم أدرِ سبب تعلق القوم بالمتشابه وتجاهل المحكم الصريح ؟!

ومن السنة نذكر :

روى الإمام البخاري في صحيحه ٣٠١٩ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم ، فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم). قالوا : بشَّرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ، إذ لم يقبلها بنو تميم). قالوا : قبلنا ، جئناك لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، قال : (**كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض** ، وكتب في الذكر كل شيء). ثم أتاني رجل فقال : يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقت أطلبها ، فإذا السراب ينقطع دونها ، وايم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم

روى الإمام مسلم في صحيحه ٢٦٥٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتب الله مقادير الخلائق كلها **قبل أن يخلق السماوات والأرض** بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء

روى الحافظ البيهقي في سننه ٦٢٤١ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى **فأشار بظهر كَفَّيْه إلى السماء**

أي أن النبي جعل بطون كفَّيه إلى جهة الأرض ، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيزاً في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السُّفل

روى الإمام البخاري في صحيحه ٣٩٧ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في القبلة ، فشقَّ ذلك عليه ، حتى رئي في وجهه ، فقام فحكه بيده ، فقال : (إن أحدكم إذا قام في صلاته ، فإنه يناجي ربه ، أو ، **إن ربه بينه وبين القبلة** ، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدميه). ثم أخذ طرف ردائه ، فبصق فيه ، ثم ردَّ بعضه على بعض ، فقال : (أو يفعل هكذا)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(وفيه الرد على من زعم أنه تعالى على العرش استوى بذاته)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ٥٠٨

روى الإمام الحاكم في مستدركه ٢٠٠٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أتى أحدكم فراشه فليقل اللهم رب السماوات ورب الأرض ربنا ورب كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء **وأنت الباطن فليس دونك شيء** أغننا من الفقر واقضِ عنا الدين

روى الإمام أبو يعلى في مسنده ٦٦١٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة ، والعرش على منكبه وهو يقول : **سبحانك أين كنت ؟ وأين تكون ؟**

صححه نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ٤٧٣ رقم ٢٥٩ – المأمون

وصححه ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ١٤ / ١٩١ رقم ٣٤٣٦ – العاصمة / الغيث

روى الإمام أحمد في مسنده ٢١٥١٦ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط **ما فيها موضع أربع أصابع**

إلا عليه مَلَك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم على أوالى الصعدات تجأرون إلى الله قال : فقال أبو ذر : والله لوددت أني شجرة تعضد

ورواه الإمام الترمذي في سننه ص٥٣٠ رقم ٢٣١٢ بلفظ "**إلا ومَلَك واضع جبهته لله ساجداً**" وقال : هذا حديث حسن غريب

وعن أبي سعيد مرفوعاً (فأما وزيراي من أهل السماء ؛ فجبريل وميكائيل)

رواه الإمام الترمذي في سننه ص٨٣٧ رقم ٣٦٨٠ ، وقال : هذا حديث حسن غريب

ورواه الإمام الحاكم في مستدركه ٢/ ٢٩٠ رقم ٣٠٤٦ ، وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه

٥- المعلوم في أصول الدين أن العقيدة لا تثبت بمعرفة مكان الله لكنها تثبت بالشهادتين ، يشهد لذلك الحديث الصحيح : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى)

قال الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ١٦٣٠ : (وهو متواتر)

قال الحافظ المناوي في شرحه ٢ / ١٨٩ : (وهو متواتر رواه خمسة عشر صحابياً)

قال المحدث الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص٢٩ : (وفي شرح الإحياء رواه ستة عشر من الصحابة كما قاله العراقي)

٦- إن الأثر من المتشابه الذي بُني عليه خلاف في المعنى

والسبب أن (أين) في اللغة ظرف استفهام لبيان بُعد المكان أو المكانة

على المكان مثل : من أين حضرت ؟ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ؟

على المكانة مثل : أين الثرى من الثريَّا ! أين هو منك !

وإليك – أيها القارئ المكرم – أقوال الأئمة المجتهدين وهم المتبعون لقواعد السلف في الاستنباط والاستدلال خاصة شرَّاح صحيح مسلم في هذا الحديث

قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) "مبيِّناً معنى حديث الجارية" :

(وهذا يدلُّ على أن الله تعالى على عرشه فوق السماء **فوقية لا تزيده قرباً من العرش**)

الإبانة عن أصول الديانة ص١١٩

قال الإمام ابن فورك (٤٠٦هـ) :

(... إذا كان ذلك مشهوراً في اللغة ، احتمل أن يقال إن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أين الله **استعلاماً لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها** ، فأشارت إلى السماء ودلَّت بإشارتها على أنه في السماء عندها ، على قول القائل ، إذا أراد أن يُخبر عن رفعة وعلو منزلة : " فلان في السماء" أي هو رفيع الشأن عظيم المقدار. كذلك قولها في السماء على طريق الإشارة إليها تنبيهاً على محلّه في قلبها ومعرفتها به. وإنما أشارت إلى السماء لأنها كانت خرساء ، فدلَّت بإشارتها على مثل دلالة العبارة على نحو هذا المعنى ، وإذا كان كذلك لم يجزَ ان يُحمَل على غيره مما يقتضي الحد والتشبيه والتمكين في المكان والتكييف)

مشكل الحديث ص٧٧ – ٧٨

وقال أيضاً :

(... ونابت إشارتها مناب إقرارها ، ودلَّت على ما في قلبها من الإخلاص والمعرفة بالله ...)

مشكل الحديث ص ٢٣٥

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(وهو إن صحّ فكأن النبي صلى الله عليه وسلم خاطبها على قدر معرفتها فإنها وأمثالها قبل الإسلام كانوا يعتقدون في الأوثان أنها آلهة في الأرض ، فأراد أن يعرف إيمانها ، فقال لها : أين الله ؟ حتى إذا أشارت إلى الأصنام عرف أنها غير مؤمنة ، فلما قالت : في السماء ، عرف أنها برئت من الأوثان ، **وأنها مؤمنة بالله الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ، أو أشار أو أشارت إلى ظاهر ما ورد به الكتاب)

مناقب الشافعي للبيهقي ١ / ٣٩٧

قال القاضي أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ) :

(فصل : وقوله للجارية : "أين الله ؟" فقالت : في السماء : لعلها تريد وصفه بالعلو ، **وبذلك يوصف كل شيء من شأنه العلو** ، فيقال : مكان فلان في السماء بمعنى علو حاله ورفعته وشرفه)

المنتقى شرح الموطأ ٨ / ٣٢٠

تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ١ / ٥٧٦

أوجز المسالك إلى موطأ مالك ١١ / ٦٢٢

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤٧٨هـ) :

(فإن قال قائل : فما وجه كلامكم في قوله صلى الله عليه وسلم لها : أين الله ؟ قلنا في ذلك وجهان :

أحدهما : أنه صلى الله عليه وسلم كلمها على ما قدرها عليه ، وحسبها معتقدة له ، كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم جميل : كم تعبدين من إله ؟ قالت خمسة. وإنما يسأل عما يتوقع تعدده و لايجوز حمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على توقع العدد ، فكذلك لا يحمل سؤاله على توقع المكان ولكن سلك بمثل هذا الكلام مسلك الاستنطاق بالحق والاسكشاف عن المعتقد . وهذا نحو قوله تعالى (أين شركائي) النحل ٢٧ ، فليس المراد به تثبيت الشركاء ، ولكن المراد به استنطاق المشركين بما يخزيهم ويفضحهم على الملأ الأعظم . على أنا نقول : لا بعد في إطلاق أين ، من غير قصد التعرض للمكان اتساعاً في الكلام وتجوزاً إذ قد يقول القائل : أين هذا الحديث من هذا الحديث .وليس القصد منه تباعدهما بمكانين. وأمثلة ذلك تكثر

فكأنه صلى الله عليه وسلم قال : أين موقع معرفة الله منك ؟ والدليل عليه ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قيل له : أين الله ؟ قال: ليس لمن أيّن أيّن الأين أين . وقد يروى ذلك مرفوعاً عن علي رضي الله عنه فظهر سقوط استدلالهم)

الشامل في أصول الدين ص٣٢٦

قال القاضي عياض (٥٤٤هـ) :

(قال الإمام – أي المازري (٥٣٦هـ) – إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب دليلاً على أنها موحدة ، فخاطبها بما يُفهم قصده ، إذ علامة الموحدين التوجه إلى السماء عند الدعاء وطلب الحوائج لأن العرب التي تعبد الأصنام تطلب حوائجها من الأصنام ، والعجم من النيران ، فأراد عليه السلام الكشف عن معتقدها هل هي ممن آمن ؟ فأشارت إلى السماء وهي الجهة المقصودة عند الموحدين كما ذكرنا .

وقيل إنما السؤال بأين ههنا سؤال عما تعتقده من جلالة الباري سبحانه وعظمته ، **وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلالته تعالى في نفسها** ، والسماء قبلة الداعين ، كما أن الكعبة قبلة المصلين ، كما لم يدل استقبال القبلة على أن الله تعالى فيها ، كذلك لم يدل التوجه إلى السماء والإشارة إلى السماء على أن الله سبحانه فيها

قال القاضي :

لا خلاف بين المسلمين قاطبة – محدثهم وفقيههم ومتكلمهم ومقلدهم ونظّارهم – أن الظواهر الواردة بذكر الله في السماء كقوله تعالى "أأمنتم من في السماء" ليست على ظاهرها وأنها متأولة عند جميعهم)

المعلم بفوائد مسلم ١ / ٤١٢

إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢ / ٤٦٥

قال الإمام السرخسي (٥٧١هـ) :

(... مع أن في صحة ذلك الحديث كلاماً ؛ فقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ، **ولا نظن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطلب من أحد أن يثبت لله تعالى جهة ومكاناً)**

المبسوط ٧ / ٤

قال الإمام أبو العباس القرطبي (٦٧١هـ) :

(هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم **تنزُّلٌ مع الجارية على قدر فهمها** ، إذ أراد أن يظهر منها ما يدل على أنها ليست ممن يعبد الأصنام ولا الحجارة التي في الأرض ..... فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعرف منها هل هي ممن يعتقد أن معبوده في بيت الأصنام أم لا ؟ فقال لها : أين الله ؟ فقالت : في السماء ، فقنع منها بذلك وحكم بإيمانها ، إذ لم تتمكن من فهم غير ذلك ، وإذ نزهت الله تعالى عن أن يكون من قبيل معبوداتهم وأصنامهم ، ورفعته عن أن يكون في مثل أمكنتهم ، وحملها على ذلك أنها رأت المسلمين يرفعون أبصارهم وأيديهم إلى السماء عند الدعاء ، فتُرِكت على ذلك في تلك الحال لقصور فهمها إلى أن يتمكن فهمها وينشرح صدرها ، إذ لو قيل لها في تلك الحالة : الله تعالى يستحيل عليه المكان والزمان لخيف عليها أن تعتقد النفي المحض والتعطيل ، إذ ليس كل عقل يقبل هذا ويعقله على وجهه ، بل إنما يعقله العالمون الذين شرح الله صدورهم لهدايته ونوّر قلوبهم بنور معرفته ، وأمدَّهم بتوفيقه ومعونته وأكثر الخلق تغلب عليهم الأوهام وتكلّ منهم الأفهام

وقيل في تأويل هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سألها بأين **عن الرتبة المعنوية** التي هي راجعة إلى جلاله تعالى وعظمته التي بها باين كلَّ مَن نُسبت إليه الإلهية وهذا كما يقال : أين الثريا من الثرى ؟! والبصر من العمى ؟! أي بعُدَ ما بينهما واختصت الثريا والبصر بالشرف والرفعة. على هذا يكون قولها في السماء أي في غاية العلو والرفعة وهذا كما يقال : فلان في السماء ومناط الثريا)

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢ / ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤

قال شيخ المحدثين الإمام النووي (٦٧٦هـ) :

(هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيها مذهبان تقدَّم ذكرهما مرَّات في كتاب الإيمان : أحدهما : الإيمان به من غير خوض في معناه ، مع اعتقاد أنَّ الله ليس كمثله شيء ، وتنزيهه عن سمات المخلوقات. والثَّاني : تأويله بما يليق به. فمن قال بهذا قال : كان المراد امتحانها هل هي موحِّدة تقرُّ بأنَّ الخالق المدبِّر الفعَّال هو الله وحده ، **وهو الَّذي إذا دعاه الدَّاعي استقبل السَّماء** ، كما إذا صلَّى المصلِّي استقبل الكعبة ، وليس ذلك لأنَّه منحصر في السَّماء ، كما أنَّه ليس منحصراً في جهة الكعبة ، بل ذلك لأنَّ السَّماء قبلة الدَّاعين ، كما أنَّ الكعبة قبلة المصلِّين ، أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان الَّتي بين أيديهم ، فلمَّا قالت : في السَّماء علم أنَّها موحِّدة وليست عابدة للأوثان. قال القاضي عياض : لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدِّثهم ومتكلِّمهم ونظَّارهم ومقلِّدهم أنَّ الظَّواهر الواردة بذكر الله في السَّماء كقوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ) الملك ١٦ ونحوه ليست على ظاهرها بل متأوّلة عند جميعهم ...)

شرح النووي على صحيح مسلم ٥ / ٢٤

وللإمام أبو اسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) كلام نفيس في هذا الصدد حيث قال :

(ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل ، وإن لم يكن ثم سبب خاص لابد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه ، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة .....

والثالث : قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) النحل ٥٠ ، (أأمنتم من في السماء) تبارك ١٦ ، وأشباه ذلك ، إنما جرى على معتادهم في اتخاذ الآلهة في الأرض ، وإن كانوا مقرّين بإلهية الواحد الحق ؛ **فجاءت الآيات بتعيين الفوق وتخصيصه تنبيهاً على نفي ما ادَّعوه في الأرض ؛ فلا يكون فيه دليل على إثبات جهة البتَّة** ، ولذلك قال تعالى : (فخرَّ عليهم السقف من فوقهم) النحل ٢٦ .. فتأمله واجرِ على هذا المجرى في سائر الآيات والأحاديث)

الموافقات في أصول الشريعة ٤ / ١٥٤

قال الإمام الأبي (٨٢٧هـ) :

(وقيل إنما سألها بأين عما تعتقده من عظمة الله تعالى ، **وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلاله في نفسها** ، فقد قال القاضي عياض لم يختلف المسلمون في تأويل ما يُوهِم أنه تعالى في السماء كقوله تعالى : (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء))

إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٢ / ٢٤١

مكمل إكمال إكمال المعلم ٢ / ٢٤١

قال الإمام السندي (١١٣٨هـ) :

(قول النبي عليه الصلاة والسلام : أين الله ؟ قيل معناه في أي جهة يتوجَّه المتوجِّهون إلى الله تعالى ، وقولها : في السماء ، أي في جهة السماء يتوجهون ، **والمطلوب معرفة أن تعترف بوجوده تعالى لا إثبات الجهة لله**)

سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ٢ / ٣ / ١٨

قال الإمام خليل أحمد السهارنفوري (١٣٤٦هـ) :

(وأما قولها : في السماء في جواب سؤاله صلى الله عليه وآله وسلم أين الله ؟ **فليس المراد به المحل والمكان ، بل المراد به العلو والرفعة في المرتبة**)

بذل المجهود في حلّ أبي داود ١٤ / ٢٤٤

قلت : فهؤلاء الأئمة لم يبتدعوا شيئاً جديداً كما يحب أن يصفهم القوم ، وإنما مشوا وفق القواعد الأصولية التي استنبطها السلف من الكتاب والسنة ... هذه الأصول المتفق عليها هي الفيصل الفارق بين أهل الحق وأهل الزيغ والضلال. فتأمل !!

أما التمسك بمجموعة من النصوص المتشابهة والإعراض عن النصوص المحكمة الصارفة للمتشابه عن ظاهره فهو من التعصُّب المذموم والتعنت القبيح

ومحاولة البعض الطعن بالعلماء والتقليل من شأنهم ورميهم بالجهل ، إنما هي محاولة استشراقية همجية خطيرة في سبيل إسقاط هيبة هؤلاء الأعلام من القلوب بأنهم ضلوا في ميدان العقيدة وأنهم ليسوا أهلاً للاجتهاد والاستنباط. فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله إنا إليه راجعون ... وليس لدينا سوى أن نسأل الله أن يهديهم ليلتحقوا بركب السنة والجماعة

قال الحق تبارك وتعالى (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً) النساء ١١٥

٧- وهذه طائفة من أقوال السلف الصالح في تنزيه الله :

* أقوال مصباح التوحيد الإمام علي بن أبي طالب (٤٠هـ) :

(إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته)

(قد كان – أي الله – ولا مكان ، وهو الآن على ما كان)

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص٣٣٣

وقال أيضاً :

(... بل جلَّ أن يكيَّف المكيف للأشياء كيف كان ، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان ولا لتقلب شأن بعد شأن ..... بل هو بلا كيفية ..... والحد إلى غيره منسوب ..... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات ، من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود ، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط ، لزمته الحيرة والتخليط)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١ / ٧٢ – ٧٣

وسُئل الإمام علي : أين كان ربُّنا قبل أن خلق العرش ؟

فقال: أين سؤال عن المكان ، وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن كما كان

بحر الكلام ١١٧

وقال أيضاً : (سيرجعُ قومٌ من هذه الأمَّة عند اقتراب الساعة كُفَّاراً) ..

فقال رجلٌ :" يا أمير المؤمنين : كفرُهم بماذا ؟ أبالإحداث أم بالإنكار ؟ " ..

فقال : (بل بالإنكار ، يُنْكِرُونَ خالقهم ، فيصفونه بالجسم والأعضاء)

نجم المهتدي ورجم المعتدي ص٥٨٨

* قال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (٦٨هـ) :

(الصمد : **هو الذي ليس بأجوف**)

قال شيخ العربية أبو القاسم الزجاجي (٣٤٠هـ) : (وكأنه ذهب إلى نفي التجسيم والتحديد عنه جل وعز)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٧٣١

اشتقاق أسماء الله ص٢٥٣

وقال أيضاً :

(يطوي الله السماوات بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة ، يطوي ذلك كله بيمينه ، يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة)

تفسير ابن كثير ص١٢٥٥ – ابن حزم

* قال زين العابدين علي بن الحسين (٩٥هـ) :

(أنت الله الذي لا يحويك مكان ... أنت الله الذي لا تحد فتكون محدوداً)

إتحاف السادة المتقين ٤ / ٣٨٠ (عن الصحيفة السجادية)

* قال الإمام مجاهد بن جبر (١٠٠هـ) عند قوله تعالى " أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ" :

(**بعلمه وقدرته بلا أين ؟ ولا كيف** ؟ لفصل القضاء بين خلقه في الموقف يوم القيامة)

البحر المحيط ٤ / ٢٥٨

*قال الحسن بن يسار البصري (١١٠هـ) عند قوله تعالى " الْقَيُّومُ" البقرة ٢٥٥ :

(**الذي لا زوال فيه له**)

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٢ / ٤٨٧ رقم ٢٥٧٥

* قال وهب بن منبه (١١٤هـ) :

(إن ناساً من بني إسرائيل سألوا نبيهم عن الرب عز وجل أين يكون وفي أي البيوت يكون ؟ أم نبني له بيتاً نعبده فيه فأوحى الله تعالى إليه : إن قومك سألوك أين أكون فيعبدوني **فأي بيت يسعني ؟ ولم تسعني السماوات والأرض ، فإذا أرادوا مسكني فإني في قلب العفيف الوادع الورع**)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤ / ٢٤

العظمة ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠ رقم ١٢٣

* قال الإمام السدي (١٢٨هـ) عند قوله تعالى "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" :

(... وفتحت له السماوات **فنظر إلى مُلك الله فيها** حتى نظر إلى مكانه في الجنة ، وفتحت له الأرضون ، حتى نظر إلى أسفل الأرض ...)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٤٩

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٤ / ١٣٢٦ رقم ٧٥٠٢

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣ / ٢٤

* قال الإمام جعفر الصادق (١٤٨هـ) :

(**من زعم أن إلهنا في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك** لأنه لو كان على شيء لكان محمولاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً)

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٤٠ – الأزهرية

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ) :

(**ونقرُّ بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه** ، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج ، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين ، **ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً**)

الوصية ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري ص٢

وقال أيضاً :

(والله تعالى يُرى في الآخرة ، يراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم **بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة**)

(ولقاء الله تعالى لأهل الجنة **بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة** حقٌّ)

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ص٢٤٤ – ٢٤٥ – ٢٤٦

*قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) :

(الله عز وجل هو العلي الأعلى المتعالي ذو العلاء والعلو ، **فأما العلاء : فالرفعة ، والعلو : العظمة والتجبر** . وتقول : علا الشيء علاء. ويقال : علوت وعليت جميعاً ، **وكذلك عليَ علاءً في الرفعة والشرف والارتفاع**)

اشتقاق أسماء الله ص١٠٩

تهذيب اللغة ٣ / ١٨٦

وسأل راهبٌ الخليلَ بن أحمد الفراهيدي :

(ألسنا نستدلّ على الغائب بالشّاهد ؟

فقلت – أي الفراهيدي – : بلى

قال : **فأنت تقول أن الله تعالى ليس بجسم ولا عرض ولسنا نرى شيئاً بهذه الصفة** .....

قال الخليل : فقلت له بالشاهد الحاضر استدللت على ذلك كله . **أمَّا الله تعالى فإنما استدللت عليه بأفعاله الدَّالة عليه ولا مثل له . وفي الشاهد مثل ذلك وهو الروح التي فيك وفي كل حيوان تعلم أنك تحسّ بها وهي تحت كل شعرة منا ونحن لا ندري أين هي ولا كيف هي ولا ما صفتها ولا ما جوهرها** ...)

الوافي بالوفيات ١ / ١٨٨٤

* قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس (١٧٩هـ) عند حديث "لا تفضلوني على يونس بن متى" :

(إنما خصَّ يونس على التنزيه لأنه رفع العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر **ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل** ، ولما نهى عن ذلك)

نقله الإمام تقي الدين السبكي عن الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي في كتابه "المنتقى في شرف المصطفى"

السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ص٤٠ – ٤١

وقال الإمام علي بن موسى الرضا (٢٠٣هـ) :

(... وأما معتمد رب العالمين عز ربنا وجل ، **فإنه هو أيَّن الأين وكيَّف الكيف ولا كيفية له** .....

الحمد لله الذي لا يحسّ ، **ولا يمسّ** ، **ولا يجسّ** ، ولا تدركه الحواس الخمس ، ولا تصفه الأوهام ولا تبلغه العقول ، **لم ترَ ربنا العيون فتخبر بجيوثيته وأينونيته أو محدوديته أو كيفوفيته** ...)

العظمة ١ / ٤٠٣ – ٤٠٥ رقم ١١٠

قال ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

(**واعلموا أن الباري لا مكان له ، والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان** فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغير في ذاته ولا التبديل في صفاته ، ولأن ما له مكان وله تحت فيكون متاهِيَ الذات محدوداً والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك .....

ويجب أن يعتقد في صفة الباري ما ذكرناه **وأنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان منزَّهاً عن الحدود والنهايات مستغنٍ عن المكان والجهات ليس كمثله شيء** ويتخلص من المهالك ...)

الفقه الأكبر المنسوب للشافعي ص١١

إتحاف السادة المتقين ٤ / ٢٤

وقال أيضاً :

(**لا يبلغ الواصفون كنه عظمته** وأنه كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه)

قال الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) :

(وهذا يدلُّ على أنه كان يعتقد أنه تعالى ليس بجسم ولا في جهة وإلا لبلغ الواصفون كنه عظمته)

الرسالة ص١

مناقب الشافعي للرازي ص١١٤

*قال عبد العزيز الماجشون (٢١٢هـ) :

(اعلم ان الله تعالى أولاً ، لم يزل أولاً ، **وليس بالأول الذي كان أولاً ما كان من الأشياء وقد كان** .....

القديم الذي لا بداية له ، لم يحدث كما حدثت الأشياء ، لم يكن صغيراً فكبر .....

لم يزل قوياً عالياً متعالياً .....

ولا يزال أبداً كذلك فيما كان وكذلك فيما بقي يكون .....

ولم يتغير عن حال إلى حال بزيادة أو نقصان .....

وقد أحاط بهم – أي الخلق – قبل خلقهم علماً .....

هو أبد الأبد الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)

العظمة ١ / ٣٨٨ حتى ٣٩٢ رقم ١٠١

قال الصوفي الزاهد ذو النون المصري (٢٤٥هـ) :

(رب تعالى فلا شيء يحيط به ** وهو المحيط بنا في كل مرتصد

لا الأين والحيث والتكييف يدركه ** ولا يحد بمقدار ولا أمد

وكيف يدركه حد ولم تره ** عين وليس له في المثل من أحد

أم كيف يبلغه وهم بلا شبه ** وقد تعالى عن الأشباه والولد

عال عليَّ عليم لا زوال له ** ولم يزل أزلياً غير ذي نقد

وجلَّ في الوصف عن كنه الصفات وعن ** مقال ذي الشك والإلحاد والعند)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٩ / ٣٨٨ – ٣٨٩

وقال أيضاً :

(ليس في السماوات العلا ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله ، **وكل ما تصوَّر في وهمك فالله بخلاف ذلك)**

الرسالة القشيرية ص١٤

وقيل ليحيى بن معاذ الرازي الزاهد الواعظ (٢٥٨هـ) :

(**أخبرني عن الله ما هو ؟ قال : إله واحد**

قال : كيف هو ؟ قال : ملك قادر

قال : أين هو ؟ قال : بالمرصاد

قال : ليس عن هذا أسألك . قال يحيى : فذاك صفة المخلوق ، فأما صفة الخالق فقد أخبرتك)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠ / ٦٠

قال الصوفي الزاهد سهل التستري (٢٨٣هـ) "عند قول الحق تبارك وتعالى (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) الحديد ٣" :

(وليس المعنى في الأسماء إلا المعرفة بالمسمى ، والمعنى في العبادة إلا المعرفة في العبودية ، **ومعنى الظاهر ظاهر العلو والقدرة والقهر ، والباطن الذي عرف ما في باطن القلوب من الضمائر والحركات**)

تفسير سهل التستري ص٢٦٨

وقال أيضاً "عند قول الباري عز وجل (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) الملك ١" :

(**تعالى وتعاظم عن الأشباه والأولاد والأضداد ، الذي بيده الملك يقلبه بحوله وقوته** ، يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، وهو القادر عليه)

تفسير سهل التستري ص٢٨٢

وقال أيضاً "عن سورة الإخلاص":

(... وإنما سمِّيت سورة الإخلاص **لأنها تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به**

قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ليس له كفؤ ولا مثل)

تفسير سهل التستري ص٣٣٥

وقال أيضاً "عن الرؤية" :

(ينظر إليه تعالى ، المؤمنون بالأبصار **من غير إحاطة ولا إدراك نهاية**)

الرسالة القشيرية ص١٤

قال النحوي أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٦هـ) :

(الرحمة من العباد تحنُّن ورقة على المرحوم **وهي من الله عز وجل إنعام وإفضال على العباد**. قال لأن الأفعال تتصل بالله عز وجل خلاف اتصالها بالآدميين ألا ترى أنَّا نقول : (علم زيد) كما نقول (علم الله) ، وزيدٌ علِمَ بالاكتساب بعد أن كان جاهلاً ، ويجوز أن يجهل بعد أن علم ، والله عز وجل يتعالى عن ذلك وكذلك ما أشبهه ، **وكذلك وسعت رحمته كل شيء : أي إنعامه وإفضاله**)

اشتقاق أسماء الله ص٤١

قال سيد الطائفة الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ) :

(اعلم أن أول عبادة الله عز وجل معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، **ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين** ، فبه استدل عليه)

رسائل الجنيد / رسالة التوحيد ص٥٨

وقال أيضاً :

(التوحيد علمك وإقرارك بأن الله **فرد في أزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل قبله**)

الرسالة القشيرية ص١٤

وقال أيضاً :

(متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير ؟

هيهات ، هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف **من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان)**

الرسالة القشيرية ص١٧

قال إمام المفسرين أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) :

(فتبيَّن إذاً أن القديم بارىء الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء ، وهو الكائن بعد كل شيء ، والأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء، **وأنه كان ولا وقت ولا زمان ولا ليل ولا نهار ، ولا ظلمة ولا نور ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا نجوم** ، وأن كل شيء سواه محدث مدبر مصنوع ، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير،سبحانه من قادر قاهر)

تاريخ الرسل والملوك ١ / ٣٠

تنويه : سننقل المزيد من التنزيه عن الإمام الطبري عند تبرئته من عقيدة القوم إن شاء الله

قال اللغوي أبو اسحاق الزجاج (٣١١هـ) :

(٣٤- العظيم : المعظَّم في صفة الله ، تعالى ، **يفيد عِظم الشأن والسلطان** ، **وليس المراد به وصفه بعِظم الأجزاء ؛ لأن ذلك من صفات المخلوقين تعالى الله عن ذلك علواً)**

وقال أيضاً :

(٣٧- العلي : هو فعيل في معنى فاعل ، فالله تعالى عالٍ على خلقه **وهو عليٌّ عليهم بقدرته** ، **ولا يجب أن يُذهَب بالعلو ارتفاع مكان** ، إذ قد بيَّنا أن ذلك لا يجوز في صفاته ، تقدست ، ولا يجوز أن يكون على أن يتصوَّر بذهن أو يتجلَّى لطرْف ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً

٣٨- الكبير : والكِبر ها هنا أيضاً **يُرَاد به كبر القدرة ولا يجوز أن يُذهَب به مذهب زيادة الأجزاء** على ما بيَّنا ، أنه لا يجوز في هذه الأسماء)

وقال أيضاً :

(٦٨- الأحد : .....

وقال بعض أصحاب المعاني : الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط ، **والأحد يفيده بالذات والمعاني)**

وقال أيضاً :

(٧٦- الظاهر : .....

والله تعالى عالٍ على كل شيء ، **وليس المراد بالعلو : ارتفاع المحلّ ، لأن الله تعالى يجلُّ عن المحل والمكان ، وإنما العلو علو الشأن وارتفاع السلطان)**

تفسير أسماء الله الحسنى ص٤٦ - ٤٨ - ٥٨ - ٦٠

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي (٣٢١هـ) :

(٤٨- تعالى - أي الله - عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)

العقيدة الطحاوية ص١٥ رقم ٤٨

قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) :

(**كان الله ولا مكان** فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان ، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه)

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص١٥٠

وقال أيضاً في رسالة النوادر :

(من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به)

تنويه : سننقل المزيد من التنزيه عن الإمام الأشعري عند حديثنا عن شبهة المرحلة الثالثة إن شاء الله

قال إمام الهدى أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) :

(**الأصل فيه أن الله سبحانه كان ولا مكان** ، وجائز ارتفاع الأمكنة وبقاؤه على ما كان ، فهو على ما كان ، وكان على ما عليه الآن ، **جلَّ عن التغير والزوال والاستحالة والبطلان** ...)

التوحيد ص ١٣٢

قال شيخ العربية أبو القاسم الزجاجي (٣٤٠هـ) :

(**فالله عز وجل الواحد الأول الأحد الذي لا ثاني له ولا شريك ولا مثل ولا نظير لم يسبقه في أوليته شيء عز وجل عما يقول الظالمون علواً كبيراً**)

وقال "عند قول الله جل جلاله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الزمر ٦٧" :

(أي : **كلها ملكه يوم القيامة** ، وإن كانت في كل وقت له وهو مالكها ، وإنما قصد يوم القيامة لأنه اليوم الذي لا يملك أحد فيه شيئاً سواه ، وتزول الممالك كلها إلا ملكه وهو مثل قوله (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الفاتحة ٤ ، وقوله (لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) غافر ١٦)

وقال أيضاً :

(والقائم أيضاً : **الدائم الذي لا يزول كأنه باقٍ مع الزمان ، فيكون القيوم بمعنى الدائم الذي لا يزول ولا يحول**)

وقال أيضاً :

(والله عز وجل محيط بالأشياء كلها علماً لا يعزب عنه منها شيء. وكل هذا يُرَاد به والله أعلم إحاطة علمه بكل شيء ، وكون كل شيء تحت قدرته وسلطانه وحكمه وتصرفه ، **ولا يُرَاد بذلك قرب المكان والحلول في بعضه دون بعض**. جلَّ الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً)

اشتقاق أسماء الله ص٩٠ - ٩٩ - ١٠٧ - ١٤٧

وسُئِل الإمام أبو بكر الشبلي (٣٣٤هـ) عن قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى" فقال :

(الرحمن لم يزل ولا يزول ، والعرش محدث ، والعرش بالرحمن استوى)

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٤٠ - الأزهرية

دفع شبه من شبَّه وتمرد للتقي الحصني بتحقيق الكوثري ص٣٣ - الأزهرية

قال الإمام المحدث ابن حبان (٣٥٤هـ) :

(الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيحتوى ، ولا له أجل معدود فيفنى ، **ولا يحيط به جوامع المكان ولا يشتمل عليه تواتر الزمان ، ولا يُدرَك نعته بالشواهد والحواس ، ولا يُقاس صفات ذاته بالناس)**

الثقات ١ / ١

وقال أيضاً :

(كان– الله – ولا زمان ولا مكان)

صحيح ابن حبان . الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ٤

قال أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي (٣٧٣هـ) يوماً لخادمه محمد المحبوب : لو قال لك قائل أين معبودك ، ماذا كنت تقول له ؟ فقال : **أقول حيث لم يزل ولا يزول** . قال : فإن قال فأين كان في الأزل ، ماذا تقول ؟ فقال : **حيث هو الآن.**

وقال أبو عثمان : كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا : إني أسلمت إسلاماً جديداً

الرسالة القشيرية ص١٥

وقال الفقيه محمد بن صالح التيمي (٣٧٥هـ) :

(أشهد أن السماوات والأرض وما فيهما آيات تدل عليك وتشهد لك بما وصفت به نفسك ، وكلٌّ يؤدي عنك الحجة ، ويقرُّ لك بالربوبية موسوماً بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك كالذي تجليت به لخلقك ، فوسمت القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر وكفاها رجم الاحتجاب ، فهي على اعترافها بك شاهدة أنك **لا تحيط بك الصفات ولا تدركك الأوهام ، وأن حظَّ المتفكِّر فيك الاعتراف بك والتوحيد لك**)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠ / ١٤٣

قال الأديب النحوي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (٤٢١هـ) :

(**لأنه تعالى لا تحويه الأماكن ولا تحيط به الأقطار والجوانب**)

الأزمنة والأمكنة ١ / ٧٧

قال الإمام أبو نصر السجزي (٤٤٤هـ) :

(**وليس في قولنا : إن الله سبحانه فوق العرش تحديد** ، إنما التحديد يقع للمحدثات ، فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود ، **والله سبحانه فوق ذلك بحيث لا مكان ولا حد ، لاتفاقنا أن الله سبحانه كان ولا مكان** ، ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان)

رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص١٣١ – الراية

قال الإمام ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) :

(٥٣ – مسألة : **وأنه تعالى لا في مكان ولا في زمان بل هو تعالى خالق الأزمنة والأمكنة**)

المحلى ١ / ٢٩

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤٧٨هـ) :

(الباريء سبحانه وتعالى قائم بنفسه ، **متعالٍ عن الافتقار إلى محلٍّ يحلُّه أو مكان يقلُّه)**

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٣٣

وقال أيضاً :

(ومذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصُّص بالجهات)

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٣٩

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) :

(تعالى – أي الله – عن أن يحويه مكان ،كما تقدَّس عن أن يحدُّه زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان)

إحياء علوم الدين ١ / ١٠٨

قال الإمام أبو الخطاب الكلوذاني الحنبلي (٥١٠هـ) :

(قالوا: أتزعم أنْ على العرش استوى ** قلت الصوابُ كذلك خبّر سيدي

قالوا: فما معنى استواه أَبْنِ لنا ** فأجبتهم : هذا سؤال المعتدي)

سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٤٩

٨- قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) "عند قول الله جل جلاله (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) الأعلى ١" :

(وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معناه : نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان ؛ لما ذكرت من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرأوا ذلك قالوا : سبحان ربي الأعلى . **فبيِّنٌ بذلك أن معناه كان عندهم : عظم اسم ربك ونزهه)**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٣١١

ونقل الباز الأشهب عن الإمام عبد الله بن سعيد بن كلاب نفي المكان عن الباري جل جلاله

الغنية لطالبي طريق الحق ١ / ٢٤٠

٩- دليل الإجماع اليقيني :

قال الإمام الكلاباذي (٣٨٠هـ) :

(اجتمعت الصوفية على أن الله ..... لا اجتماع له ولا افتراق ..... ولا بذي جهات ولا أماكن ..... لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان. لا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن ...)

التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٣

وقال الإمام عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ) :

(وأجمعوا – أي أهل السنة والجماعة – على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان على خلاف من زعم من من الهشامية والكرامية أنه مماس لعرشه ...)

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص٣٣٣

وقال الإمام ابن حجر الهيثمي (٩٧٣هـ) :

(واعلم أن القَرَافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم ، وهم حقيقون بذلك)

المنهاج القويم على المقدمة الحضرمية ص٢٢٤ – علوم القرآن

وقال الإمام ملا علي القاري (١٠١٤هـ) :

(بل قال جمعٌ منهم – أي من السلف – ومن الخلف أن معتقداً لجهة كافر كما صرَّح به العراقي ، وقال : إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني)

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣ / ٢٧٠ – ٢٧١

وقال الإمام محمد بن ميارة (١٠٧٢هـ) :

(وأما الإجماع : فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له ، لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف

ولا تمرُّ عليه الأزمنة ولا يتخصَّص بالجهات ...)

الدر الثمين والمورد المعين ص٣٠ – ٣١

ص٤٦٧ زعم أن الله يتكلم بحرف وصوت ، واحتج بالآيات (وكلم الله موسى تكليماً) النساء ١٦٤ (وكلمه ربه) الأعراف ١٤٣ (حتى يسمع كلام الله) التوبة ٦ (وإذ نادى ربك موسى) الشعراء ١٠

كما ادعى الناقد أن قضية الكلام النفسي هي من أقوال المعتزلة والجهمية

١– ليس في كتاب الله ولا السنة أي تقرير للفظ الصوت غير المنقول عن بعض أهل الكلام والحديث فقد عدُّوا الحروف قديمة مجتمعة في الأزل

راجع تقسيم الإمام ملا علي القاري في منح الروض الأزهر ص١١٠

قال الإمام جلال الدين الدواني (٩١٨هـ) :

(فالحنابلة ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى ؛ حروف وأصوات وهي قديمة. ومنعوا أن كل ما هو مؤلف من حروف وأصوات مرتبة فهو حادث. بل قال بعضهم : بقدم الجلد والغلاف. قلت : فما بالهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلِّد وصانع الغلاف ؟!)

شرح العقائد العضدية ص١١٢ رقم ٢٠٤

٢- قال الصحابي الجليل ابن عباس (٦٨هـ) عند قوله تعالى "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" القيامة ١٨ :

(فإذا أنزلنا إليك فاستمع له)

وقال أيضاً :

(إذا تُلِيَ عليك فاتبع ما فيه)

وقال أيضاً :

(قرأناه : بيَّناه)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٥٠٢ – ٥٠٣

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ) "في معرض حديثه عن صفات الله" :

(ويتكلم لا ككلامنا ، **ونحن نتكلم بالآلات والحروف** ، **والله يتكلم بلا آلة ولا حروف** ، **والحروف مخلوقة** ، وكلام الله تعالى غير مخلوق)

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ص١٠٩

قال سهل التستري (٢٨٣هـ) :

(إن الحروف لسان فعل لا لسان ذات لأنها فعل من مفعول)

الرسالة القشيرية ص١٨

قال سيد الطائفة الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ) :

(جلت ذاته عن الحدود ، **وجل كلامه عن الحروف** ، فلا حد لذاته ، **ولا حروف لكلامه**)

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٩٧

قال الإمام أبو العباس ابن عطاء الآدمي (٣٠٩هـ) :

(**إن الله تعالى لما خلق الأحرف** جعلها سراً له فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك السر في أحد من ملائكته ، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها الله صوراً لها)

الرسالة القشيرية ص١٨

والكلام عند الأشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة ، والعبارة دلالة عليه من الإنسان ، فالمتكلم عنده من قام به الكلام

الملل والنحل ١ / ١٠٩

قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) :

(إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس **دون الأصوات الحروف**)

مجرد مقالات الأشعري ص٦٨

وقال أيضاً :

(واتفقنا على أن سمعه بلا انخراق ..... **فوجب أن يكون كلامه بلا حرف ولا صوت**)

رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص٨٤ – ١٥٣

قال أبو بكر الشبلي (٣٣٤هـ) :

(الواحد : المعروف قبل الحدود **وقبل الحروف**)

الرسالة القشيرية ١٢

قال الإمام ابن حبان (٣٥٤هـ) :

(صفات الله تعالى لا تُكيَّف ، ولا تُقاس إلى صفات المخلوقين ، **فكما أن الله جل وعلا متكلم من غير آلة بأسنانٍ ولهواتٍ ولسانٍ وشفةٍ كالمخلوقين ، جلَّ ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه** ، ولم يجز أن يُقَاس كلامه إلى كلامنا ، لأن كلام المخلوقين لا يُوجد إلا بآلات ، **والله جل وعلا يتكلم كما شاء بلا آلة** ...)

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣ / ٢٠٠ – ٢٠١ رقم ٩٢٠

قال الإمام الكلاباذي (٣٨٠هـ) :

(**وأجمع الجمهور منهم – أي الصوفية – على أن كلام الله تعالى ليس بحروف ولا صوت ولا هجاء ،** بل الحروف والصوت والهجاء دلالات على الكلام ، وإنها لذوي الآلات والجوارح التي هي اللهوات والشفاه والألسنة ، والله تعالى ليس بذي جارحة ولا محتاج إلى آلة ، فليس كلامه بحروف ولا صوت. وقال بعض كبرائهم في الكلام له : من تكلم بالحروف فهو معلول ومن كلامه باعتقاب فهو مضطر)

التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٨

قال الإمام ابن فورك (٤٠٦هـ) :

(**اعلم أن كلام الله ليس بصوت ولا حروف عندنا ، وإنما العبارة عنه تارة تكون بالصوت** ...)

مشكل الحديث ص٢٠٣ - ٢٠٤

قال الإمام أبو المظفر الاسفرايني (٤٧١هـ) :

(٢٩- **وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت** لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر ، وذلك مستحيل على القديم سبحانه ، وما دلَّ من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا نهاية لها دليل على أنه ليس بحرف ولا صوت لوجوب التناهي فيما صح وصفه به)

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص١٤٣ - الأزهرية

قال الإمام ابن القطان الفاسي (٦٢٨هـ) :

(٥٥- **وأجمعوا على أن كلام الله عز وجل ليس بحروف ولا أصوات** ...

٦٠- واتفق أهل الحق على قدم كلام الله تعالى

٦١- واتفقت الأمة على وحدانيته تعالى ، **فلو قامت به أصوات متضادة لكان ذلك اجتماع المتضادات في الموجود الواحد**)

الإقناع في مسائل الإجماع ١ / ٤١ - الفاروق الحديثة

قال القاضي ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥هـ) :

(**وكلامه ليس بحرف ولا صوت يقومان بذاته تعالى خلافاً للحنابلة والكرامية ، أو بغيره خلافاً للمعتزلة ،** بل هو المعنى القائم بالنفس المعبَّر عنه بالعبارات المختلفة المتغيرة ...)

طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص١٨٩

قال الإمام محمد بن يوسف السنوسي (٨٩٥هـ) :

(كلام الله تعالى القائم بذاته هو صفة أزلية **ليس بحرف ولا صوت** ولا يقبل العدم وما في معناه من السكوت ولا التبعيض ولا التقديم ولا التأخير ...)

شرح أم البراهين ص٣٠

٣- قال الشيخ عبد الله الغنيمان :

(وأما صوت العبد فهو مخلوق ، وقد صرَّح أحمد وغيره أن الصوت المسموع صوت العبد ، ولم يقل قط : إن من قال صوتي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، وإنما قال : من قال لفظي بالقرآن مخلوق ، والفرق بينهما واضح

والفرق بين لفظ الكلام ، وصوت مبلغه فرق واضح)

شرح كتاب التوحيد ٢ / ٥٥٢

قلت : فتأمل هذا الكلام الإنشائي البارد ((لفظ الشخص غير صوته)) !!

فهل صوت الشخص من فعله ولفظه لا ؟!

وليت لو أن الشيخ أخبرنا عن هذا الفرق الواضح الذي يراه ؟!

ولا شك أن الناقد سوف يخبر صاحبه بأن الصوت هو تفسير لازم للفظ ، وليس هذا من شأننا ولكن ما هو موقف الناقد أمام قول الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ) :

(**ولفظنا بالقرآن مخلوق**) ؟!

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ص٩٣

وما هو موقفه من تصريح الإمام البخاري في قوله : (**أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا**) ؟!

سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٨

مقدمة الفتح لابن حجر ص٤٩٠

وعلى أي حال فقد تبيَّن لي بعد البحث أن قضية إثبات الصوت مسألة خلافية بين العلماء فقد نقل الجارود وأبو الفضل التميمي والمرداوي وابن رجب وابن تيمية عن الإمام أحمد إثباته للصوت

والمعنى محمول على أن الصوت هو ما يكون له أثر في السمع ، بغض النظر عن كون الصوت من حروف (كحال الآدميين مثلاً) أو غير حروف (وهو كلام الله تعالى الذي هو صفة ذاتية يسمعه من يشاء من خلقه كيف يشاء) فليتنبه !!

قال الإمام النسفي (٥٠٨هـ) :

(القرآن الكريم كلام الله تعالى وصفته ، والله تعالى بجميع صفاته قديم غير محدث ولا مخلوق بلا حرف ولا صوت ولا مقاطع ولا مبادئ له ، لا هو ولا غيره ، **فأسمعه جبرائيل عليه السلام بالصوت والحروف ، فخلق صوتاً فسمعه بذلك الصوت والحروف** فحفظه جبرائيل عليه السلام ووعاه ونقله إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإنزال الوحي والرسالة لا إنزال الحروف والأصوات) ثم قال (وحجتنا : أن كلام الله تعالى صفة قائمة بالذات تدخل تحت الرؤية ولا تدخل تحت السمع ، وإنما الداخل تحت السمع إنما هو الحروف والصوت)

بحر الكلام ص١٣٠

قال الشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي :

(**ومما ينبغي التنبيه عليه أن الإمام أحمد قال بالصوت لورود ظاهر الخيرية ولم يقل بالحرف أي بأن الله تعالى يتكلم بالحروف لعدم ورود الخبر بذلك** ، وقد أخطأ من نسب القول بأن الله يتكلم بالحروف وتعاقب الكلمات إلى الإمام أحمد أو غيره ، وممن نسب هذا القول إليه ابن القيم قال في نونيته : وآخرون كأحمد (بن حنبل) ومحمد (البخاري) قالوا : لم يزل متكلماً بمشيئة وإرادة وتعاقب كلمات)

رسائل متعلقة بأصول الدين / ٤- تحقيق مسألة كلام الله تعالى

قال محدث الحرمين العلامة محمد علوي المالكي (١٤٢٥هـ) :

(ومن ذلك أيضاً : ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة كلام الله تعالى والخلاف الكبير الدائر في هذا الباب ؛ فمن قائل : إن كلامه سبحانه وتعالى كلام نفسي ، ، ومن قائل : إن كلامه سبحانه وتعالى بحرف وصوت . وأنا أعتقد أن كلا الطرفين يطلب حقيقة التنزيه لله سبحانه وتعالى ، ويبعد عن الشرك بكل أنواعه

.....

والذي أراه وأدعو إليه : هو إثبات هذه الحقيقة دون الغوص في كيفيتها وشكلها ، فنثبت لله سبحانه وتعالى الكلام ونقول : هذا كلام الله ، ونقول : إنه سبحانه وتعالى متكلم ، ونصرف النظر عما بعد ذلك من كونه كلاماً نفسياً أو غير نفسي ، بحرف وصوت أو بلا حرف ولا صوت ، وكل هذا تنطع لم يتكلم فيه الذي جاء بالتوحيد ؛ وهو المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فلِمَ الزيادة على ما جاء به ؟ أليست هذه من البدع ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم !.)

مفاهيم يجب أن تصحح ص١١٦ – ١١٧

ص٤٧٠ استدل ببعض الآثار على إثبات الصوت لله جل جلاله وهي :

الأول : ما رواه الإمام البخاري ٤٥٣ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، يقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ، قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه . قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ...)

هذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ٣٧٩ من غير ذكر لفظ الصوت ولعل ذلك من تصرُّف الرواة ، إنما وقع في البخاري وحسب لفظ الصوت والسنة المنسوب إلى عبد الله بن أحمد

قال الحافظ ابن الجوزي (٥٩٧هـ) :

(انفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما من أصحاب الأعمش ، فلم يذكروا الصوت

وسُئِل أحمد عن حفص قال : كان يخلِّط في حديثه. وفي الحديث الصحيح : " إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا " رواه أبو داود ٤٧٣٨ . فرواه بعضهم بالمعنى الذي يظنه فقال: " سمع صوته أهل السماء "

وفي حديث ابن مسعود : " إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجرِّ السلسلة على الصفا".

وهذا مع اللفظ الأول أليق وليس في الصحيح : سمع صوته أهل السماء)

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص٢٥٠ – ٢٥١

وحفص بن غياث ثقة مأمون لكن قال يعقوب بن شيبة : ثقة ثبت إذا حدَّث من كتابه ويُتَّقى بعض حفظه

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٧ / ٦٠

ويُروى عن أحمد أنه قال : كان حفص يخلِّط في حديثه

سير أعلام النبلاء ٩ / ٣١

وقد تعلَّق أحدهم بقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(وقد طعن أبو الحسن بن الفضل في صحة هذه الطريق ، وذكر كلامهم في حفص بن غياث ، وأنه انفرد بهذا اللفظ عن الأعمش ، وليس كما قال ، **فقد وافقه عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأعمش أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة له عن أبيه عن المحاربي)**

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٦٠

قلت : وكتاب السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد بن حنبل فيه نظر ، وسيأتي الكلام عنه لاحقاً إن شاء الله

وهذا يوضِّح أن لفظة (الصوت) شاذة منكرة مردودة ، قال الإمام الترمذي (٢٧٩هـ) :

(وإنما تصحُّ – أي الزيادة – إذا كانت الزيادة ممن يُعتمَد على حفظه)

سنن الترمذي ٥ / ٧٥٩

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) :

(والحفاظ الثقات إذا تتابعوا على نقل شيء بصفة ، فخالفهم واحد منفرد وليس له حفظهم ، كانت الجماعة الأثبات أحق بصحة ما نقلوا من الفرد الذي ليس له حفظهم)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨ / ١٢٢

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(والحق في هذا أن زيادة الثقة لا تقبل دائماً ، ومن أطلق ذلك عن الفقهاء والأصوليين ، فلم يصب. وإنما يقبلون ذلك إذا استووا في الوصف ولم يتعرض بعضهم لنفيها لفظاً ولا معنى

وممن صرَّح بذلك الإمام فخر الدين وابن الأبياري – شارح البرهان – وغيرهما. وقال ابن السمعاني : "إذا كان راوي الناقصة لا يغفل أو كانت الدواعي تتوفر على نقلها أو كانوا جماعة لا يجوز عليهم أن يغفلوا عن تلك الزيادة وكان المجلس واحداً فالحق أن لا يقبل رواية راوي الزيادة هذا الذي ينبغي". انتهى.)

النكت على ابن الصلاح ٢ / ٦١٣

وقد روى رواة البخاري هذا الحديث على وجهين ، بعضهم رواه بكسر الدال (فينادِي) ، وبعضهم رواه بفتح الدال (فيُنادَى) ، ثم لو كان المنادي الله سبحانه لقال (آمرك) ، ولم يقل (يأمرك) ، وهذا دليل على أن صاحب الصوت هو مَلَك من الملائكة

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(ووقع فينادي مضبوطاً للأكثر بكسر الدال وفي رواية أبي ذر بفتحها على البناء للمجهول ، ولا محذور في رواية الجمهور ، فإن قرينة قوله إن الله يأمرك تدل ظاهراً على أن المنادي مَلَك يأمره الله بأن ينادي بذلك)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٦٠

قلت : والدليل متى طرأه الاحتمال سقط به الاستدلال

الثاني : ما رواه الإمام أحمد في مسنده ١٦٠٨٥ من حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال : (... سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : يحشر الناس يوم القيامة ، أو قال العباد عراة ، غرلاً بُهماً ، قال : قلنا : وما بُهماً ؟ قال : ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك أنا الديان ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة

قال : قلنا : كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بُهماً ؟ قال : بالحسنات والسيئات)

ضعيف ؛ عبد الله بن محمد بن عقيل

(قال يعقوب : صدوق وفي حديثه ضعف شديد جداً. وكان ابن عيينة يقول : أربعة من قريش يترك حديثهم فذكره فيهم ، وذكر أنّه تغير. وقال الإمام أحمد : منكر الحديث ، وقال الدوري : عن ابن معين : ابن عقيل لا يحتج بحديثه ، وقال ابن المديني : كان ضعيفاً ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال ابن خزيمة : لا أحتج به لسوء حفظه)

تهذيب التهذيب ٦ / ١٣ - ١٤

وقد اختلف العلماء فيه ، والصواب عدم قبوله إذا ما تفرد بأصل والله أعلم . قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(لا يرتقي خبره إلى درجة الصحة والاحتجاج)

سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٠٥

قال العلامة محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) :

(... وفي سنده عبد الله بن محمد بن عقيل ، وهو ضعيف ، وقد انفرد عنه القاسم بن عبد الواحد وهو ممن لا يحتج بهم عند بعضهم ، ولذا علَّقه البخاري بقوله "ويذكر" على أن كون الإسناد مجازياً متعيَّن بحديث الدراقطني "يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم" الحديث ...)

تعليقه على الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص١٢٣ – الأزهرية

قال سيف السنة أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) :

(جواب آخر : وهو أن هذا الحديث قد روى فيه ما يدل على أن الصوت من غير الله بأمره ، لأنه روى إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، يأمر منادياً فينادي ، فصحَّ أن النداء من غيره ، لكن لما كان بأمره أضيف النداء إليه ، كما يقال : نادى الخليفة في بغداد بكذا وكذا ، ولا فرق بين الموضعين ، فإن كل عاقل يعلم أن الخليفة لم يباشر النداء بنفسه ، لكن لما كان بأمره جاز أن يضيفه إلى نفسه ، وأن يضاف إليه ، وإن لم يكن هو المنادي بنفسه ، ويصحح جميع ذلك القرآن ، قال الله " وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ " ق ٤١ – ٤٢ ، فأضاف النداء إلى المنادي ، فصح أن الصوت صفة المنادي لا صفة الآمر بالنداء ؛ ومن عجيب الأمر أن الجهال لا يجوزون أن يكون النداء صفة المخلوق إذا كان رفيع القدر في الدنيا كالخليفة والأمير ، وينفون عنه ذلك ثم يجوزونه في حق رب العالمين)

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص١٢٤ – الأزهرية

الثالث : روى الإمام البخاري بإسناد معلَّق ووصله في خلق أفعال العباد من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجداً حتى إذا فزع عن قلوبهم ، قال سكن عن قلوبهم ، نادى أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الحق ، قال كذا وكذا) ونقل الناقد تصحيح الشيخ الألباني في صحيحته رقم ١٢٩٣

وهذا الصوت هو للسماء وليس لله تعالى كما ذكرنا في تعقيبنا على الحديث الأول

قال الإمام ابن فورك (٤٠٦هـ) :

(اعلم أن كلام الله **ليس بصوت ولا حروف** عندنا وإنما العبارة عنه تارة تكون بالصوت. والعبارة هي دلالات عليه وأمارات له تظهر للخلق فيسمعوا عندها كلام الله سبحانه فيفهموا المراد)

مشكل الحديث ص٢٠٣ - ٢٠٤

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(ولم يثبت صفة الصوت في كلام الله عز وجل)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٥٨

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(لأن لفظ الصوت مما يُتوقَّف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل ، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طرق مختلف فيها ولو اعتضدت)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ١٧٤

قال العلامة محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) :

(ولم يصح في نسبة الصوت إلى الله حديث

وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في رسالة خاصة في تبيين بطلان الروايات في ذلك زيادة على ما يوجبه الدليل العقلي القاضي بتنزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه ، وإن أجاز ذلك الشيخ الحراني تبعاً لابن ملكا اليهودي الفيلسوف المتمسلم ، حتى اجترأ على أن يزعم أن اللفظ حادث شخصاً قديم نوعاً ..... فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهر البطلان. وقد أجاد الرد عليه العلاّمة قاسم في كلامه على المسايرة)

مقالات الكوثري ص٤٤ – ٤٥

ص٤٩٥ – ٤٩٩ زعم الناقد أن السادة الأشاعرة يقولون بأن القرآن مخلوق

إن القرآن كلام الله غير مخلوق أما أصواتنا وكتابتنا وحفظنا للقرآن فكلها – دون أدنى شك – مخلوقة

قال الله جل جلاله :

(وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ **مَنْ خَلَقَ** وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك ١٣ – ١٤

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(إن الله يصنع كل صانع وصنعته)

خلق أفعال العباد ص١٣٧

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤ / ٣٧١

سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٤

صححه الحاكم في مستدركه ١ / ٣١ ، ٣٢ ووافقه الذهبي

ومعنى استعمال الكلام النفسي هو مدلول العبارة كقوله تعالى (وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) المجادلة ٨ وقوله تعالى (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) الملك ١٣

فدل على المعنى النفسي بالقرينة وهي قوله : "في أنفسهم" ولو أطلق لما فهم إلا العبارة

والرجل يقول لغيره : لي معك كلام أريد أن أخبرك به

البداية من الكفاية في الهداية إلى أصول الدين ص٦١

قال الإمام القرافي (٦٨٤هـ) :

(والكلمة اسم للفظة المقيدة من الأصوات ، واسم للخبر من الكلام النفساني ، ولذا يُقال :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ** جعل اللسان على الفؤاد دليلاً) وهو للحطيئة والله أعلم

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة ص٣٦

وروى الإمام البخاري في صحيحه ٦٨٣٠ قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم السقيفة (زوَّرت في نفسي كلاماً) أي هيأت وأصلحت من التزوير وهو إصلاح الشيء وتحسينه ، ووجه الدلالة أنه سمَّى ما في النفس كلاماً قبل التكلم به

قال الصحابي ابن عباس (٦٨هـ) عند قوله تعالى "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" :

(لولا أن يسَّره على لسان الآدميين ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله عز وجل)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٥٢ – الأزهرية

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ) :

(والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب ، وفي القلوب محفوظ ، وعلى الألسن مقروء ، وعلى النبي صلى الله عليه وعلى آله منزل ، ولفظنا بالقرآن مخلوق ، وكتابتنا له مخلوقة ، وقراءتنا له مخلوقة ، والقرآن غير مخلوق)

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ص٩١ – ٩٤

قال الإمام عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) :

(الورق والمداد مخلوق ، فأما القرآن فليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله عز وجل)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٥١ – الأزهرية

وقال ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

("أستحب القراءة في الطواف ، والقراءة أفضل ما تكلّم به المرء"

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : **فجعل الشافعي القراءة من كسب القارئ حين أضافها إلى تكلُّمه بها.** وفيه ثم فيما مضى من قوله : القرآن كلام الله **دلالة على أنه كان يفرّق بين القراءة والمقروء ، فيجعل القراءة من كسب القارئ** ويعتقد في المقروء أنه كلام الله تعالى غير مخلوق)

مناقب الشافعي للبيهقي ١ / ٤١١

قال الإمام عبد الله بن سعيد بن كلاب (٢٤١هـ) وأتباعه :

(القرآن الموجود بين الناس عبارة عن كلام الله لا عينه)

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ٢ / ٢٥٨

وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) :

(القرآن الموجود عندنا حكاية كلام الله)

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص١٣٥

شرح المقاصد ٤ / ١٥٥

وقال الإمام النسفي (٥٠٨هـ) :

(... **مكتوب في المصاحف ، وليس بموضوع في المصاحف** ، لا يحتمل الزيادة والنقصان ، **حتى إنَّ من أحرق المصاحف لا يحترق القرآن** ...)

بحر الكلام ص١٣١

وقال شيخ الإسلام ابراهيم الباجوري (١٢٧٦هـ) :

(ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق ، **وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق** ، لكن يمتنع أن يقالَ القرآن مخلوق ويرادَ به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم ، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق .....

كل ظاهر من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي ، لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم ، كما سبق)

شرح جوهرة التوحيد ص٥٥ – ٥٦

ومن الذين فرّقوا بين التلاوة والمتلو الإمامين البخاري ومسلم

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٥٧ – الأزهرية

قال إمام أئمة الحديث محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) :

(... فالصلاة طاعة الله والأمر بالصلاة قرآن وهو مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور ، مقروء على الألسن ، والقراءة والحفظ والكتابة مخلوق ، وما قُرئ وحُفظ وكُتب ليس بمخلوق ، ومن الدليل عليه أن الناس يكتبون الله ويحفظونه ويدعونه ، فالدعاء والحفظ والكتابة من الناس مخلوق ، ولا شك فيه ، والخالق الله بصفته ، ويقال له : أترى القرآن في المصحف ؟ فإن قال : نعم ، فقد زعم أن من صفات الله ما يرى في الدنيا ، وهذا رد لقول الله عز وجل "لا تدركه الأبصار" في الدنيا "وهو يدرك الأبصار" وإن قال يرى كتابة القرآن فقد رجع إلى الخلق ، ويقال له : هل تدرك الأبصار إلا اللون ؟

فإن قال : لا ، قيل له : وهل يكون اللون إلا في الجسم ؟ فإن قال : نعم ، فقد زعم أن القرآن جسم يرى)

خلق أفعال العباد ص١١٤

وكان الإمام مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه

سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٣ – ٥٧٢

ويبدو أن الإمام أحمد قد رجع في نهاية المطاف عن رأيه ، فقد روى الحاكم بسنده إلى فوران صاحب أحمد أنه قال : سألني الأثرم وأبو عبد الله المعيطي أن أطلب من أبي عبد الله خلوة ، فأسأله فيها عن أصحابنا الذين يفرقون بين اللفظ والمحكي ، فسألته ، فقال : القرآن كيف تُصُرِّف في أقواله وأفعاله فغير مخلوق ، فأما أفعالنا فمخلوقة ، **قلت – أي فوران – : فاللفظية تعدهم يا أبا عبد الله في جملة الجهمية ؟ فقال : لا . الجهمية الذين قالوا : القرآن مخلوق**

سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٩٠

وقال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) "في ترجمة الكرابيسي" :

(... ومن لم يقل (يعتقد) : إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر. وهذا هو المنقول عن البخاري وداود بن علي الظاهري ، وكان الإمام أحمد يسدُّ في هذا الباب لأجل حسم مادة القول بخلق القرآن)

طبقات الفقهاء الشافعيين ١ / ١٣٣

وقال أيضاً :

(وقد بالغ الحنابلة في هذه المسألة وتعصَّبوا لها كثيراً ، واعتقدوا أن القول بها يفضي إلى القول بخلق القرآن ، وليس كما زعموا ، فإن الحق لا يحتاط له بالباطل والله أعلم)

البداية والنهاية ١١ / ١٤٥

ص٧١٣ شبهة المرحلة الثالثة للإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله

نقل الناقد كلاماً لابن كثير وابن تيمية والذهبي والآلوسي والأهوازي ونقل كلاماً لابن درباس محاولاً إثبات مرحلة ثالثة لإمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله

يستدلُّ القوم بإثبات مرحلة ثالثة للإمام الأشعري ، يصلون بها إلى أن الإمام رجع إلى ما يطلقون عليه (مذهب السلف) في اعتقاده بقضية صفات المولى تبارك وتعالى

وهذه الدعوى تحتاج إلى كثير من التحقيق والاستقصاء للتوصُّل إلى نتيجة علمية صادقة لا تعتريها الريب والشكوك ، أما إطلاق الألسنة بنتائج مفرغة من مضامينها فلن تنفع البتَّة

وأهم ما استدلُّ به الناقد ما نقله ص٧١٥ - ٧١٦ عن الحافظ عماد الدين أبو الفداء ابن كثير أنه قال :

(ذكروا للشيخ أبي الحسن الشعري ثلاثة أحوال :

أولها : حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

ثانيها : إثبات الصفات العقلية السبعة ، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الخبرية كالوجه والقدم والساق ونحو ذلك.

ثالثها : إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهي طريقته في "الإبانة"التي صنفها آخراً)

طبقات الفقهاء الشافعية ١ / ٢١٠

وعلى هذا فإن الشيخ الجاسم رأى من - وجهة نظره - أن الحافظ ابن كثير أثبت مرحلة ثالثة للإمام الأشعري ، ويعنون بالمرحلة الثالثة هاهنا ؛ مرحلة مخالفة للمرحلة الثانية بانتقال الإمام من مذهب إلى مذهب آخر

ولننتقل الآن لإبطال هذه الشبهة ضمن خمسة أقسام. والله المستعان

القسم الأول من إبطال الشبهة :

يُلاحظُ هنا أن الحافظ ابن كثير لم يثبت شيئاً إنما هو ناقل ، ولا يلزم كل ناقل أن يكون مُقِرًّا لما نقله ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فالحافظ ابن كثير قال (وذكروا) ، لكن من هم الذين ذكروا ؟! هل هم من أهل التحقيق أم مجاهيل ؟! وهل تنطبق عليهم شروط الصحيح المعروف ؟!

ولعلَّ أول مَن سطَّر مرحلة ثالثة للإمام أبي الحسن الأشعري هو الإمام ابن تيمية الحراني ، والذي يبدو لي أن الإمام ابن تيمية قد نقل هذه الدعوى عن غلاة الحنابلة المتأخرين الذين كانوا ينسبون لأئمة الأشاعرة رجوعهم عن معتقدهم

فقد ذكر الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) أن جهلة الحنابلة ببغداد كانوا يطيلون السبَّ بالإمام الأشعري أيام النظام بل وكانوا ينسبون لأئمة الأشاعرة رجوعهم عن معتقدهم

طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٢٣٥

في حين أننا نرى أن غلاة الحنابلة قبل هذه الفترة كانوا يكتفون بسبِّ الإمام الأشعري وافتراءَ مثالب عليه

قال أبو اسماعيل الهروي (٤٨١هـ) – غفر الله له – :

(وقد شاع بين المسلمين أن رأسهم علي بن اسماعيل الأشعري كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي)

ذم الكلام وأهله ٥ / ١٤١

قلت : ولعل هذه المفتريات التي ذكرها الهروي اقترفها أبو علي الحسن بن علي الأهوازي ، الذي أشار إليه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء قائلاً : (وقد ألَّف الأهوازي جزءاً في مثالب الأشعري ، فيه أكاذيب)

(قال الحافظ الثقة عبد الله بن أحمد بن عمر السمرقندي : قال لنا الحافظ أبو بكر الخطيب : أبو علي الأهوازي كذَّاب في الحديث والقراءات جميعاً

قال علي بن الخضر العثماني : تكلَّموا في أبي عليّ الأهوازي ، وظهر له تصانيف زعموا أنه كذب فيها

قال أبو طاهر الواسطي : أقرأ عليه العلم ولا أصدِّقه في حرف واحد

وذكره أبو الفضل بن خيرون فوهَّاه

قال ابن عساكر في تبيين كذب المفتري : لا يستبعدنَّ جاهلٌ كذب الأهوازي فيما أورده من تلك الحكايات ، فقد كان من أكذب الناس فيما يدَّعي من الروايات في القراءات

كان على مذهب السالمية يقول بالظاهر ، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة لتقوية مذهبه)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١ / ٥١٢ – ٥١٣ رقم ١٩١٦

لسان الميزان ٣ / ٩٤ – ٩٥ – ٩٦ رقم ٢٣٤٧

وكان الكندري – غفر الله له – يأمر بلعن الأشعري على المنابر

طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ١٩٠

لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) الأحزاب ٥٨

وأهم ما ينبغي ملاحظته في هذا الشأن ؛ أنه لو كان هناك مرحلة ثالثة رجع فيها الإمام الأشعري إلى معتقد القوم فلماذا يطلقون العنان لألسنتهم بسبِّ إمام السُّنة أبي الحسن الأشعري وهو على نهجهم ؟!

وبعبارة أخرى ... كيف يطعنون بامرئ عاد في آخر حياته إلى مذهبهم فوافقهم في المعتقد ونصر منهجهم ؟! أنَّى يستقيم ذلك !

لقد اشتهر عنه كما ذاع أمر رجوعه عن الاعتزال ، إذ لم يَبْقَ أحد ممن ترجم له إلا وذكر قصة صعوده المنبر وتبرِّيه من الاعتزال ، فهل ذكر أحد من المؤرخين أنه صعد إلى المنبر مرة أخرى وتاب من مذهب السلف الصالح وانتقل إلى مذهب جديد ؟!

والناقد متعلق بنقولات عن المتأخرين الذين جاؤوا بعد الإمام الأشعري بقرون ، وهل يُعقل أن يرجع الإمام عن مذهبه ويهجره ثم لا يكون لهذه الحادثة المهمة أي ذكر عند أحد أصحابه وتلاميذه وهو من هو جلالة وقدراً ؟! أم تراه قد رجع عن ذلك سراً وهو الذي حين قرَّر هجر مذهب المعتزلة اعتلى منبر المعتزلة نفسه ليعلن ذلك على الملأ ؟!

وكيف يتوب الإمام الأشعري من الاعتزال لينزلق مرة أخرى في الضلال ؟!

بل كيف استطاع أن يقمع بدعة الاعتزال وهو ما زال سالكاً درب الضلال ؟!

نضيف لذلك أن رجوع الإمام المزعوم هذا لو ثبت عنه لكان أولى الناس بمعرفته ونقله هم أصحابه وتلامذته ، لأن أولى الناس بمعرفة الرجل هم خاصته وأصحابه وأتباعه الملازمون له ، فهؤلاء هم أقرب الناس إليه وأعرفهم بأحواله وأقواله وآرائه

قال الأديب مصطفى صادق الرافعي (١٣٥٦هـ) :

(ولع بعض الأدباء باتهام التاريخ الإسلامي بالجهل نظراً لاستعمال طريقة في التعليل لم يسلكها الأولون ارتياداً لوجوه جديدة وأسباب للحوادث لم تكن معروفة بحيث قال : إنهم كشفوا حقائق تاريخية لم يعرفها غيرهم أو عرفوا أسراراً أعماها التاريخ الديني أو عمتها السياسة وأهواؤها على الجمهور ويسمون ذلك تمحيصاً وتحقيقاً ، ويظنون ان التمحيص والتحقيق هما بمجرد المخالفة والخروج عما عليه الرأي العام ..... ولكن إن كانوا يزعمون أن هذه التعليلات الغريبة هي الأصل في تلك الوقائع فليسمحوا لنا أن نستعفيهم من التصديق لأننا نعرف التاريخ بالأدلة العقلية والنقلية وملاحظة ما سبق وما لحق واستنباط النتائج من المقدمات ، ولا نعرفه تخرصات وافتراضات وأبنية على غير أساس ، فإن كان هذا هو التمحيص التاريخي الذي يتوخى بعض العصريين أن يقلد به الإفرنج فلا كان هذا التمحيص الذي هو عبارة عن قلب الحقائق لأجل الإتيان بالبدع ، ويجل علماء الإفرنج عن أن يكون تمحيصهم من هذا النمط ، وقد خلط منهم من خلط في معرض التمحيص ولكن نبَّه المدققون منهم على أنهم خلطوا)

تحت راية القرآن ص٧٣

وما ذكره الإمام ابن تيمية (ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى ، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم)

قلت : متى ذكر الإمام وأصحابه أنهم رجعوا لما عليه حنابلة بغداد ؟!

والإمام ابن تيمية يتناقض في نقولاته فقد ذكر أن الإمام الأشعري لم يعرف سوى طريقة المتكلمين حيث قال :

(وكان – أي إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري – ذكياً ثم إنه رجع عنهم – أي المعتزلة – وصنف في الرد عليهم ونصر في الصفات طريقة ابن كلاب لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم **ولم يعرِف غيرها**)

منهاج السنة ٥ / ٢٧٧ – قرطبة

بل وذكر أن كتاب الإبانة لم يكن آخر كتب الإمام الأشعري فقال :

(وقد قيل : إن الأشعري ..... صنف في آخر عمره كتاباً في تكافؤ الأدلة – يعني أدلة علم الكلام – ...)

مجموع الفتاوى ٤ / ٢٢ – الوفاء

وقد وصل الباحث إبراهيم برقان إلى أن كتابي اللمع والإبانة ليسا آخر مؤلفات الإمام أبي الحسن الأشعري من خلال دراسة شاملة لحياته (راجع إشكاليّة زمن تأليف الأشعري كتابيّ اللمع والإبانة / المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية / مجلد ٤ / عدد ٤ / ص٢٠٨)

والإمام الذهبي كان متحاملاً على الإمام الأشعري في ترجمته ، قال الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) :

(وأنت إذا نظرت ترجمة هذا الشيخ – أي الإمام الأشعري – الذي هو شيخ السنة وإمام الطائفة في تاريخ شيخنا الذهبي ، ورأيت كيف مزقها ، وحار كيف يصنع في قدره ، ولم يمكنه من البوح بالغض منه خوفاً من سيف أهل الحق ولا الصبر عن السكوت لما جُبِلت عليه طويَّته من بغضه ، بحيث اختصر ما شاء الله أن يختصر في مدحه ، ثم قال في آخر الترجمة : من أراد أن يتبحر في معرفة الأشعري فعليه بكتاب تبيين كذب المفتري لأبي القاسم بن عساكر ...) ثم وجَّه السبكي نصيحة لشيخه الذهبي في هذا الشأن

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٥٢ – ٣٥٤

القسم الثاني من إبطال الشبهة :

ولنسلم جدلاً بما نقله الحافظ ابن كثير من استقرار الإمام الأشعري على مرحلة ثالثة وافق فيها السلف الصالح في الاعتقاد ، ولنتجاوز عن الأمانة العلمية التي عهدناها عن الناقد في نقل كلام أهل العلم ، ولننقل كلام الحافظ ابن كثير الأصلي كاملاً دون تزوير الناقد وتحريفه

قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) :

(ذكروا للشيخ أبي الحسن الشعري ثلاثة أحوال :

أولها : حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

ثانيها : إثبات الصفات العقلية السبعة ، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الخبرية كالوجه والقدم والساق ونحو ذلك.

ثالثها : إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه **جرياً على منوال السلف وهي طريقته في "الإبانة"التي صنفها آخراً وشرحها القاضي الباقلاني ونقلها الحافظ أبو القاسم بن عساكر وهي التي مال إليها الباقلاني وإمام الحرمين وغيرهما من أئمة أصحاب المتقدمين في أواخر قولهم والله أعلم)**

طبقات الفقهاء الشافعية ١ / ٢١٠

قلت : تأمّل كيف حذف الناقد ثمرة كلام الحافظ ابن كثير الذي يفضح دعواه ويجعلها قاعاً صفصفاً

ترى !! ما هي العقيدة التي شرحها الباقلاني ونقلها ابن عساكر ومال إليها إمام الحرمين ؟!

وبمجرد عودتنا إلى الإنصاف للباقلاني وتبيين كذب المفتري لابن عساكر والعقيدة النظامية لإمام الحرمين ، نرى أن المرحلة الثالثة المزعومة – إن ثبتت – إنما هي عبارة عن مغالطة فبركها غلاة الحنابلة ، إذ هي – في حقيقة الأمر – جزء لا يتجزَّأ من المرحلة الثانية للإمام أبي الحسن الأشعري

فمنهج الإمام الأشعري يتميَّز بوجود مسلكين في الاعتقاد بصفات الحق تبارك وتعالى الخبرية وهما مسلك التفويض ومسلك التأويل ، ولكلٍّ شروطه

فدعوى أنه كان يأوِّل ثم يثبت دعوى فيها نظر ؛ وإننا في حال سلّمنا بهذه الدعوى ، فللتأويل عند السادة الأشاعرة شروط وقيود ، فلا يجوز اللجوء إليه إلا بعد تجاوز هذه الشروط وحلِّ تلك القيود ؛ ومنها أنه لا يسوغ ممارسة التأويل إلا للراسخين في العلم ويجب أن يكون للتأويل دلائله الشرعية أو قرائنه اللغوية وكذلك يمتنع التأويل في حال عدم الحاجة إليه

فيحمل ذلك على أن الإمام الأشعري وبعد أن يسَّر الله له سبل الانتصار على الفرق المنحرفة وانقضاء عهدهم على يديه ، رأى أنه لم يعد هناك حاجة للتأويل ، إذ لا حاجة للدواء بعد زوال الداء ، وعلى هذا فإن رجع الداء وجب استعمال الدواء

فانتقال الإمام الأشعري من مسلك إلى آخر ضمن دائرة المنهج لا يُسمَّى رجوعاً ، لأن الرجوع معناه أنه عاف شيئاً وذهب لغيره منتقلاً من مذهب لآخر ، في حين أن الإمام لم يرجع عن شيء بل كل ما يُفهم من ذلك أنه رجَّح مسلكاً على مسلك ضمن دائرة المنهج المقرَّر

ولا يضرُّ هذا الترجيح – في حال ثبوته – شيئاً مِن صَرح السادة الأشاعرة لأن تأويل الصفات الخبرية هو مسلك آخر للسلف الصالح وإن كانوا مقتصرين في استخدامه على نطاق ضيِّق نظراً للشروط الصارمة التي تقيَّدوا بها واقتدى بها من بعدهم السادة الأشاعرة

وقد عرضنا نماذج كثيرة من تأويلات السلف الصالح فيما مضى. فلتُراجَع

وللمضحك المبكي أن الناقد بعد أن نقل كلام الحافظ ابن كثير علّق قائلاً ص٧١٦ :

(... ونقله عنه المرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢ / ٤ ولم يتعقَّبه) فتأمَّل !!

القسم الثالث من إبطال الشبهة :

وبمجرد عودتنا لكتاب الإبانة للإمام أبي الحسن الأشعري فإننا لا نجد لا رجوعاً ولا أي شيء ، كل ما هنالك أن الإمام الأشعري قد سلك في هذا الكتاب مسلك التفويض وهو أحد مسلكي السادة الأشاعرة ومذهب جمهور السلف الصالح

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(وعلى طريقته – يعني طريقة ابن كلاب في التفويض – مشى الأشعري في الإبانة)

لسان الميزان ٤ / ٤٨٧

قال العلامة محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) عن الإبانة :

(وأراد بها انتشال المتورطين في أوحال التشبيه من الرواة والتدرُّج بهم إلى مستوى الاعتقاد الصحيح)

تعليقاته على تبيين كذب المفتري ص٢٨

تنويه : راجع رسالة نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن / المحدث وهبي سليمان غاوجي الألباني رحمه الله

والعجيب أن الناقد ينقل عن الإمام ابن درباس ما يدحض مزاعمه ، فقد دافع في رسالته عن الإمام الأشعري وأكد أن من ينسب رجوعه عن اعتقاده ، يكفيه بنفسه أنه على غير شيء. فقال :

(فاعلموا معاشر الإخوان وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا أجمعين للصراط المستقيم بأن كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقد وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى **بعد رجوعه عن الاعتزال** بمن الله ولطفه وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها كيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله "**فهل يسوغ أن يقال أنه رجع عنه إلى غيره فإلى ماذا يرجع** أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم"

هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين أو هل يقال إنه جهل الأمر فيما نقله عن السلف الماضين **مع إفنائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات** هذا مما لا يتوهمه منصف ولا يزعمه إلا مكابر مسرف "ويكفيه معرفته بنفسه أنه على غير شيء")

ثم استشهد بالبيهقي والعراقي والخربوي والفارسي وابن عساكر الذي قال في مؤلفه (تبيين كذب المفتري) عن كتاب الإبانة ما نصه :

(بل هم يعني المحققين من الأشعرية يعتقدون ما فيها أشد اعتقاد ويعتمدون عليها أشد اعتماد فإنهم بحمد الله ليسوا معتزلة ولا نفاة لصفات الله معطلة لكنهم يثبتون له سبحانه ما أثبته لنفسه من الصفات ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات وما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح الروايات قال ولم يزل كتاب الإبانة مستصوباً عند أهل الديانة)

ثم ذكر مقدمة كتاب الإبانة وقال في السياق : (...واعرفوا انصافه واسمعوا وصفه لأحمد بالفضل واعترافه لتعلموا أنهما ((كانا في الاعتقاد متفقين وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين)) ولم تزل الحنابلة في بغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات يعتقدون بالأشعرية حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر بن القشيري ووزارة النظام ووقع بينهم الانحراف من بعضهم عن بعض لانحلال النظام)

تنويه : راجع رسالة زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري للإمام أبي العباس القرطبي

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٤٢٣

القسم الرابع من إبطال الشبهة :

نقل الناقد عن الإمام الآلوسي كلاماً يوهم أن الإمام الأشعري رجع عن عقيدته ، وأحب أن أوضِّح للقراء مقصد الإمام الآلوسي الذي حاول الناقد تحويره من وجهين ، فأقول :

الوجه الأول : إن الإمام الآلوسي يرى أن مذهب السلف في تفويض معاني نصوص الصفات المتشابهة هو المذهب الذي ينبغي اتباعه دونما سواه ويعارض مذهب التأويل. فهو يقول :

(... لكنهم نزّهوا – أي السلف – مولاهم عن مشابهة الحوادث. **ثم فوَّضوا إليه سبحانه تعيين ما أراده هو أو نبيُّه من الصفات المتشابهات.**

والأشعري إمام أهل السنة ذهب في النهاية إلى ما ذهبوا إليه. وعوَّل في الإبانة على ما عوَّلوا عليه ...)

ثم ذكر الإمام الآلوسي كلام الإمام الأشعري في تمسُّكه بما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل ، ثم قال : (ثم سرد – أي الإمام الأشعري – الكلام في بيان عقيدته مصرِّحاً بإجراء ما ورد من الصفات على حالها بلا كيف غير متعرض لتأويل ولا ملتفت إلى قال وقيل. فما نقل عنه من تأويل صفة الرحمة إما غير ثابت أو مرجوع عنه والأعمال بالخواتيم ...)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١ / ٦٠

وقال أيضاً :

(... وكلام إمام الحرمين في الإرشاد يميل إلى طريقة التأويل **وكلامه في الرسالة النظامية مصرِّح باختياره طريقة التفويض .....**

وقد اختاره أيضاً الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين وفي كتابه الإبانة في أصول الديانة وهو آخر مصنفاته فيما قيل)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٦ / ١٥٧

قلت : وهكذا تنجلي الحقيقة بوضوح ، ونرى أن الإمام الآلوسي يرى أن إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري رجَّح المسلك الأول ضمن دائرة منهجه ؛ ألا وهو تفويض معاني النصوص المتشابهة من صفات المولى تبارك

وتعالى ، فلا حجة للناقد في كلام الإمام الآلوسي فيما يريد إثباته من رجوع الإمام الأشعري إلى مذهب التشبيه الذي يدافع عنه في نقده

وإليك الآن جملة من النصوص التي توضّح ما عليه الإمام الآلوسي من اعتقاد :

* (غير المغضوب) الفاتحة ٧

قال ١ / ٩٥ : (... **وأنا أقول كما قال سلف الأمة هو صفة الله تعالى لائقة بجلال ذاته لا أعلم حقيقتها ولا كيف هي** ...)

* (وهو العلي) البقرة ٢٥٥

قال ٣ / ١١ : (**أي المتعالي عن الأشباه والأنداد والأمثال والأضداد ، وعن أمارات النقص ودلالات الحدوث ، وقيل : هو من العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان والملك وعلو الشأن والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء**)

* (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام ١٨

قال ٧ / ١١٤ : (... والداعي إلى التزام ذلك كله أن **ظاهر الآية يقتضي القول بالجهة والله تعالى منزَّه عنها** لأنها محدثة بإحداث العالم وإخراجه من العدم إلى الوجود ، ويلزم أيضاً من كونه سبحانه وتعالى في جهة مفاسد لا تخفى ، وأنت تعلم أن مذهب السلف إثبات الفوقية لله تعالى كما نصَّ عليه الإمام الطحاوي وغيره ...)

* (إني لا أحب الأفلين) الأنعام ٧٦

قال ٧ / ٢٠٠ : (أي الأرباب **المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال**)

* (أو يأتي ربك) الأنعام ١٥٨

قال ٨ / ٦٢ : (يوم القيامة في ظلل من الغمام **حسبما أخبر وبالمعنى الذي أراد. وإلى هذا التفسير ذهب ابن مسعود وقتادة** ومقاتل ، وقيل : إتيان الملائكة لإنزال العذاب والخسف بهم. **وعن الحسن : إتيان الرب على معنى إتيان أمره بالعذاب. وعن ابن عباس المراد يأتي أمر ربك فيهم بالقتل** ، وقيل المراد : يأتي كل

آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله تعالى (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ). **وأنتم تعلم أن المشهور من مذهب السلف** عدم تأويل مثل ذلك بتقدير مضاف ونحوه بل **تفويض المراد منه إلى اللطيف الخبير مع الجزم بعدم إرادة الظاهر**. ومنهم من يبقيه على الظاهر إلا أنه يدعي أن الإتيان الذي ينسب إليه تعالى ليس الإتيان الذي يتصف به الحادث ، وحاصل ذلك أنه يقول بالظواهر وينفي اللوازم ويدَّعي أنها لوازم في الشاهد ، وأين التراب من رب الأرباب.

وجوَّز بعض المحققين حمل الكلام على الظاهر المتعارف عند الناس. والمقصود منه حكاية مذهب الكفار واعتقادهم ، وعلى ذلك اعتمد الإمام وهو بعيد وباطل ...)

* (ثم استوى على العرش) الأعراف ٥٤

قال ٨ / ١٣٤ - ١٣٥ (ومن قوله - أي الإمام مالك - والكيف غير معقول أن كل ما هو من صفة الله تعالى **لا يدرك بالعقل له كيفية لتعاليه عن ذلك ، فكفُّ الكيف عنه مشلولة**

ويدل على هذا ما جاء في رواية أخرى عن عبد الله بن وهب أن مالكاً سُئِل عن الاستواء فأطرق وأخذته الرحضاء ثم قال : (الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه ولا يقال كيف **وكيف عنه مرفوع** إلى آخر ما قال ، ثم إن هذا القول إن كان مع نفي اللوازم فالأمر فيه هين ، وإن كان مع القول بها والعياذ بالله تعالى فهو ضلال ، وأي ضلال وجهل وأي جهل بالملك المتعال ...)

وقال ٨ / ١٣٦ (وأنت تعلم **أن المشهور من مذهب السلف** في مثل ذلك **تفويض المراد منه إلى الله تعالى** ، فهم يقولون : استوى على العرش **على الوجه الذي عناه سبحانه منزَّهاً عن الاستقرار والتمكن** ، وأن تفسير الاستواء بالاستيلاء تفسير مرذول ...)

* (ثم استوى على العرش) يونس ٣

قال ١١ / ٦٤ - ٦٥ **(على المعنى الذي أراده سبحانه وكفُّ الكيف مشلولة .....**

وأنت تعلم أن هذا وأمثاله من المتشابه وللناس فيه مذاهب ، وما أشرنا إليه هو الذي عليه أكثر سلف الأمة رضي الله تعالى عنهم ...)

* (وأشرقت الأرض بنور ربها) الزمر ٦٩

قال ٢٤ /٢٩ – ٣٠ (**هو على ما رُوي عن ابن عباس نور يخلقه الله تعالى بلا واسطة أجسام مضيئة كشمس وقمر** ، واختاره الإمام وجعل الإضافة من باب (نَاقَةُ اللّهِ) الأعراف ٧٣ ، **وعن محيي السنة تفسيره بتجلي الرب لفصل القضاء ، وعن الحسن والسدي تفسيره بالعدل ، وهو من باب الاستعارة** ، وقد استعير لذلك وللقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل ، **أي وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل** ويبسط سبحانه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات ...)

* (يد الله فوق أيديهم) الفتح ١٠

قال ٢٦ / ٩٧ (... **والسلف يمرون الآية كما جاءت مع تنزيه الله عز وجل عن الجوارح وصفات الأجسام وكذلك يفعلون في جميع المتشابهات ويقولون : إن معرفة حقيقة ذلك فرع معرفة حقيقة الذات وأنَّى ذلك وهيهات هيهات** ...)

* (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ق ١٦

قال ٢٦ / ١٧٨ (**أي نعلم به وبأحواله** لا يخفى علينا شيء من خفياته على أنه أطلق السبب وأريد المسبب لأن القرب من الشيء في العادة سبب العلم به وبأحواله أو الكلام من باب التمثيل **ولا مجال لحمله على القرب المكاني لتنزهه سبحانه عن ذلك** ...)

* (وهو معكم أين ما كنتم) الحديد ٤

قال ٢٧ / ١٦٨ (**تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم** وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما كانوا ، وقيل : المعية مجاز مرسل عن العلم بعلاقة السببية والقرينة السابق واللحاق مع استحالة الحقيقة ، وقد أوَّل السلف هذه الآية بذلك ، أخرج البيهقي في الأسماء والصفات **عن ابن عباس** أنه قال فيها : **عالم بكم أينما كنتم**

وأخرج أيضًا عن **سفيان الثوري** أنه سئل عنها فقال : **علمه معكم** ، وفي البحر أنه اجتمعت الأمة على هذا التأويل فيها ، **وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات** وهي حجة على منع التأويل في غيرها مما يجري مجراها في استحالة الحمل على الظاهر ، وقد تأوَّل هذه الآية . وتأوَّل الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، ولو اتسع عقله لتأوَّل غير ذلك مما هو في معناه انتهى.

وأنت تعلم أن الأسلم ترك التأويل فإنه قول على الله تعالى من غير علم ولا نؤوِّل إلا ما أوَّله السلف ونتبعهم فيما كانوا عليه **فإن أوَّلوا أوَّلنا وإن فوَّضوا فوَّضنا** ولا نأخذ تأويلهم لشيء سلماً لتأويل غيره ...)

* (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى ١

قال ٣٠ / ١٠٣ (... والأعلى صفة الرب وأريد بالعلو العلو بالقهر والاقتدار لا بالمكان لاستحالته عليه سبحانه **والسلف وإن لم يؤولوا بذلك لكنهم أيضاً يقولون باستحالة العلو المكاني عليه عز وجل** ، وجوز جعله صفة لاسم وعلوه ترفعه عن أن يشاركه اسم في حقيقة معناه ...)

الوجه الثاني : إن الإمام الآلوسي رغم دعواه السابقة في رجوع الإمام الأشعري إلى مسلك التفويض وهجره مسلك التأويل ، تراه يلجأ إلى التأويل في بعض نصوص الصفات وينقل عن السلف تأويلاتهم رغم دعواه أن مذهب السلف الوحيد هو التفويض فقط ، حيث يقول : (وبالجملة يجب تنويه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين **وتفويض علم ما جاء من المتشابهات إليه عز شأنه** والإيمان بها على الوجه الذي جاءت عليه ، والتأويل القريب إلى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي **على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف**)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٧ / ١١٦ – ١١٧

قلت : فتأمل التناقض !!

ولنعرض نماجاً من التأويلات :

* (الله يستهزئ) البقرة ١٥

قال ١ / ١٥٨ : (... **فالآية على هذا مؤولة**)

* (ثم استوى إلى السماء) البقرة ٢٩

قال ١ / ٢١٥ : (أي علا وارتفع **من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحديد** – قاله الربيع – **أو قصد إليها بإرادته قصداً سوياً بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه** ... – قاله الفراء – وقيل : استولى وملك كما في قوله : فلما علونا واستوينا عليهم ** تركناهم صرعى لنسر وكاسر) ثم نقد تأويل الاستواء بالاستيلاء

* (أطفأها الله) المائدة ٦٤

قال ٦ / ١٨٣ : (... **ردَّهم الله تعالى وقهرهم بتفرُّق آرائهم وحلِّ عزائمهم وإلقاء الرعب في قلوبهم** ...)

* (فاليوم ننساهم) الأعراف ٥١

قال ٨ / ١٢٧ : (نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركاً كلياً **فالكلام خارج مخرج التمثيل ، وقد جاء النسيان بمعنى الترك كثيراً ويصحُّ أن يفسَّرَ به هنا فيكون استعارة أو مجازاً مرسلاً ، وعن مجاهد أنه قال : المعنى نؤخرهم في النار** ، وعليه فالظاهر أن ننساهم من النسء لا من النسيان. والفاء في قوله تعالى (فَٱلْيَوْمَ) فصيحة)

* (إلا هو آخذ بناصيتها) هود ٥٦

قال ١٢ / ٨٣ : (**أي إلا هو مالك لها قادر عليها** يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه سبحانه ، والناصية مقدم الرأس وتطلق على الشعر النابت عليها ، **واستعمال الأخذ بالناصية في القدرة والتسلط مجاز أو كناية** وفي «البحر» أنه صار عرفاً في القدرة على الحيوان ، وكانت العرب تجز الأسير الممنون عليه علامة على أنه قد قدر عليه وقبض على ناصيته)

* (فظن أن لن نقدر عليه) الأنبياء ٨٧

قال ١٧ / ٨٤ : (**أي أنه أي الشأن لن نقدر ونقضي عليه بعقوبة ونحوها أو لن نضيق عليه في أمره بحبس ونحوه** ...)

* (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) فاطر ٤١

قال ٢٢ / ٢٠٤ (... أي أن الله تعالى **يحفظ** السماوات والأرض كراهة زوالهما ...)

* (مما عملت أيدينا) يس ٧١

قال ٢٣ / ٥٠ : (أي **مما تولينا إحداثه بالذات** من غير مدخل لغيرنا فيه لا خلقاً ولا كسباً.

والكلام استعارة تمثيلية فيما ذكر ...)

* (إني ذاهب إلى ربي) الصافات ٩٩

قال ٢٣ / ١٢٦ : (**إلى حيث أمرني أو حيث أتجرد فيه لعبادته عز وجل جعل الذهاب إلى المكان الذي أمره ربه تعالى بالذهاب إليه ذهاباً إليه** وكذا الذهاب إلى مكان يعبده تعالى فيه لا أن الكلام بتقدير مضاف

، والمراد بذلك المكان الشام ، وقيل مصر وكأن المراد إظهار اليأس من إيمانهم وكراهة البقاء معهم أي إني مفارقكم ومهاجر منكم إلى ربي)

* (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور ٤٨

قال ٢٧ / ٤٠ : (**أي في حفظنا وحراستنا ، فالعين مجاز عن الحفظ** ويتجوز بها أيضاً عن الحافظ وهو مجاز مشهور)

* (تجري بأعيننا) القمر ١٤

قال ٢٧ / ٨٣ : (**بمرأى منا ، وكنى به عن الحفظ ، أي تجري في ذلك الماء بحفظنا وكلاءتنا ، وقيل : بأوليائنا** يعني نوحاً عليه السلام ومن آمن معه يقال : مات عين من عيون الله تعالى أي ولي من أوليائه سبحانه ، وقيل : بأعين الماء التي فجرناها ، **وقيل : بالحفظة من الملائكة عليهم السلام** سماهم أعيناً وأضافهم إليه جل شأنه والأول أظهر ...)

* (فإذا قرأناه) القيامة ١٨

قال ٢٩ / ١٤٢ : (**أن أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا فالإسناد مجازي** وفي ذلك مع اختيار نون العظمة مبالغة في إيجاب التأتي)

* (وجاء ربك) الفجر ٢٢

قال ٣٠ / ١٢٨ : (**قال منذر بن سعيد** معناه ظهر سبحانه للخلق هنا لك **وليس ذلك بمجيء نقلة** وكذلك مجيء الطامة والصاخة **وقيل الكلام على حذف المضاف للتهويل أي وجاء أمر ربك وقضاؤه سبحانه واختار جمع أنه تمثيل لظهور آيات اقتداره تعالى وتبين آثار قدرته عز وجل وسلطانه** عز سلطانه مثلت حاله سبحانه في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم وأنت تعلم ما للسلف في المتشابه من الكلام)

القسم الخامس من إبطال الشبهة :

إن ما في الإبانة وغيره ، والذي يدَّعي القوم أن الإمام الأشعري قد رجع فيه إلى مذهب السلف ، مخالف لمعتقد القوم الذين يزعمون أنهم على عقيدة السلف وأن الإمام الأشعري استقرَّ عليها كمرحلة ثالثة وأخيرة في حياته ، ولنعرض شيئاً عن عقيدته التي تبرؤه من أدران التشبيه ووحال التجسيم. والله المستعان

قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري "منزِّهاً الله عز وجل عن الشبيه والصورة والحد" :

(تقدّس عن ملابسة الأجناس والأرجاس ، **ليست له صورة تقال ولا حدٌّ يضرب له مثال)**

الإبانة عن أصول الديانة ص٧

وقال "عند صفة الاستواء" :

(وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، **استواءً منزَّهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال. لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته** ، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد)

الإبانة عن أصول الديانة ص٢١

وقال أيضاً :

(إن الله عز وجل يستوي على عرشه **استواء يليق به من غير طول استقرار** ، كما قال "الرحمن على العرش استوى")

الإبانة عن أصول الديانة ص١٠٥

وقال أيضاً "بعد عرضه آيات الاستواء" :

(فكل ذلك يدلُّ على أنه تعالى في السماء مستوٍ على عرشه ، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض ، فدلَّ على أنه تعالى منفرد بوحدانيته ، مستوٍ على عرشه **استواء منزهاً عن الحلول والاتحاد)**

الإبانة عن أصول الديانة ص١١٣

وقال أيضاً :

(كلُّ ذلك يدلُّ على أنه تعالى ليس في خلقه ، ولا خلقُه فيه ، **وأنه مستوٍ على عرشه سبحانه بلا كيف ولا استقرار**. تعالى الله عمَّا يقول الظالمون والجاحدون علوَّاً كبيراً ...)

الإبانة عن أصول الديانة ١١٦

وقال "محاججاً المعتزلة في الرؤية" :

(فإن قالوا : رؤية البصر هي إدراك البصر ؟

قيل لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال. إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته. فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك. **فما أنكرتم أن يكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك**)

الإبانة عن أصول الديانة ص٥٩

وقال "بعد ذكر المجسمة وأقوالهم" :

(وقال بعض **مَن ينتحل الحديث** : إن العرش لم يمتلئ به ، **وإنَّه يُقعِدُ نبيَّه عليه السلام معه على العرش**.

وقال **أهل السنة والحديث** : **ليس بجسم** ، ولا يشبه الأشياء ، وإنه على العرش كما قال عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه ٥ ، ولانقدِّم بين يدي الله في القول ، بل نقول : **استوى بلا كيف** ...)

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١ / ٢٦٠

وقال أيضاً "مبيِّناً قول المجسمة وأهل الحديث في العين واليد والوجه" :

(واختلفوا في العين واليد والوجه على أربع مقالات :

فقالت **المجسمة** : له يدان ورجلان ووجه وعينان وجنب **يذهبون إلى الجوارح والأعضاء**.

وقال **أصحاب الحديث** : لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عز وجل أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنقول : **وجه بلا كيف ، ويدان وعينان بلا كيف**

(...

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١ / ٢٦٥

وقال أيضاً :

(فإن قال قائل : لم أنكرتم أن يكون الله تعالى جسماً ؟

قيل له : أنكرنا ذلك لأنّه لا يخلو أن يكون القائل بذلك أراد أن يكون طويلاً عريضاً مجتمعاً ، أو يكون أراد تسميته جسماً وإن لم يكن طويلاً عريضاً مجتمعاً عميقاً ، فإن أراد الأوّل فهذا لا يجوز ، لأنّ المجتمع لا يكون شيئاً واحداً ، لأنّ أقلّ قليل الاجتماع لا يكون إلاّمن شيئين ، لأنّ الشيء الواحد لا يكون لنفسه مجامعاً. وقد بيّنا آنفاً أنّ الله عزّوجلّ شيء واحد ، فبطل أن يكون مجتمعاً. وإن أردتم الثاني فالأسماء ليست إلينا ، **ولا يجوز أن يُسمَّى الله تعالى باسم لم يسمِّ به نفسه ، ولا سمّاه به رسوله ، ولا أجمع المسلمون عليه ولا على معناه)**

اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص٢٣ - ٢٤

وقال أيضاً "منزِّهاً الله عن الأعراض والأجسام والحد والمكان" :

(ولا يجب أن تكون - أي صفات الحق تبارك وتعالى - أعراضاً ؛ **لأنه عز وجل ليس بجسم** ، وإنما توجد الأعراض في الأجسام ، ويدلُّ بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها ... كما **لا يجب أن تكون نفس الباري جسماً أو جوهراً أو محدوداً أو في مكان دون مكان أو غير ذلك)**

رسالة إلى أهل الثغر ص٢١٨

وقال "عند صفة المجيء والنزول" :

(الإجماع الثامن

وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة .....

وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ، وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً ، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة .....

وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، **وليس نزوله نقلة ، لأنه ليس بجسم ولا جوهر ...**)

رسالة إلى أهل الثغر ص٢٢٧ – ٢٢٨ – ٢٢٩

وقال "في تأويل صفتي الرضا والغضب" :

(الإجماع التاسع

وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له ، **وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم** ، وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم ، **وأن غضبه إرادته لعذابهم** ، وأنه لا يقوم لغضبه شيء)

رسالة إلى أهل الثغر ص٢٣١

قلت : وعلى ذمة الناقد ص٧١٨ أن الإمام الأشعري عدَّ من أوَّل صفات الله مبتدعة جهمية ، فتأمل كيف يستعمل الإمام الأشعري المسلك الثاني (التأويل) في تأويل صفة الرضا والغضب

فإن كنت أيها الناقد من الذين يتقون الله فيما يسطِّرونه ، فلتعلن أنك موافق لما نقلناه من كتب الإمام الأشعري من تنزيه وأنه موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة الصحيحة ، فإن لم تفعل ولن تفعل ، فاتقِ الله أنت وأتباعك (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) الزخرف ١٩

ولنسلم جدلاً أن الإمام الأشعري رجع عن معتقده ، فما لنا وله ؟! وهل الحق يتبع برجوع فلان عن مذهبه ، فكم وكم من جماعة صاحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ، وبعد وفاته ارتدت ففارقت الجماعة وخرجت عن ربقة الدين ، وحاشا لإمام أهل السنة أن يكون ذا شأنه

ونحو ذلك مما ينسبه القوم إلى أعلام أئمة أهل السنة كالجويني والغزالي والرازي والنووي والآمدي وغيرهم أنهم رجعوا عن معتقدهم أو كانوا مضطربين مشوشين الخ ، ولا يكاد يزول العجب لتصدق العقول أن هؤلاء الأعلام بعدما بنوا للأجيال عزاً وعمروا للمسلمين مجداً ، تراجعوا قبيل انتقالهم إلى الرفيق الأعلى ، وتلاحظ نفس السبك والحبكة القصصية بأنهم وهم على فراش الموت تابوا ورجعوا ، بل لا يكاد يزول العجب أن مثل هذه القصص المنسوبة لهؤلاء الأعلام – أعني دعوى رجوعهم عن معتقدهم – لا ينسب مثلها أو أدنى منها إلى غيرهم كالمعتزلة والمشبهة والكرامية ، وهل هذا سوى محاولة استشراقية بربرية لإسقاط الرموز من قلوب المسلمين ؟! يعينهم في ذلك من هم منسوبون للإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

ص٦٤٢ زعم الناقد أن علم الكلام نشأ في القرن الثاني الهجري فكيف يعدُّ من الصحابة والتابعين من المتكلمين ؟!

والحقيقة أن هذا الكلام يدل على جهل كبير بالعلوم والفنون التي خاضها علماء الأمة سلفاً وخلفاً ، ولو أن من قال هذا الكلام لم يكن منتسباً للإسلام لما كان لنا عليه أي تعقيب ، أما أن يقول هذا الكلام من يزعم أنه متبع للسلف الصالح فهنا الطامة الكبرى

فبعد انتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدار الباقية سطع نجم دعاة الفتنة من المنافقين ، فارتد من ارتد عن دين الله ، فمِن الصحابة صِنْف عدَّ أصحاب الزيغ مرتدين فقاتلوهم أمثال عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت ، وقد خاض الصديق رضي الله عنه معهم حروب الردة ، ولم يكن الفاروق رضي الله عنه بأقل سهراً على الفاتنين فكان دائماً ينفي من يقوم بالتشويش على العامة ، وتبرَّأ عبد الله بن عمر من معبد الجهني في نفيه القدر ، ومِن الصحابة صِنْفٌ وثب عليهم وقارعهم بالحجة أمثال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود

فقد ناظر **الإمام علي** (٤٠هـ) **كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه** – وهو باب مدينة العلم – القدري عبد الله بن صبيغ في المشيئة والاستطاعة ، ولم تكن للإمام علي ذات الطريقة التي لجأ إليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الردع الشديد بل لجأ إلى الجدال بالتي هي أحسن

كما أن سيدنا علي ناظر الخوارج في مسألة الوعد والوعيد ، وناظر عبد الله بن مسعود ابن عميرة في الإيمان ونحو ذلك

إلا أن بني أمية لم يكونوا كالخلفاء الراشدين في السهر على معتقد المسلمين ؛ فنشأ الاعتزال والجبرية والمرجئة ، واختلفوا في بعض مسائل العقيدة وأهمها صفات الله جل جلاله وتأرجحوا بين التشبيه والتعطيل ، ولـمَّا استفحل أمرهم أمر المهدي علماء من المتكلمين بتصنيف الكتب للرد عليهم ، فأقاموا البراهين وأزالوا الشبه

أما غالب الفقهاء وأئمة السنة فكانوا طول هذه المكافحات يأبَون الدخول ضمن دوَّامة الجدل ، فجرَوا على ما عليه الصحابة وخيار التابعين

فمنهم من آثر الاستمرار في السكوت والابتعاد عن الجدل وعدَّ ذلك من البدع المنكرة ولم يخوضوا في شيء أمثال (سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وأحمد) لعلمهم أن حفظ الدهماء أهم الأمور مع أن سيوف حججهم مرهفة ورماحهم مشحوذة

ومنهم من لجأ إلى البحث و النقاش لمعالجة الشبهات أمثال (أبو حنيفة والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز والحارث المحاسبي) ، فاهتدى بعض الضالين بالمناظرة والحجة

وكثير من السلف الصالح كانوا ينكرون على أهل الكلام حتى وإن كان مرادهم منه الرد على أهل البدع ، ولكن السلف بشرٌ ؛ يقولون قولهم اليوم ويرجعون عنه غداً

فقد ألَف **الإمام جعفر الصادق (١٤٨هـ)** عدة رسائل ؛ الأولى في الرد على القدرية والثانية في الرد على الغلاة من الروافض والثالثة في الرد على الخوارج

وكذلك **الفقيه عبد الله بن يزيد بن هرمز (١٤٨هـ)** قال عنه الإمام مالك : وكان بصيراً بالكلام ، وكان يردُّ على أهل الأهواء ، وكان من أعلم الناس بما اختلفوا فيه من هذه الأهواء

شعب الإيمان ١ / ٩٦ رقم ٨٥

وكان **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ)** بداية يتحرَّج من الخوض في مسائل العقيدة على طريقة علم الكلام لكنه رجع ونشط في ممارسته

فألَّف رسالة الاستطاعة مع الفعل المشهورة بـ (الفقه الأكبر) وهو متن صغير حدَّد فيه للمسلمين عقائد أهل السنة تحديداً منهجياً

وكتب رسالة إلى إمام أهل البصرة عثمان بن مسلم البتي في الإرجاء

وعرض بعض آرائه الكلامية في رسالة العالم والمتعلم

وذكر ابن النديم في الفهرست ص٢٥٦ أن للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رسالة في الرد على القدرية

والإمام الأعظم هو أول من استعمل مصطلح الفقه الأكبر للاعتقادات مقابلاً للفقه الأصغر للعبادات ، كما استعمل مصطلح أصل التوحيد

قال الإمام القرافي (٦٨٤هـ) :

(ورأيت لأبي حنيفة – رضي الله عنه – جواباً لكلام كتب به إليه مالك : إنك تتحدث في أصول الدين ، وإن السلف لم يكونوا يتحدثون فيه. فأجاب بأن السلف – رضي الله عنهم – لم تكن البدع ظهرت في زمانهم ، فكان تحريك الجواب عنها داعية لإظهارها فهو سعي في منكر عظيم ، فلذلك تُرِك ، قال : وفي زماننا ظهرت البدع ، فلو سكتنا كنا مقرِّين للبدع ، فافترق الحال. وهذا جواب سديد يدلُّ على أن البدع ظهرت ببلاده بالعراق ، ومالك لم يظهر ذلك ببلده ، فلذلك أنكر ، فهذا وجه الجمع بين كلام الإمامين)

الذخيرة ١٣ / ٢٤٣

وقال **الإمام عبد الله بن المبارك** (**١٨١هـ**) لما أخبره أفلح بن محمد بكرهه الخوض في الصفات :

(أنا أشد الناس كراهية لذلك ، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء جسرنا عليه ، وإذا جاءت الأحاديث المستفيضة الظاهرة تكلمنا بها) قال الحافظ أبو بكر البيهقي : وإنما أراد والله أعلم الأوصاف الخبرية

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣١٢ – الأزهرية

وكذلك **ناصر الحديث الإمام الشافعي** (**٢٠٤هـ**) الذي ذمَّ علم الكلام في البداية وعدَّه من البدع ، فقد عاد وناظر بشراً المريسي في مجلس الرشيد ، وناظر الخوارج في مسألة الوعد والوعيد ، وناظر القدرية في المشيئة والاستطاعة ، وناظر حفصاً الفرد في الإيمان ، بل إنه صرَّح فيما بعد بقوله :

(كل متكلِّم على الكتاب والسنة فهو الجد ، وماسواه فهو هذيان)

سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٠

وألَّف رسالة في الرد على البراهمة وأخرى في الرد على أهل البدع لعلها (الفقه الأكبر) ، ونقل منها الإمام مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين

وله بيت شعر يتابع فيها سيدنا علي بن أبي طالب في الرد على القدرية ، حيث يقول :

(ما شئت كان وإن لم أشأ ** وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد لما قد علمت ** ففي العلم يجري الفتى والمسن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ** ومنهم قبيح ومنهم حسن

على ذا مننت ، وهذا خذلت ** وذلك أعنت وذا لم تعن)

مناقب الشافعي للبيهقي ١ / ٤١٢ - ٤١٣

ومن بعده تلامذته الجامعون بين الفقه والكلام **كالحارث بن أسد المحاسبي** (**٢٤٣هـ**) **وأبي علي الكرابيسي** (**٢٤٥هـ**) **وحرملة البويطي** (**٢٣١هـ**) **وداود الأصبهاني** (**٢٧٠هـ**) **وابنه أبو بكر**

ولم يكن **سيدنا عمر بن عبد العزيز** (**١٠١هـ**) بأقل ممن سبقه في السهر على عقائد المسلمين والرد على أهل البدع فألَّف رسالة في الرد على القدرية

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥ / ٣٤٦ - ٣٥٣

وانظر هذين الموقفين المتعارضين **للإمام مالك بن أنس** (**١٧٩هـ**) **والإمام الحسن البصري** (**١١٠هـ**)

فقد كان مالك يحذر من الإصغاء إلى أصحاب الشبهات أو مجادلتهم قائلاً :

(إياكم والبدع. قيل : يا أبا عبد الله وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)

مناقب مالك للزواوي ص٣٧

تاريخ بغداد ١ / ٣٢٣

أما الحسن البصري فقد أرسل رسالة إلى عمر بن عبد العزيز تدور حول القضاء والقدر ، ومما جاء فيها :

(لم يكن أحد من السلف يذكر ذلك ولا يجادل فيه لأنهم كانوا على أمر واحد ، وإنما أحدثنا الكلام فيه لما أحدث الناس من النكرة له ، فلما أحدث المحدثون في دينهم ما أحدثوه أحدث الله للمتمسكين بكتابه ما يبطلون به المحدثات ويحذرون به من المهلكات)

المنية والأمل ص١٢

وعلى هذا النهج سار **الشعبي** ثم **الزهري** وهكذا

وها هو **الإمام أبو العباس بن سريج (٢٣٥هـ)** أبرع الجماعة في الكلام وله (نقض كتاب الجاروف على القائلين بتكافؤ الأدلة)

راجع أصول الدين للبغدادي ص٣٠٧ لِ ٣١٠

وكذلك **الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)** الذي لم يُعرَف مثله في الإنكار الشديد على أهل الكلام واجتنابهم ورميهم بالبدعة ، فقد اضطر لمناظرة المعتصم وأحمد بن داود في خلق القرآن حتى قمع بدعتهم ، بل صرَّح فيما بعد بقوله كما في رسالته إلى المتوكل :

(لست بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عن أصحابه أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود)

سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٨٦

وكذلك **الإمام عبد الله بن سعيد بن كلاب (٢٤١هـ)** الذي دمَّر المعتزلة في مجلس المأمون وفضحهم ، ومن تلامذته : عبد الله بن سعيد عبد العزيز المكي الكتاني والحسين بن فضل البجلي

وكذلك **سيد الطائفة الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ)** فله مجموعة من الرسائل منها رسالة التوحيد وهي على شرط المتكلمين وعبارة الصوفية

ولما شارف القرن الثالث على النهاية ، كان الله جل جلاله قد أراد أن يجمع الناس على كلمة جامعة ، فقيَّض الله لهذه الأمة مجدداً في القرن الثالث الهجري وهو إمام أهل السنة أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري وكان على رأي شيخه الجبائي وبعد أن أكرمه الله برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامه ، فأمره بنصر

السنة ، فطلع على منبر البصرة وصرَّح بتوبته من الاعتزال ، وناظر أقطاب المعتزلة حتى حجرهم في أقماع السماسم وانتهى عهد الاعتزال على يديه

قال الحافظ أبو سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) :

(ونحن أحرى بأن لا نتقدم فيما تأخر عنه من هو أكثر علماً وأقدم زماناً وسناً ، ولكن الزمان الذي نحن فيه قد صار أهله حزبين

منكر لما يروى من نوع هذه الأحاديث رأساً ومكذب به أصلاً ، وفي ذلك تكذيب العلماء الذين رووا هذه الأحاديث وهم أئمة الدين ونقلة السنن والواسطة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

والطائفة الأخرى مسلمة للرواية فيها ذاهبة في تحقيق الظاهر منها مذهباً يكاد يفضي بهم إلى القول بالتشبيه ونحن نرغب عن الأمرين معاً ولا نرضى بواحد منهما مذهباً

فيحق علينا أن نطلب لما يرد من هذه الأحاديث إذا صحت من طريق النقل والسند تأويلاً يخرج على معاني أصول الدين ومذاهب العلماء ، ولا نبطل الرواية فيها أصلاً إذا كانت طرقها مرضية ونقلتها عدولاً)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٣٠ – الأزهرية

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) :

(وليس الكلام في هذا – يعني التأويل – بدعة قبيحة ، وإنما الكلام فيه بدعة حسنة واجبة لما ظهرت الشبهة ، وإنما سكت السلف عن الكلام فيه إذ لم يكن في عصرهم من يحمل كلام الله وكلام رسوله على ما لا يجوز حمله عليه ، ولو ظهرت في عصرهم شبهة لكذبوهم وأنكروا عليهم غاية الإنكار ، فقد ردَّ الصحابة والسلف على القدرية لما أظهروا بدعتهم ، ولم يكونوا قبل ظهورهم يتكلمون في ذلك)

فتاوى العز بن عبد السلام ص٢٢

وقال أيضاً في ملحة الاعتقاد :

(وإنما سكت السلف : قبل ظهور البدع ؛ فورب السماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ، لقد تشمر السلف للبدع لما ظهرت ، فقمعوها أتم القمع ، وردعوا أهلها أشد الردع ، فردوا على القدرية والجهمية والجبرية وغيرهم من أهل البدع ، فجاهدوا في الله حق جهاده.

والجهاد ضربان : ضرب بالجدل والبيان ، وضرب بالسيف والسنان.

فليت شعري ! فما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل البدع ؟!

ولولا خبث في الضمائر ، وسوء اعتقاد في السرائر : (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ) النساء ١٠٨ .وإذا سئل أحدهم عن مسألة من مسائل الحشو أمر بالسكوت عن ذلك ، وإذا سئل عن غير الحشو من البدع أجاب فيه بالحق !! ولولا ما انطوى عليه باطنه من التجسيم والتشبيه لأجاب في مسائل الحشو بالتوحيد والتنزيه.

ولم تزل هذه الطائفة المبتدعة: قد ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا : (كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) المائدة ٦٤ ، لا تلوح لهم فرصة إلا طاروا إليها ، ولا فتنة إلا أكبوا عليها.)

طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٢٢٣

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٦هـ) :

(فالسلف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات قد يكون فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معاني مجملة من النفي والإثبات)

(فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق)

مجموع الفتاوى ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧

ثالثاً : المؤلفات التي اتَّكأ عليها الناقد في استدلالاته ولا تقوم بها حجة :

***ص٦١ – ١٣٢ الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي**

١– ليس كالكتب المنسوبة للإمام عثمان بن سعيد الدارمي وسائر كتبهم التي يسمُّونها كتب السنة فهو لا يثبت الجهة والحركة والحد والمكان العدمي وسائر هذه البدع الكلامية ، وهو ينفي الكيفية عن صفات الله

٢– يطلق القوم عليه اسم قوام السنة وهو في حكم القبوري عندهم ، فقد ذكر الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) في ترجمته : (وسمعت بعض أصحابه أنه كان يملي شرح صحيح مسلم عند قبر ولده أبي عبد الله ، ويوم تمامه عمل مائدة وحلاوة كثيرة)

تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٧٩ رقم ١٠٧٥

سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٨٣

***ص٦٣ شرح السنة للبربهاري**

١– البربهاري أحد رؤوس الحنابلة في بغداد

قال الإمام المطهَّر بن طاهر المقدسي (٣٥٥هـ) :

(وأما البربهارية فإنهم يجهرون بالتشبيه والمكان ويرون الحكم بالخاطر ويكفِّرون مَن خالفهم)

البدء والتاريخ ٥ / ١٥٠

وذكر القاضي ابن أبي يعلى (٥٢٦هـ) :

(وسمعت أخي أبي القاسم – نضَّر الله وجهه – يقول : لم يكن البربهاري يجلس مجلساً إلا ويذكر فيه أن الله يُقعِد النبي صلى الله عليه وسلم معه على العرش)

طبقات الحنابلة ٣ / ٧٦

وذكر الإمام عبد الكريم السمعاني (٥٦٢هـ) :

(قال أبو نعيم : كان له أصل صحيح وسماع صحيح وأصل رديء فحدث بذا وبذاك فأفسده.

وقال أيضاً : كان كذاباً.

وقال محمد بن أبي الفوارس : أبو بحر بن كوثر شيخ فيه نظر.

وقال أيضاً : وكان مخلطاً وله أصول جياد وله أشياء ردية.

وقال أبو الحسن بن الفرات كان مخلطاً وظهر منه في آخر عمره أشياء منكرة)

الأنساب ٢ / ١٢٦ - ١٢٧

٢- لا يصح نسبة الكتاب إليه والله تعالى أعلم وأحكم

راجع رسالة فتح الباري بتكذيب نسبة كتاب شرح السنة للبربهاري بقلم ليث مكة

٣- ومما حوى هذا الكتاب من الأعاجيب قول مؤلفه في مقدمة الكتاب :

ص٦٧ (اعلموا أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام)

قلت : وهذا يلزم أنه من لم يكن سنياً فليس بمسلم ! وليته قصد سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى نعذره في قوله ، ولكنه يريد سنة الغلاة من الحنابلة في تكفير الفرق المخالفة لهم

وقاس المؤلف كتابه – الجامع للأحاديث الموضوعة والأباطيل – بالقرآن الكريم لما قال ص١٠٩ : (فإنه من استحلّ شيئاً خلاف ما في الكتاب فإنه ليس يدين الله بدين وقد ردَّه كله ، كما لو أن عبداً آمن بجميع ما قال الله إلا أنه شكَّ في حرف ، فقد ردَّ جميع ما قال الله وهو كافر)

وعلَّق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين على مثل هذه العبارات :

(... هذا كله مبالغة مردودة غير مقبولة من المؤلف – عفا الله عنه – ومثل هذا الكلام لا يقال إلا لكتاب الله عز وجل أو الصحيح الثابت من سنة محمد صلى الله عليه سلم. أما كلام البربهاري فمثل كلام غيره ، يُأخَذ منه ويُترَك ، وما كان ينبغي له رحمه الله أن يزكي نفسه إلى هذا القدر المرفوض)

تعليقه على طبقات الحنابلة ٣ / ٦٠

وقال أيضاً :

(هذه مبالغة غير مقبولة من المؤلف – عفا الله عنه وغفر له – وكتابه ليس وحياً سماوياً ، بل من عمل البشر ...)

تعليقه على طبقات الحنابلة ٣ / ٧٣

ص٨٩ (وأن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن)

ص١٢٢ (وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن فلا شك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه)

قلت : ليس هناك فرقة تردُّ السنة ، لكن لكل فرقة منهاج في قبولها متباينة في التشدُّد والتساهل ، وقد رأينا الآثار التي يحشدها المؤلف في كتابه فهي بين الضعيف والموضوع ، بل وإن الحنابلة المعاصرين ينازعونه في صحتها ولا يجترؤون على تصحيحها ، ولو أنهم كانوا في عصره لما وفَّر تكفيرهم ورميهم بالزندقة

قال الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين :

(... وها نحن رأينا في كلامه أحاديث ضعيفة فهل يلزمنا بقبولها وإلا ..... ؟!)

تعليقه على طبقات الحنابلة ٣ / ٧٣

ص١١٥ – ١١٦ (وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار فاتهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوى ومبتدع)

قلت : سبحان الله !! والذي يطعن على القرآن ويزعم أنه أحوج إلى السنة ماذا نسميه ؟! وهل الذي يطعن بالقرآن ويريد أقوال الرجال أيضاً من جملة المبتدعة ؟! ويمكن أن يُبدَّع المؤلف كونه يترك الآثار الصحيحة ويستدل بالمواضيع والأكاذيب من أقوال الرجال ويعارض بها كتاب الله وسنة رسوله

ص١١٨ (وإذا سمعت الرجل يقول : فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي)

قلت : وهكذا يكون قد قطع الطريق على من أشار له بالنصب ! وليته أخبرنا بأن الرجل يقول : فلان رافضي .. فهل يكون ناصبياً ؟!

ص١٢٣ - ١٢٤ (إذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء المذهب والطريق فاسقاً فاجراً صاحب معاصي ضالاً وهو على السنة فاصحبه واجلس معه فإنه ليس يضرّك معصيته

وإذا رأيت الرجل مجتهداً في العبادة متقشفاً محترقاً بالعبادة صاحب هوى فلا تجالسه ولا تمشِ معه في طريق)

ص١٢٥ (ولأن تلقى الله يا بني زانياً فاسقاً سارقاً خائناً أحب إلي من أن تلقاه بقول فلان وفلان)

ص١٣٨ (من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قبله)

ص١٣٩ (آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع)

قلت : سبحان الله !! كيف يفضل الكفرة الذين لا يدينون بالإسلام على من ارتضى الله رباً ومحمداً نبياً ؟! ونحن اليوم لا نخشى إلا من المسلمين ولا نحذِّر إلا منهم ولو جاء مسافر من بلاد الإلحاد والكفر لم ينكر عليه ، أما إن جاء من سلطنة عمان أو إيران لنظرنا إليه شزراً حذراً لأن عمان إباضية وإيران شيعية

ولا بد أن نستجوب القادم (لم سافرت إلى هناك ؟) ، ولو علمنا بسفره لحذرنا من تلك البقاع ، لكن لا نحذِّره من اليهود والنصارى بل ونسعى لتقوية أواصر الوطنية والمحبة معهم ، ولنا في هذا من تأويلات أقوال الرجال والاعتذارات المضحكة المبكية ما لا أساس له

ص١٣٩ : (إذا علم الله من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له)

(ومن أعرض عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيماناً)

(ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر)

(ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة)

قلت : سبحان الله والعاقبة للمتقين

***ص٨٥ السنة لابن أبي عاصم**

في سنده من لم يُوثَّق مثل (أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان الأعرج)

السنة ص٢٧ / ٣٢ - الصميعي

ولم يكتفِ القوم بتحقيق الألباني له فحقَّقه الدكتور باسم بن فيصل الجوابرة ، وشهد للكتاب ولمؤلفه بالسلفية ، وهو كتاب غارق بالأخبار المنكرة منها أن الله خلق آدم على صورة وجهه ، وعلى صورة الرحمن ، وأنه تجلى للجبل منه مثل الخنصر ، وأن العرش يئط به من ثقله ، وأنه يقعد محمداً صلى الله عليه وسلم معه على العرش ، وأن المؤمنين يجالسون الله عز وجل في الجنة وغير ذلك مما هو مذكور في موضعه

***ص١٠٠ رسالة الرد على الجهمية والزنادقة وص١٦٩ - ٢٠٨ رسالة الاصطخري المنسوبَتين للإمام أحمد**

اختلف أهل العلم حول ثبوت رسالة الرد على الجهمية عن الإمام أحمد بن حنبل

فذهب بعضهم إلى نفي ثبوتها ، قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(... **لا كرسالة الاصطخري ولا كالرد على الجهمية الموضوع على أبي عبد الله** فإن الرجل كان تقياً ورعاً لا يتفوه بمثل ذلك ولعله قاله ... وما ثبت عنه أصلاً وفرعاً ففيه كفاية)

سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٨٧

قال الإمام ابن الوزير اليماني (٨٢٢هـ) "عند جملة الذهبي : ولعله قاله" :

(هذا لفظ الذهبي ونصُّهُ بحروفه من خطه المعروف ، **لكن فيه شيء مصلح بغير خطه ، وأحسبه لبعض المبتدعة ، وقد حذفته وهو ما لفظه "ولعله قاله"** صلحه عقيب قول الذهبي "فإن الرجل كان تقياً ورعاً لا

يتفوه ذلك" ، وكان مكان هذا اللفظ المصلح لفظ غيره بخط الذهبي ، وبدله بما يناقض كلام الذهبي ، وما خفي ذلك ولله الحمد لوجوه : أحدها : الكشط الواضح وثانيها : الخط المخالف وثالثها المعنى المناقض لما قبله ولما بعده ، ولما تكرَّر من نحو ذلك في غير هذا الموضع)

العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ٤ / ٣٤٢

وقال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) أيضاً :

(... إلى أن ذكر أشياء من هذا الأنموذج المنكر والأشياء التي **والله ما قالها الإمام** ، **فقاتل الله واضعها** ، ومن أسمج ما فيها قوله : ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحداً ، فهذا قول فاسق عدو لله ، فانظر إلى جهل المحدثين كيف يروون هذه الخرافة ويسكتون عنها)

سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٠٣

وعلق محقق السير :

(ومما يؤكد قوله أن في السند إليه مجهولاً وهو الخضر بن المثنى والرواية عن مجهول مقدوحٌ فيها ، مطعون في سندها ، على أن فيه آراء تخالف ما كان عليه السلف الصالح من معتقد ، ويختلف عما جاء عن الإمام في غيره مما صح عنه ، ولا نجد لهذا الكتاب ذكرا لدى أقرب الناس إلى الإمام أحمد ممن عاصروه وجالسوه أو أتوا بعده مباشرة ، وهم على مشربه ، وكتبوا في الموضوع ذاته كالإمام البخاري ت ٢٥٦ ، وعبد الله مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ ، وأبي سعيد الدارمي ت ٢٨٠ ، وأبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الإمام أحمد في كتابه " مقالات الإسلاميين " ولكنه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقاً ، ولم يستنفد منه شيئاً)

تعليقه على سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٨٧

وأيَّد ذلك كلاً من : محمد نعيم العرقسوسي – عادل مرشد – إبراهيم الزيبق

مقدمة مسند أحمد ١ / ٤٩ – ١٥١

والخضر بن مثنى قد تُرجِم له في طبقات الحنابلة ٣ / ٨٦ – ٨٨ دون توثيق ولا ذكر سنة مولده ووفاته

وذهب الموثقون للرسالة إلى أنها ثابتة عن الإمام أحمد ، قال الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) :

(... والجواب من وجوه

أحدها : إن الخضر هذا قد عرفه الخلال وروى عنه ، كما روى كلام أبي عبد الله عن أصحابه ، وأصحاب أصحابه ، ولا يضر جَهالة غيره له

الثاني : أن الخلال قد قال : كتبته من خط عبد الله بن أحمد ، وكتبه عبد الله من خط أبيه ، والظاهر أن الخلال إنما رواه عن الخضر ؛ لأنه أحب أن يكون متَّصل السند على طريق أهل النقل ، وضم ذلك إلى الوجادة ، والخضر كان صغيراً حين سمعه من عبد الله ، ولم يكن من المعمَّرين المشهورين بالعلم ، ولا هو من الشيوخ .....

ومما يدل على صحة هذا الكتاب ما ذكره القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى ، فقال : قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن حنبل قال : قرأت على أبي صالح بن أحمد بن حنبل هذا الكتاب ، وقال : هذا كتاب عمله أبي في مجلسه ردّاً على من احتجَّ بظاهر القرآن وترك ما فسَّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يلزم اتباعه)

اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٠٩ حتى ٢١١

قلت : لا يلزم من معرفة راوٍ لراوٍ توثيق أحدهما ، ورواية ثقة عن مجهول لا تعدُّ توثيقاً ، لكن ثبتت وجادة ، حيث قال الإمام أبو بكر الخلال في السنة ٣ / ٤٨ : (أخبرنا أبو بكر المروذي ، قال : هذا ما احتج به أبو عبد الله على الجهمية في القرآن وكتبه بخطه ، وكتبته من كتابه . فذكر المروذي آيات كثيرة دون ما ذكره الخضر بن أحمد عن عبد الله ...)

قال الدكتور عبد الله البراك :

(الإسناد الثالث :

رواية المروذي عن الإمام أحمد ، ذكر هذا الخلال في كتاب "السنة" ، قال: أخبرنا المروذي ، قال : هذا ما جمعه واحتجَّ به أبو عبد الله على الجهميَّة من القرآن ، وكتبه بخطِّه ، وكتبتُه من كتابه ، فذكر المروذي آياتٍ كثيرةً دون ما ذكر الخضر بن [أحمد] عن عبدالله بن أحمد ، وقال فيه : سمعت أبا عبد الله يقول".

ذكر هذا النصَّ كاملاً ابنُ تيميَّة في "الدرء" (٢/١١٥- ١١٦).)

مقالاته في توثيق أسانيد كتب العقيدة الإسلامية ٢ / ٥

قلت : نلاحظ هنا أن ما أورده الإمام ابن القيم والدكتور البراك لا يفيد البتة بثبوت رسالة تسمى (الرد على الجهمية) للإمام أحمد ؛ لأن ما ذكروه لا يعدو أن يكون جمعاً لما كتبه الإمام بخطِّه رداً على الجهمية

وثبوت كتابة أحمد بخطِّه فيما رواه أبو بكر الخلال أيضاً فيه نظر ؛ لأن في السند انقطاعاً بين الخلال وأحمد ، والخلال لم يذكر أن عبد الله أخبره بشيء من ذلك

قال الحافظ ابن الجوزي (٥٩٧هـ) :

(كان الإمام لا يرى وضع الكتب ، وينهي عن كِتبة كلامه ومسائله)

سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٢٧

وقد اشتهرت حكاية المحنة التي مرَّ بها الإمام أحمد ، فاستغل الغلاة ما كتبه الله للإمام من القبول عند العوام ، فاستثاروا العوام بالغيرة على مذهبه ، وزخرفوا مذهبهم بالانتساب إليه فنسبوا بعض أفكارهم إليه ، ولذلك نجد الاختلاف في الرواية عن الإمام أحمد كثيراً ، ونجد بعض الرسائل المنسوبة إلى الإمام اعتمد عليها الكثيرون مع أن فيها رواة مجهولين مثل رسالة مسدد بن مسرهد ورسالة الاصطخري وغيرها ، وعند مقارنة النصوص المختلفة لرسالة الرد على الجهمية نصل إلى أن هذه الرسالة قد مرَّت بمراحل ، وإليك البيان :

إن نسخة الخضر عن عبد الله فيها زيادات على نسخة المروذي ونسخة السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد ، إذ أن فيها زيادة آيات ، وذكر أسماء الله الـ ٩٩ في أول الكتاب. وهذا يوضِّح أول إضافة وتغيير للرسالة

كذلك لم تكن الآيات مرتبة حسب السور في النسخة الأصلية عند المروذي والسنة المنسوب لعبد الله بن أحمد ، لكن الخلال قام بترتيب الآيات حسب سور القرآن ابتداءً بسورة البقرة وانتهاءً بسورة البينة

والتغير الأهم هو ظهور نسخة جديدة نعرفها من خلال كتب بعض الحنابلة في بغداد في ذلك العصر ، ففي هذه النسخة يظهر لنا كتاب جديد لا علاقة له لا في أسلوبه ولا في موضوعه بالكتاب الذي نجده لرواية المروذي والخلال ، وهذا الكتاب ينقسم إلى قسمين :

الأول : باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن

الثاني : وهو في الرد على الجهم بن صفوان والجهمية

وأول ظهور لهذه النسخة من الكتاب كان في القرن الخامس الهجري في بغداد ، إذ لا نجد له ذكراً عند الحنابلة في الشام وخراسان وهراة حتى القرن الثامن الهجري

وفي القرن الثامن في دمشق ، كان هناك جدال حول صحة نسبة النسخة الجديدة إلى الإمام أحمد ، فقد رأى الإمام الذهبي أنها موضوعة على الإمام أحمد مستدلاً بأسلوب لم يُعرَف عن أحمد بل ثبت عنه محاربة هذا الأسلوب في تقرير العقائد ، وقد دافع الإمام ابن القيم عن صحة المنسوب للإمام أحمد ، ولعلَّ الإمام ابن القيم لا يتوجَّه في دفاعه إلى النسخة الجديدة من الكتاب

وحتى نعلم كيف ظهرت هذه النسخة الجديدة ، فإننا نحتاج للعودة إلى عصر القاضي أبي يعلى الذي هو – فيما أعلم – أول من اقتبس من هذه النسخة

ففي كتابه (المختصر من المعتمد في أصول الدين) الذي يظهر فيه القاضي متكلماً قريباً من أهل السنة الأشاعرة ؛ لا يقتبس من الرد على الجهمية ، بينما يقتبس منه في كتابه (إبطال التأويلات) الذي يردُّ فيه على كتاب ابن فورك (تأويل مشكل الحديث)

وحتى نكون أكثر تحديداً ، فأبو يعلى ألّف (مختصر المعتمد) قبل عام ٤٢٨هـ ، أما (إبطال تأويل الصفات) فقد كتبه بعد ذلك قرابة عام ٤٣٠هـ ، مما يوحي بأن القاضي لم يكن يعلم – وقتئذ – بأمر الكتاب عندما كتب (مختصر المعتمد) ثم عرفه بعد ذلك ، لاسيما وهو ينقل منه في (الإبطال) ، مما قد يفيد بأن الكتاب ظهر في بغداد قرابة عام ٤٣٠هـ

ولمزيد من الأدلة ، فإننا نحتاج إلى دراسة أسانيد الرسالة ، وللرسالة إسنادان :

الأول : رواية ابن أبي يعلى في كتابه (طبقات الحنابلة) : عن المختار بن محمد ابن الطيوري ، عن إبراهيم ، عن عبد العزيز أبو بكر الخلال ، عن الخضر بن المثنى الكندي ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أحمد

وعلى هذا فالإسناد مركَّب ، إذ كيف يروي إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي المولود سنة (٣٦١هـ) عن عبد العزيز غلام الخلال المتوفى سنة (٣٦٣هـ) ؟!

أي أن إبراهيم البرمكي كان عمره سنتين فقط لما أخذ عن غلام الخلال

وكذلك اسم شيخ إبراهيم فهو خليط من أبي بكر عبد العزيز المعروف بغلام الخلال (٣٦٣هـ) ، وشيخه أبي بكر الخلال (٣١١هـ)

وهذا يعني أن من صنع هذا الإسناد لم يحترف كثيراً في الوضع

وعلى هذا التحقيق ؛ فهذه النسخة خُلقت أو اختلقت في عصر ابن الطيوري البغدادي (٤١١ – ٥٠٠) هـ وهو عصر القاضي أبي يعلى (٣٨٠ – ٤٥٨) هـ ، وهذا يعيدنا إلى الزمان والمكان نفسه

الثاني : الإسناد الثاني للرسالة يوجد على بعض نسخ المخطوطة ، وهو : أبو الطاهر المبارك بن المبارك بن المعطوش ، عن أبي الغنائم محمد بن محمد بن أحمد بن المهتدي بالله ، عن أبي القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي ، عن أبي بكر غلام الخلال ، عن الخضر بن المثنى الكندي ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أحمد

هناك انقطاعان في هذا الإسناد ؛ الانقطاع الأول ، وهو المهم : أن ابن المهتدي المولود سنة (٤٣٦هـ) لا يمكن أن يسمع من الأزجي المتوفى سنة (٤٤٤هـ) ، والانقطاع الثاني : أن الأزجي المولود سنة (٣٥٦هـ) لا يمكن أن يسمع من غلام الخلال المتوفى سنة (٣٦٣هـ)

والملاحظ أيضاً أن الانقطاع الأول للإسناد هو في المكان والزمان نفسه للانقطاع في السند الأول ، وهو الوقت والمكان نفسه الذي اقتبس فيهما القاضي أبو يعلى من الرسالة

وما يدَّعيه القوم بأن العلماء نقلوا عنه كقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٤٩٣ : (... نصَّ على ذلك أحمد في كتاب الرد على الجهمية) لا يلزم منه صحة السند ، فهناك الكثير من الرسائل والروايات التي كان أهل العلم ينقلون عنها وينصون على مذهب أحد الأئمة من خلالها ، ويتبيَّن بالتحقيق ألا ثبوت لها. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا نعلم أي نسخة يقصد الحافظ ابن حجر وغيره ، وعلى هذا فينبغي مقارنة نصوص ما ثبت من رواية النسخة القديمة مع النسخة الجديدة

والأغرب مما سبق أن القوم يحتجون بهذه الرسالة غير آبهين بمخالفتها لمنهجهم

فإذا طبقنا النقد الباطني عليها ؛ نرى أن الرسالة تظهر فيها الصنعة الجدلية الكلامية ، فهي تستخدم مصطلح أهل العقل وتستند إلى كثير من السياق العقلي !!

ومتى كان أحمد بن حنبل يلجأ إلى ما يسمى العقل السمعي أو التأويلي ؟!

ونرى عرضاً لآراء الزنادقة ثم نقداً لها ، وعرضاً لآراء الجهمية الخالصة والمعتزلة ثم نقداً لها ، والرسالة تلجأ إلى اللغة ولا تلجأ إلى الآثار إلا بصورة نادرة جداً. فهل هذا هو منهج الإمام الكبير ؟!

إنه رفض في محنته وتحت سياط الخليفة أن يذكر أن القرآن قديم لأنه لم يرد لا في القرآن ولا في الأثر كلمة قديم ، وإنما كان يردِّد : إن القرآن غير مخلوق. إن هذه الاصطلاحات عنده مستحدثة لم ترد في قرآن ولا سنة ، فكيف ينطق بها ؟! ثم إنه هجر الحارث المحاسبي وكان الحارث من أشد الناس على مخالفي السلف وأهل السنة

إنه إن صحَّ هذا فسيكون أحمد بن حنبل سلفاً للخلف ولا صلة له على الإطلاق بمذهب السلف

فإذا ما طبقنا النقد الخارجي والداخلي للنصوص على هذه الرسالة فإننا نرى أنها ليست من نفس الإمام وإن كان فيها بعض عقائده

أما من ناحية تطبيق النقد الظاهري على هذه الرسالة ؛ فيتضح أن فيها ما يخالف بعض ما كان عليه السلف من معتقد ، ولا يتَّسق مع ما جاء عن الإمام في غيره مما صحَّ عنه

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١ / ٢٤٨ – ٢٤٩

وأهم الأجزاء التي تخالف فيها هذه الرسالة منهج القوم ما يلي :

*ص٩٢ اعتبرت الصفات التي دعا لها جهم من المتشابه وصرَّح بوجود المجاز في اللغة ، وهذا يهدم منهج القوم الذين يعدُّون نصوص الصفات من المحكم ويزعمون ألا وجود للمجاز في الكتاب والسنة

*ص١٢٠ – ١٢١ اعتبرت قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) من المتشابه

*ص١٥٥ تصريحها بكفر مَن زعم قيام الخلق في نفس الله

(إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر)

كما أن فيها تأويل في أكثر من موضع ؛

ص٨٩ تأويل النسيان بالترك

تنويه : سنبيِّن لاحقاً أن هذا من التأويل وليس من التفسير باللازم كما يدَّعي القوم

ص٩٠ تأويل (لا يضل ربي) لا يذهب من حفظه

ص١٦٦ تأويل حديث "إن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب فيأتي صاحبه فيقول هل تعرفني ؟" فقال أحمد : كلام الله لا يجيء ، ولا يتغير من حال إلى حال ، وإنما معنى أن القرآن يجيء إنما يجيء ثواب القرآن

وقد نقله حنبل في المحنة

الاستقامة ١ / ٧٤

أما رسالة الاصطخري المنسوبة لأحمد ، فقد شكَّك في ثبوتها الإمام الذهبي

سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٨٦

ومن الهزل أن أحد الذي قرَّظوا للناقد نقده الناقد واسمه الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان قال "عند حديثه عن رسالة الإصطخري المنسوبة للإمام أحمد" :

(هذه الرسالة منحولة على الإمام أحمد ..... والدليل على ذلك أمران :

الأول : فيها من العبارات ما يخالف منهج السلف الصالح في الصفات ، وفيها من التفصيلات والإثباتات ما يجعل المنصف يستبعد صدور مثل ذلك من مثل هذا الإمام ... ففيها مثلاً :

" وكلّم الله موسى تكليماً من فيه "، " وناوله التوراة من يده إلى يده "، وهكذا ..)

*ص١٠٢ شرح السنة للمزني

١- إسناد هذه الرسالة (من ثلاث نسخ ؛ واحدة للإمام الذهبي والأخرى للإمام ابن القيم والأخيرة لم أعرف ناسخها ولا زمن النسخ) ، وبجملتها ظلمات بعضها فوق بعض

فيها مجاهيل مثل (أبي العز الهكاري – الحسن اليازوري – علي الحلواني – ربيع بن مسلم – أبو محمد الجيلاني وأبوه – عبد الكريم بن كثير)

وفيها من لم يُوثَّق (ابن بنتة الأنصاري – أبو عبد الله النسوي – أبو محمد العسقلاني – أبو أحمد القيسراني – أحمد اليازوري – محمد بن مسعود – أبو بكر بن يعيش – محمد بن مضمون – أبي السعود بن خيران – علي بن عيسى – مقبل بن زهير)

ويوجد أيضاً في النسخة الأخيرة (أبو علي الحسن بن علي الأهوازي) وقد عرضنا حاله فيما مضى

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١ / ٥١٢ – ٥١٣ رقم ١٩١٦

لسان الميزان ٣ / ٩٤ – ٩٥ – ٩٦ رقم ٢٣٤٧

٢- ما نقله الناقد من الرسالة (عال على عرشه في مجده بذاته) فيه نظر ؛ فلفظة (في مجده بذاته) لم تتفق نسخ المخطوطة عليها ، وفي حال ثبوتها فلا حجة فيها ، ويكون تفسير ذلك أن الله فعل فعلاً في العرش بذاته سمَّاه استواء ، لا أنه فعل هذا الفعل في ذاته المقدسة. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

*ص١٠٣ الرد على المريسي لعثمان الدارمي

وهو من الكتب التي يعتبرها القوم من أمهات كتب السنة ، إذ كان الإمام عثمان بن سعيد الدارمي جديراً بالعناية والاهتمام أكثر من غيره ، فلم يكتفِ القوم بتحقيق الدكتور علي سامي النشار لكتابيه الرد على المريسي والرد على الجهمية ضمن مجموعة عقائد السلف حتى حقَّق رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية محمد

حامد الفقي كتاب الرد على المريسي بعد إلحاح شديد من أفاضل علماء نجد وطلبة الحرمين كما زعم ، ثم حققه الدكتور رشيد بن حسين في رسالة نال بها شهادة الماجستير بتقدير ممتاز

وأما كتاب الرد على الجهمية فقد حققه أيضاً بدر البدر وشهد له باتباع السلف ونصر السنة ، وخصَّ الطالب محمود محمد أبو رحيم الدارميَّ بدراسة دفاعه عن عقيدة السلف في رسالة جامعية زعم فيها أن الدارمي لم تتعثر قدمه في اقتفاء أثر سلفه الصالح ، أما محمد بن خليفة التميمي فلم يرَ بأساً بأن يعد الكتاب من مصادر العقيدة السلفية

وكتاب النقض على المريسي مملوء بوثنيات فاضحة ومخازي رذيلة ؛ فيه إثبات الحركة والحد لله عز وجل ، وأنه مسَّ آدم مسيساً بيده ، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع ، وأنه قادر على الاستقرار على ظهر بعوضة ، وأنه إذا غضب ثقل على حملة العرش ، وأن رأس المنارة أقرب إليه من أسفلها ، وغير ذلك مما هو مبسوط في موضعه. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

مقالات الكوثري ص٢٦٢ – ٢٦٨

قالت لجنة الأزهر عن نقضه للمريسي :

(وما اشتمل عليه الكتاب مخالف لما عليه جمهور المسلمين من عهد الصحابة حتى الآن)

مقالات الكوثري ص٢٦٥

ومع أن الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) ينقل عنه ويثني عليه إلا أنه نبَّه إلى غلوه فقال :

(وفي كتابه بحوث عجيبة مع المريسي **يبالغ فيها في الإثبات** والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف في القديم)

العلو للعلي الغفار ص١٩٥

وقال الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) :

(يبدو من كتابه «الرد على المريسي» أنه مغالٍ في الإثبات فقد ذكر فيه ما عزاه الكوثري إليه من القعود والحركة والثقل ونحوه ، وذلك مما لم يرِد به حديث صحيح)

تعليقه على التنكيل للمعلمي ٢ / ٥٧٢

وعلق محقق السير عند ترجمته :

(... وكتابه من أجلِّ الكتب المصنفة في بابها وأنفعها إلا أنه اشتمل على ألفاظ منكرة أطلقها على الله كالجسم والحركة والمكان والحيز ص٣٧٩ وما بعدها دعاه إليها عنف الرد ..... وكان الأجدر به ألا يتفوَّه بها وينهج منهج السلف ...)

سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٢٠

وكلا الكتابين لا يثبتان عن الإمام عثمان بن سعيد الدارمي كونهما مرويَّان بسندين فيهما نظر

أما الرد على المريسي ، ففيه سنده مجاهيل ورجال لم يوثَّقوا ، وهم (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الصرام – محمد بن أبي الفضل بن محمد بن الحسين المزكي الهروي – أبو سعد عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف)

وقد خاض الدكتور عبد الله البراك في عرض سماعات الكتاب لفترات متأخرة لا تفي بالغرض ولا تثبت نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، إذ يحتمل أن يكون أحد المجهولين قد دسَّ فيه ما يوافق مذهبه

مقالات له في توثيق أسانيد كتب العقيدة الإسلامية ٣ / ٥

وكذلك الرد على الجهمية ففي سنده مجاهيل ورجال لم يوثَّقوا ، وهم (أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن ابراهيم القرشي – أبو روح ثابت بن محمد الأزدي السعدي – أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل – محمد بن عبد الله المزكي الهروي الخطيب – أبو الفتح عبد الرزاق بن محمد بن سهل الشرابي الأصبهاني – ضوء النساء بنت عبد الرزاق بن محمد – عبد العظيم بن عبداللطيف بن أبي نصر أبو المكارم الأصبهاني الشرابي)

ولو صحَّت نسبة هذين الكتابين إليه لذكره المتقدمون من السلف ، ولا أعلم ذكراً له لا بمدح ولا بقدح إلا في كتب المتأخرين ، والذي أراه أن الكرامية قد دسَّت جملة من عقائدها في هذين الكتابين فقد ذكر الإمام الذهبي أن الإمام عثمان بن سعيد الدارمي قام على محمد بن كرام ، وطرده من هراة. والله تعالى أعلم وأحكم

سيير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٢٢

*ص١١٠ التوحيد لابن خزيمة

١- هو جزء من صحيحه على التحقيق لأنه يحيل في أكثر من موضع على أبواب الصلاة وغيرها من أبواب الصحيح ، وفيه باب بعنوان إثبات الأصابع والقدم لله عز وجل ونحو ذلك ومع أنه اشترط الصحة فيما يذكر إلا أنه لم يلتزم بذلك فأخرج فيه متوناً منكرة وأسانيد واهية منها ما جاء في أن الكرسي موضع قدميه ، وأن العرش يئط به ، وأنه تجلى منه مثل طرف الخنصر ، وأنه يهبط ثم يرتفع ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وأن جنة عدن مسكنه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب يحمله أربعة من الملائكة وغير ذلك مما هو مبسوط في موضعه

سمَّاه الإمام فخر الدين الرازي : كتاب الشرك

مفاتيح الغيب ٢٧ / ١٥١

ولعلَّ الإمام ابن خزيمة تأثر برأس الكرامية ؛ فقد نقل الإمام تاج الدين السبكي عن الحاكم أنه ذكر في تاريخه محمد بن كرام فقال : (..وقد أثنى عليه فيما بلغني ابن خزيمة واجتمع به غير مرة)

طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٣٠٤

٢- وقد تراجع الإمام ابن خزيمة لأنه لم يحسن الكلام في ذلك فقد ذكر الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(... واعترف – أي ابن خزيمة – فيما حكيناه عنه بأنه إنما أتى ذلك من حيث إنه لم يحسن الكلام)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٥٨ – الأزهرية

وقال أيضاً :

(قلت – أي البيهقي – : القصة فيه طويلة وقد رجع محمد بن اسحاق إلى طريقة السلف وتلهَّف على ما قال والله أعلم)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٥٩ – الأزهرية

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(ووقع نحو ذلك لإمام الأئمة ابن خزيمة ، ثم رجع ، وله في ذلك مع تلامذته قصة مشهورة)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٩٢

٣- خالف الإمام ابن خزيمة مسلك القوم فأوَّل حديث الصورة حيث قال :

(قال أبو بكر : توهَّم بعض من لم يتحرَّ العلم أن قوله : على صورته يريد صورة الرحمن ، عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر ، بل معنى قوله : خلق آدم على صورته ، الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم ، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب ، والذي قبح وجهه فزجره صلى الله عليه وسلم أن يقول : ووجه من أشبه وجهك ، لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه ، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحاً وجه آدم صلوات الله وسلامه عليه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل ، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال)

التوحيد ١ / ٨٤ – الرشد

وقد ذكر الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) التأويل حيث قال :

(وكذلك تأوَّله – أي حديث الصورة – الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وجعل الضمير عائداً على المضروب ، وعلل رواية الرحمن وتأولها – بتقدير صحتها – على أن الإضافة إلى الله إضافة خلق ؛ لأن الله خلقه تشريفاً وتكريماً)

جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية ص١٦٨ - المجمع / عالم الفوائد

سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٧٤ - ٣٧٥

وقال أيضاً :

(فأما تأويل من لم يتابعه عليه من الأئمة فغير مقبول ، وإن صدر ذلك التأويل من إمام معروف غير مجهول ؛ نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة تأويل حديث "خلق آدم على صورته" ، فإنه تفرَّد بذلك التأويل ، ولم يتابعه عليه من قبله من أئمة الحديث ...)

وقد حاول الإمام ابن تيمية تبرئة ابن خزيمة من التأويل وأنه إفك مفترى ومزوَّر عليه رغم أنه ثابت عنه

جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية ص١٧٠ - المجمع / عالم الفوائد

وقد دافع الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) عن هذا التأويل بقوله :

(دعوى أن الضمير في "صورته" عائد إلى رجل مضروب ، قاله غير ابن خزيمة أيضاً ، ولكنه من ابن خزيمة شاهد صحيح لا يرتاب فيه من أن الرجل بريء عما ينسبه إليه المشبهة ، وتفتريه عليه الحشوية ، وبراءة الرجل منهم ظاهرة في كتبه وكلامه ، ولكن القوم يخبطون عشواء ، ويمارون سفهاً

وممن ذكر من أصحابنا أن الضمير في صورته عائد على رجل ، أبو علي بن أبي هريرة في تعليقه في باب التعزير)

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ١١٩

*ص١١٣ الاعتقاد القادري للقصاب

لا حجة فيما نقله الناقد عن القصاب بإثبات الصفات على الحقيقة لا على المجاز ، وليت أنه نقل كامل الكلام لا أن يكتفي بعبارات مجملة لحشو كتابه بأسماء العلماء إيهاماً للقراء بكثرة عدد من يوافقونه ، ولنعرض التنزيه الواضح في هذا الاعتقاد :

(كان ربنا وحده **لا شيء معه ولا مكان يحويه** فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجته إليه فاستوى عليه كيف شاء وأراد **لا استقرار راحة كما يستريح الخلق** ...)

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٥ / ٢٨٠ – سنة ٤٣٣هـ

أما شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم فقد نقلا كامل الكلام ولم يعقّبا عليه

درء تعارض العقل والنقل ٦ / ٢٥٢ – ٢٥٣ – ٢٥٤

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٤ / ١٢٨٦ – ١٢٨٧ – ١٢٨٨

***ص١١٦ الإبانة لابن بطة العكبري**

قال الإمام أبو القاسم الأزهري (٤٣٥هـ) :

(ابن بطة ضعيف ضعيف)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ١٥ رقم ٥٣٦٤

أورد له الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) حديثاً بسند باطل وقال :

(وهو موضوع بهذا الإسناد والحمل فيه على ابن بطة)

تاريخ بغداد ١٠ / ٣٧٣

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(لابن بطة مع فضله أوهام وغلط)

سير أعلام النبلاء ١٦ / ٥٣٠

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(وقفت لابن بطة على أمر استعظمته واقشعر جلدي منه ، وأكد أنه يحك أسماء الأئمة من كتب الحديث ويضع اسمه مكان الحك ، قال أبو ذر الهروي : أجهدت على أن يخرج لي شيئاً من الأصول فلم يفعل فزهدت فيه)

لسان الميزان ٥ / ٣٤٢ رقم ٥٠٣٩

وما نقله الناقد عنه من إثبات النزول بلا تحديد وأنه ليس على معنى الزوال ، لا يخالف ما عليه أهل السنة الأشاعرة في شيء ، وله في التنزيه قوله في أحاديث الصفات ما نصه :

(فكل هذه الأحاديث وما شاكلها تمر كما جاءت لا تعارض ولا تضرب لها الأمثال ولا يواضع فيها القول فقد رواها العلماء وتلقاها الأكابر منهم بالقبول لها وتركوا المسألة عن تفسيرها ، **ورأوا أن العلم بها ترك الكلام في معانيها**)

الشرح والإبانة ص٥٥

***ص١١٦ الرد على الجهمية وص٢٠٦ التوحيد لابن منده**

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) في تاريخ أصبهان :

(اختلط في آخر عمره ..... وتخبَّط في أماليه ، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يُعرفوا بها نسأل الله الستر والصيانة)

تاريخ أصبهان ٢ / ٣٠٦

قال الإمام ابن عساكر (٥٧١هـ) :

(إن له في معرفة الصحابة أوهاماً كثيرة)

لسان الميزان ٦ / ٥٥٧ رقم ٦٤٧٨

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) في ترجمته :

(وإذا روى الحديث وسكت أجاد ، وإذا بوّب أو تكلم من عنده انحرف وحرفش – أي خلط –)

سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤١

ويبدو أنه تاب آخر أمره ، ورجع إلى الكتاب والسنة ، فقد قال :

(وأنا متمسِّكٌ بالكتاب والسنة **متبرِّئ إلى الله من الشبه والمثل والند والضد والأعضاء والأجسام والآلات** ، ومن كل ما ينسبه الناسبون إليَّ ويدَّعيه المدَّعون عليَّ من أن أقول في الله تعالى شيئاً من ذلك أو قلته أو أراه أو أتوهَّمه أو أصفه به)

سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٥١

تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٦٧

ذيل طبقات الحنابلة ١ / ٢٩

***ص١١٨ وص٣٤١ أصول السنة لابن أبي زمنين**

لا حجة للناقد فيما نقله عنه بل هو مخالف لما يريد إثباته ، وله في التنزيه نصوص محكمة نعرض منها الآتي :

*ص٨٨ قال : (فسبحان من بعد فلا يرى ، **وقرب بعلمه وقدرته** فسمع النجوى)

*ص٩١ نقل قولاً لابن عباس في أحد الأحاديث الضعيفة :

(عن ابن عباس في قوله : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال : .... **وهو تبارك وتعالى الذي يحملهم بقدرته ليس هم يحملونه ولكنه عظَّم بذلك نفسه**)

*ص١١٠ قال في الإيمان بالنزول :

(قال محمد : ومن قول أهل السنة : أن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا ، ويؤمنون بذلك **من غير أن يحدوا فيه حداً**)

* ص١١٤ قال عند حديث الجارية :

(قال محمد : ..... فسبحان الله **مَن علمه بما في الأرض كعلمه بما في السماء** لا إله إلا هو العلي العظيم)

وتفسيره هو اختصار لتفسير الإمام يحي بن سلام (٢٠٠هـ) ، وفيه تأويلات عديدة منها :

* (الله يستهزئ بهم) البقرة ١٥

قال ١ / ١٢٣ : **يجازيهم جزاء الاستهزاء**

* (ثم استوى إلى السماء) البقرة ٢٩

قال ١ / ١٣١ : **أقبل على خلق السماء ؛ كذلك جاء عن الحسن**

* (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة ١١٥

قال ١ / ١٧٢ : قال بعضهم يعني **فثم قبلة الله**

* (يختص برحمته من يشاء) آل عمران ٧٤

قال ١ / ٢٩٦ : **أي بدينه** وهو الإسلام

* (أطفأها الله) المائدة ٦٤

قال ٢ / ٣٧ : يعني **أذلهم الله ونصره عليهم**

* (فاليوم ننساهم) الأعراف ٥١

قال ٢ / ١٢٦ : أي **نتركهم في النار** كما تركوا

* (نسوا الله فنسيهم) التوبة ٦٧

قال ٢ / ٢١٧ : **فتركهم أن يذكرهم** بما يذكر به المؤمنين من الخير

* (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) هود ٣٧

قال ٢ / ٢٨٧ : **كما نأمرك بعملها**

* (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) هود ٥٦

قال ٢ / ٢٩٦ : **أي هي في قبضته وقدرته**

*(هب لنا من لدنك رحمة) الكهف ١٠

قال ٣ / ٤٩ : **أي رزقاً**

* (فظن أن لن نقدر عليه) الأنبياء ٨٧

قال ٣ / ١٥٧ : قال قتادة : يعني أن لن نعاقبه بما صنع.

قال محمد : **أصل الكلمة : الضيق ؛ كقوله (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) الفجر ١٦ أي : ضيق** ، ومن هذا قولهم : فلان مقدَّر عليه ومقتَّر

* (الله نور السماوات والأرض) النور ٣٥

قال ٣ / ٢٣٥ : **يعني بنوره يهتدي مَن في السموات والأرض**

* (ووجد الله عنده) النور ٣٩

قال ٣ / ٢٣٩ : **يعني : ثواب عمله**

* (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث) الشعراء ٥

قال ٣ / ٢٧١ : يقول **كلما نزل من القرآن شيء** جحدوا به

* (كل شيء هالك إلا وجهه) القصص ٨٨

قال ٣ / ٣٣٨ : **إلا هو ... إلا إياه ؛ وهو مذهب يحيى** – أي ابن سلام –

* (وهو أهون عليه) الروم ٢٧

قال ٣ / ٣٦٠ : **أي : وهو أسرع عليه بدء الخلق خلقاً بعد خلق** ، ثم يبعثهم بمرة واحدة.

قال محمد : قال أبو عبيدة : المعنى وهو هين عليه ؛ كما قالوا : الله أكبر بمعنى الكبير و، كما قالوا أجهل ؛ بمعنى : جاهل ، وأنشد :

وقد أُعْتِبُ ابن العم إن كان ظالماً ** وأغفرُ عنه الجهل إن كان أجهلا

* (إنا نسيناكم) السجدة ١٤

قال ٣ / ٣٨٢ : **أي تركناكم في العذاب**

* (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) يس٧١

قال ٤ / ٥٢ : **قوّتنا في تفسير الحسن كقوله "والسماء بنيناها بأيد" أي بقوة**

* (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) الصافات ٩٩

قال ٤ / ٥٦ : يعني سيهديني الطريق **هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام**

* (يد الله فوق أيديهم) الفتح ١٠

قال ٤ / ٢٥١ : **من بايع رسول الله فإنما يبايع الله** ..... تفسير السدي يقول : فعل الله بهم الخير أفضل من فعلهم في أمر البيعة

* (والسماء بنيناها بأيد) الذاريات ٤٧

قال ٤ / ٢٨٩ : **بقوة**

* (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور ٤٨

قال ٤ / ٣٠٣ : **نرى ما تصنع وما يصنع بك** ، فسنجزيك ونجزيهم

* (سنفرغ لكم أيها الثقلان) الرحمن ٣١

قال ٤ / ٣٣٠ : الجن والإنس **أي سنحاسبكم فنعذبكم. وهي كلمة وعيد** يعني المشركين منهم

* (يوم يكشف عن ساق) القلم ٤٢

قال ٥ / ٢٢ – ٢٣ : **قال مجاهد كل كرب أو شدة فهو ساق** ومنه قوله (وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ) القيامة ٢٩ أي كرب الدنيا بكرب الآخرة

* (لأخذنا منه باليمين) الحاقة ٤٥

قال ٥ / ٣٣ : **أي بالحق عقوبة** ، وتفسير الحسن يقول : لقطعنا يده اليمنى

*ص١١٨ شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للحصار القبري

١- لا حجة فيما نقله الناقد عن الإمام القبري المالكي بإثبات الصفات على الحقيقة لا على المجاز ، ولنعرض التنزيه الواضح في هذا الشرح ، فقد جاء فيه :

(وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته ، **إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها** ، **وقد كان ولا مكان** ، ولم يحل بصفاته عما كان ، **إذ لا تجري عليه الأحوال** ...)

نقله شيخ الإسلام ابن تيمية

نقض أساس التقديس ص١٠٨ حتى ١١١

٢- قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) "عن جملة ابن أبي زيد القيرواني (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته)" :

(وقد نقموا عليه – أي علماء السنة – في قوله بذاته ، فليته تركها)

العلو للعلي الغفار ص٢٣٦

قال القاضي أحمد القلشاني (٨٦٣هـ) :

(في عبارته رضي الله عنه قلق .....

والضمير في "بذاته" يجوز عوده على العرش ، والباء بمعنى "في" أي : المجيد في ذاته ، في المعاني المتقدمة. **ويجوز عوده على الله تعالى فيكون المعنى : أن هذه الصفة المعنوية له تعالى بالذات لا بالغير ؛ وهذا على أن**

تكون الدال من المجد مرفوعة على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو المجيد بذاته ، أي لا بكثرة أموال وضخامة أجناد وغير ذلك)

تحرير المقالة في شرح الرسالة ص١٠٠ – ١٠١

قال الإمام القرافي (٦٨٤هـ) :

(... فقال جماعة عن ابن أبي زيد وعن ابن عبد البر وجماعة من المجتهدين : إنهم يعتقدون الجهة لأجل هذه الإطلاقات. وقال بعض الفضلاء : هذا إنما يلزمهم إذا لم يصرِّحوا بأنه ليس كمثله شيء وبغير ذلك من النصوص النافية للجهة ، وإنما قصدهم إجراء النصوص كما جاءت من غير تأويل ، ويقولون : لها معان لا ندركها ، ويقولون : هذا استواء لا يشبه الاستواءات ، كما أن ذاته لا تشبه الذوات ، فكذلك يكون فوق سماواته دون أرضه فوقية لا تشبه الفوقيات ، وهذا أقرب لمناصب العلماء من القول بالجهة)

الذخيرة ١٣ / ٢٤٣

قال الإمام الأبي (٨٢٧هـ) :

(قلت : ما نسب من القول في الجهة إلى الدهماء ومن بعدهم الفقهاء والمتكلمين لا يصح ، ولم يقع إلا لأبي عمر في الاستذكار ولابن أبي زيد في الرسالة ، وهو عنهما متأوَّل)

إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢ / ٤١

تنويه : للحبيب بن طاهر رسالة (منهج ابن أبي زيد في الرسالة والجامع) فلتُراجع !!

٣- قال الإمام ابن أبي زيد (٣٨٦هـ) "مدافعاً عن شيخ السنة عبد الله بن سعيد بن كلاب" :

(... ونسبْت ابن كلاب إلى البدعة ، ثم لم تحكِ عنه قولاً يُعرف أنه بدعة فيوسم بهذا الاسم ، وما علمنا من نسب إلى ابن كلاب البدعة ، والذي بلغنا أنه يتقلَّد السنة ويتولَّى الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع ...)

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري ص٤٠٦

***ص١١٩ رسالة السنة ليحيى بن عمار السجستاني**

١- وهو شيخ الهروي ، ارتضاه الإمام الذهبي في العلو لكن عقَّب عند ترجمته في السير قائلاً :

(وكان متحرِّقاً على المبتدعة والجهمية **بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف** ...)

سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٨١

٢- وهو ممن أنكر على الإمام أبو حاتم ابن حبان البستي وساهم في إخراجه من سجستان

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٥٠٧ رقم ٧٣٤٦

لسان الميزان ٧ / ٤٧ رقم ٦٦١٩

وقد علَّق الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) على هذه الحكاية قائلاً :

(انظر ما أجهل هذا الجارح ، وليت شعري من المجروح : مثبت الحد لله أو نافيه !

وقد رأيت للحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي رحمه الله على هذا كلاماً جيداً أحببت نقله بعبارته ، قال رحمه الله – ومن خطِّه نقلت – : "يا لله العجب ، من أحق بالإخراج والتبديع وقلة الدين")

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ١٣٢ – ١٣٣

***ص١٢١ و٢٠٧ رسالة السُّجزي إلى أهل زبيد**

ردَّ عليه إمام الحرمين في كتابه المسمى (نقض كتاب السجزي)

السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ص٢٥ – الأزهرية

وله نصوص في التنزيه ، ولعل هذه النصوص تدلُّ على أنه لا يخالف أهل السنة الأشاعرة إلا في مسألة كلام الله ككثير من علماء الحنابلة أمثال ابن قدامة وابن رجب وعبد الواحد التميمي ، والله تعالى أعلم وأحكم.

قال "منزِّهاً عن الحق تبارك وتعالى عن المكان والحد" :

(وليس في قولنا : إن الله سبحانه فوق العرش تحديد ، **إنما التحديد يقع للمحدثات** ، فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود ، **والله سبحانه فوق ذلك بحيث لا مكان ولا حد** ، **لاتفاقنا أن الله سبحانه كان ولا مكان ، ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان**)

رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص١٣١ – الراية

وقال أيضاً :

(**وكلامه سبحانه بلا أداة ولاآلة ولا جارحة** ، وكلام المحدث لا يوجد إلا عن أداة وآلة وجارحة في المعتاد)

رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص١٥٣ – الراية

وقال أيضاً :

(ألا ترى أن الله سبحانه بالاتفاق واحد حي قادر عالم سميع بصير قوي مريد فاعل **وليس بجسم ولا في معناه**)

رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص١٦٠ – الراية

وقال أيضاً :

(والله سبحانه حي سميع بصير عليم فاعل **وليس بجسم** .....

وصفات الباري لا كيفية لها ، فالتجسيم والتشبيه منتفيان عنه وعن صفاته. وبالله التوفيق)

رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص١٩١ — الراية

***ص١٢٥ و١٨٧ الاعتقاد وإبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى الفراء**

ردَّ عليه الحافظ ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) "معلِّقاً على كتابه إبطال التأويلات" :

(وجمع كتاب إبطال تأويل الصفات **فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع** ..... **ولم تكن له يد طولى في معرفة الحديث فربما احتج بالواهي**)

سير أعلام النبلاء ١٨ / ٩٠ – ٩١

قال محقق كتاب إبطال التأويلات "محمد بن حمد الحمود النجدي" ١ / ٣٠ – ٣١ :

(**إلا أنه يعاب على المصنِّف إيراده للأحاديث الواهية بل الموضوعة في كتابه هذا والإطناب في شرحها وبيان غريبها**

وقد أشار إلى هذا – أي وجود بعض الأحاديث الموضوعة – شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل ٥ / ٢٣٧ – ٢٣٩ ...)

وقال أيضاً ١ / ٦ :

(**والكتاب لا يخلو من هفوات كما هو شأن جميع الكتب** ...)

ومن هذه الهفوات التي قصدها المحقق :

علَّق على قول القاضي "إن الباري سبحانه **استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها**" قائلاً ١ / ٢١ : (... فهو تفويض وليس هو مذهب أهل السنة وسيأتي الرد عليه)

وقال أيضاً ١ / ٢٥ :

(أنه مما يُؤخَذ على القاضي أنه يظن في بعض الأحيان صحة بعض الأصول العقلية لنفاة الصفات ويقول في بعض نصوص الصفات : إنها تجري على ظاهرها وتحمل على ظاهرها ، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله أي يفوِّض علم معناها إلى الله ...)

أن القاضي عدَّ الفراش من جملة صفات الله بخبر زعم فيه (أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه على صورة مذكورة فيه دونه فراش من ذهب) فقال ١ / ١٤٩ :

(فهذا حد الفراش في الشاهد فأما الفراش المذكور في الخبر **فلا نعقل معناه كغيره من الصفات**)

فعلَّق المحقق قائلاً :

(بل الصواب أن أهل السنة والجماعة يعقلون معاني الصفات الإلهية لكنهم يفوِّضون الكيفية ، أما تفويض المعنى فليس هو مذهب أهل السنة بل هو مذهب بِدعي كما تقدم) ونحو ذلك ١ / ٢١٨

قال الإمام أبو بكر بن العربي (٥٤٣هـ) :

(أخبرني من أثق به من مشيختي أن القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر في صفاته تعالى : ألزموني ما شئتم فإني التزمه إلاّ اللحية والعورة ، قال بعض أئمة أهل الحق وهذا كفر قبيح واستهزاء بالله تعالى وقائله جاهل به تعالى لا يقتدى به ولا يلتفت إليه ولا متبع لإمامه الذي ينتسب إليه ويتستر به ، بل هو شريك للمشركين في عبادة الأصنام فإنه ما عبد الله ولا عرفه ، وإنما صوَّر صنماً في نفسه تعالى الله عما يقول الملحدون والجاحدون علواً كبيراً)

العواصم من القواصم ص٢٠٩ – التراث

قال الإمام ابن الأثير الجزري (٦٣٠هـ) :

(وفيها – أي سنة ٤٢٩هـ – أنكر العلماء على أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ما ضمَّنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بأنه يعتقد التجسيم ، وحضر أبو الحسن القزويني الزاهد بجامع المنصور وتكلَّم في ذلك ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)

الكامل في التاريخ ٨ / ٢٨٨

وللقاضي نصوص في التنزيه – نسأل الله أن يكون قد مات عليها – كقوله :

(**فإن اعتقد معتقد في هذه الصفات ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول فهو كافر**)

الاعتقاد بتحقيق الخميس ص٣١ - أطلس الخضراء

وقوله (**ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، ولا في مكان ..... والدلالة على أنه لا يجوز إطلاق القول عليه بأنه في مكان هو أن إضافته إلى المكان توجب قدم المكان بقدمه تعالى** .....)

المعتمد في أصول الدين ص٥٦

وقوله (**فصل فيمن يعتقد أن الله تعالى جسم من الأجسام ويعطيه حقيقة الجسم من التأليف والانتقال من مكان إلى مكان فهو كافر لأنه غير عارف بالله تعالى** لأن الله تعالى يستحيل وصفه بهذه الصفات فإذا لم يعرف الله وجب أن يكون كافراً ، فإن أطلق عليه هذه التسمية وقال جسم لا كالأجسام ولا يعطيه حقيقة هذا الجسم فقد قيل إنه يكفر بإطلاق هذه التسمية لأنه سمَّى الله بما لم يسمِّ به نفسه ، ولا سمَّى به رسوله ولا أجمع المسلمون على تسميته بذلك بل حظروا ذلك. وقيل لا يكفر بل يفسق وهو قول بعض الأشعرية لأن الكفر ثبوت ذلك المعنى لا اللفظ وقد نفى معناه فلم يكن كافراً)

مختصر المعتمد في أصول الدين ص٢٧١

وقد نقل عنه ولده القاضي ابن أبي يعلى نصوصاً في التنزيه فذكر :

(اعتقاد الوالد السعيد ومن قبله ممن سلفه من الأئمة أن إثبات صفات الباري سبحانه **إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد ولا كيفية لها حقيقة في علمه ، لم يُطلِع الباري سبحانه على كنه معرفتها أحداً من إنس وجان**)

(**وقد أجمع أهل القبلة أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وكيفية** ، هكذا اعتقد الوالد السعيد ومن قبله ممن سلفه من الأئمة أن إثبات الصفات للباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وكيفية ، وأنها صفات لا تشبه صفات البرية ، ولا تدرك حقيقة علمها بالفكر والروية)

(واعتقدوا أن البارئ سبحانه **استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها عن العالمين** ...)

(**وقد أجمع أهل الحديث والأشعرية منهم على قبول هذه الأحاديث** ، فمنهم من أمرَّها على ما جاءت وهم أصحاب الحديث ، ومنهم من تأوّلها وهم الأشعرية ، وتأويلهم إيَّاها قبول منهم لها ...)

(... **وكل ما يقع فِي الخواطر من حد أو تشبيه أو تكييف** ، **فالله سبحانه تعالى عن ذلك** ، والله ليس كمثله شيء ، ولا يوصف بصفات المخلوقين الدالة على حدثهم ، **ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال** ، **ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض** ، وأنه لم يزل ولا يزال ...)

(**لا يجوز أن يسمَّى الله جسماً** ، قال أحمد : لا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه ، **فمن اعتقد أن الله سبحانه جسم من الأجسام** ، **وأعطاه حقيقة الجسم من التأليف والانتقال فهو كافر** لأنه غير عارف بالله عز وجل ...)

طبقات الحنابلة ٣ / ٣٨٨ حتى ٣٩٤

ومحقق كتاب إبطال التأويلات قد استدرك على القاضي قائلاً ١ / ٢١ :

(وأما قوله "ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال ، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض" فكلام لم يأتِ ذكره في الكتاب والسنة المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما هو من إحداث أهل الكلام الذين أكثروا من نفي صفات لم تذكر لا في الكتاب ولا في السنة ...)

قلت : عشمي لو أني رأيت حمية المحقق في الإنكار على أهل البدع الذين استحدثوا هذه الألفاظ قبل أن ينكر على مَن نفاها اللهم إلا أن يكون من المؤيدين لإطلاقها. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وللهزل أن محقق (إبطال التأويلات) هو أحد المقرِّظين لرسالة الناقد ، حيث قال مقرِّظاً عمل صاحبه :

(فهذا البحث الجامع المسمَّى "الأشاعرة في ميزان أهل السنة" لأخينا الشيخ فيصل بن قزاز الجاسم وفقه الله ، ناقش فيه مسائل عديدة من مسائل الصفات **وردَّ على المخالفين فأجاد** ...)

قلت : (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) الزخرف ١٩

*ص١٢٨ رسالة الإيماء إلى مسألة الاستواء لأبو بكر الحضرمي

أنكر عليه الإمام الذهبي غلوه في رسالته فقال :

(سلب هذه الأشياء وإثباتها مداره على النقل ، فلو ورد شيء بذلك نطقنا به وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف ..... وكذلك نعوذ بالله أن نثبت استواؤه بمماسة أو تمكن بلا توقيف ولا أثر)

العلو للعلي الغفار ص٢٦١

*ص١٣٠ الإيضاح في أصول الدين لابن الزاغوني

ردَّ عليه الحافظ ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه

له تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة ، بدَّعوه بها لكونه نصرها وما هذا من خصائصه ، بل قلَّ مَن أمعن النظر في علم الكلام إلا وأدَّاه اجتهاده إلى القول بما خالف محض السنة

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ١٤٤ رقم ٥٨٨٥

لسان الميزان ٥ / ٥٦١ رقم ٥٤٣٦

*ص١٣٦ الغنية للقطب الرباني عبد القادر الجيلاني

١- هذا الكتاب ثابت أنه من تأليفه ، وقد ذهب بعض العلماء إلى وجود مسائل مفتريات مدسوسة منها ؛ أنه يقول : إن الله ساكن جهة فوق (١ / ١٥١) ، وافترَوا عليه أنه يقول : بأن حروف المعجم قديمة أي ليس لوجودها ابتداء (١ / ١٥٦) ، وافتروا عليه أن المقام المحمود هو جلوس النبي على العرش (١ / ١٨٩)

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) :

(وإياك أن تغترَّ بما وقع في الغنية لإمام العارفين وقطب الإسلام والمسلمين الأستاذ عبد القادر الجيلاني ، فإنه دسَّه عليه فيها من سينتقم الله منه وإلا فهو بريء من ذلك وكيف تروَّج عليه هذه المسألة الواهية مع تضلعه من

الكتاب والسنة وفقه الشافعية والحنابلة حتى كان يفتي على المذهبين ، هذا مع ما انضم لذلك أن الله منَّ عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة وما أنبأ عن ما ظهر عليه وتواتر من أحواله ... الخ)

الفتاوى الحديثية ص٢٠٤

قال الإمام عبد الوهاب الشعراني (٩٧٣هـ) :

(... فلا أدري أذلك الكلام دُسَّ علي الشيخ في كتابه أم وقع في ذلك في بدايته ورجع عنه لما دخل في الطريق فإن من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى أنه تعالى لا يتحيز. والشيخ قد شاعت ولايته في أقطار الأرض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعاً)

اليواقيت والجواهر ١ / ١٢١

٢- وله نصوص صريحة في التنزيه قد جهلها أو تجاهلها الناقد ، وإليك البيان :

قال الباز الأشهب عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ) :

(باب في معرفة الصانع عز وجل .....

أن يعرف ويتيقن أنه الله واحد فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا شبيه له ولا نظير ولا عون ولا شريك ولا وزير ولا ند ولا مشير له ، **ليس بجسم فيمس ، ولا بجوهر فيحس ، ولا عرض فيقضى ، ولا ذي تركيب أو آلة أو تأليف وماهية وتحديد**)

الغنية لطالبي طريق الحق ١ / ١٥١

وقال أيضاً :

(... **لم تتصوره الأوهام ، ولا تقدره الأذهان ، ولا يقاس بالناس ، جل أن يشبَّه بما صنعه** ...)

الغنية لطالبي طريق الحق ١ / ١٥٢

وقال أيضاً :

(وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش **لا على معنى القعود والمماسة** كما قالت المجسمة والكرامية ، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق)

الغنية لطالبي طريق الحق ١ / ١٥٥

قلت : وهذا معناه أنه كان ملتزماً مذهب جمهور السلف في تفويض معاني نصوص الصفات الذي هو المسلك الأول لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية)

وقال أيضاً :

(... **ولا يجوز عليه الحدود ولا النهاية ، ولا القبل ولا البعد ، ولا تحت ولا قدّام ، ولا خلف ولا كيف** ، لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلا ما ذكرناه من أنه على العرش استوى ، على ما ورد به القرآن والأخبار ، **بل هو عز وجل خالق لجميع الجهات ، ولا يجوز عليه الكمية** .....

ولا يجوز عليه العدم **وهو قديم لا بقدم** ، ولا أول لوجوده .....

ويجوز أن يوصف بأنه نفس وذات وعين **من غير تشبيه بجارحة الإنسان** .....

ويجوز وصفه بأنه كائن **من غير حد** .....

ويجوز وصفه بأنه **قديم** وباق .....

ويجوز وصفه بأنه فاعل بمعنى أنه مخترع لذات ما فعله وخالق له وجاعل بقدرته ، فاستحق لذلك هذا الوصف ، لا على معنى المباشرة للأشياء **لأن حقيقة ذلك تلاقي الأجسام ومماستها ، والله سبحانه متعالٍ عن ذلك** .....

ويجوز وصفه بأنه **عامل وصانع بمعنى خالق** ...)

الغنية لطالبي طريق الحق ١ / ٢١٢ حتى ٢١٦

وعرض في الغنية ١ / ٢٣٨ أصناف المشبهة وقولهم في التجسيم

وقد نقل أتباع الباز الأشهب عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ) عقيدته الصحيحة ، فذكروا ما نصه :

(**الحمد لله الذي كيَّف الكيف وتنزَّه عن الكيفية ، وأيَّن الأين وتعزَّز عن الأينية ، ووُجِد في كل شيء وتقدَّس عن الظرفية ، وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية** ، فهو أول كل شيء وليس له آخِرِية ، **إن قلت أين فقد طالبته بالأينية ، وإن قلت كيف فقد طالبته بالكيفية** ، وإن قلت متى فقد زاحمته بالوقتية ، وإن قلت ليس فقد عطَّلته عن الكونية ، وإن قلت لو فقد طالبته بالنقصية ، وإن قلت لِمَ فقد عارضته في الملكوتية ، سبحانه وتعالى لا يُسبَق بقبلية ولا يُلحَق ببعدية ، **ولا يُقَاس بمثلية ولا يُقرَن بشكلية** ، ولا يُعَاب بزوجية ، **ولايُعرَف بجسمية** ، سبحانه وتعالى لو كان شخصاً لكان معروف الكمية ، **ولو كان جسماً لكان متآلف البنية ، بل هو واحد رداً على البنوية ، صمد رداً على الوثنية ، لا مثيل له طعناً في الحشوية ، لا كفء له ردَّاً على مَن ألحد بالوصفية**)

الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص٣٨

ومما ترجَّح ثبوته عن الباز الأشهب قدس الله روحه قوله :

(ربنا الله .....

والمحيط بكل شيء بعلمه .....

وكذب بعده مَنِ ادَّعى له ندَّاً أو اعتقد له شبهاً أو سيماً .....

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا شبيه له ولا نظير ولا عون ولا ظهير ولا شريك ولا وزير ولا ندّ ولا مشير ، **ليس بجسم فيُمَسّ ، ولا جوهر فيُحَسّ ، ولا عرض فينتفي ، ولا ذي تركيب فيبعض ، ولا ذي آلة فيُمثَّل ، ولا ذي تأليف فيُكيَّف ، ولا ذي ماهية مخيلة فيُحدَّد ، ولا طبيعة من الطبائع ، ولا طالع من الطوالع ، ولا ظلمة تظهر ولا نور يزهر** ، أحاط بالأشياء علماً من غير ممازجة ، شاهد لها إطلاعاً من غير مماسة .....

لا تصوِّره الأوهام ، ولا تقدِّره الأفهام ، ولا يُدرَك بالقياس ، ولا يُمثَّل بالناس ، ولا تُكيِّفه العقول ، ولا تحدُّه الأذهان ، جلَّ أن يُشبَّه بما صنعه ، أو يُضَاف إلى ما اخترعه .....

حجب الألباب برداء كبريائه عن معرفة كنه ذاته ، وحسر الأبصار بنور بقائه عن إدراك حقيقة أحديته .....

جلالٌ ينفي الكيف ، وكمالٌ يسقط المثل ، ووصفٌ يوجب الوحدة .....

وعلمٌ محيطٌ بما في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحار .....

وهو باينٌ من خلقه ولا يخلو مكان من علمه ، فرجعت ليس لها علم سوى التصديق بأحديَّته ، والإقرار أن لا أوَّلَ لقدمِ أزليَّته ولا آخرَ لبقاء أبديَّته ، **ولا كيف ولا مثل يدخلان فى صمديته** ، تعرف إلى خلقه بصفات ليوحدوه ويثبتوا وجوده ، لا ليشبهوه ، فالإيمان يثبتها بعلم اليقين تصديقاً، **والإطلاع على علم حقيقتها غيب لا مجال للعقل فى إدراكه ، وكلما حكاه الوهم أو جلاه الفهم أو تخيله العقل أو تصوره الذهن فعظمة الله وجلاله وكبرياؤه بخلاف ذلك** ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

بهجة النفوس ومعدن الأنوار ص٢٣٨ حتى ٢٤١

والعجيب أن القوم يعتبرون الكرامات التي وردت عن القطب الجيلاني وقوله بجواز التوسل وكثير من المسائل من المدسوسات عليه ، فعندما يجدون كلاماً للشيخ يوافق هواهم وغلوهم في الباري جل جلاله تراهم يتمسكون به ويقطعون بأنه غير مدسوس ، لكن – والحمد لله – قيَّض الله لنا علماء كشفوا لنا ما دُسَّ على هؤلاء السادة

وليس قولنا بالدس في كتب السادة الصوفية تهرُّباً منا من إلزامنا بكلامهم ، لكنها حقائق تاريخية موجودة لا يمكننا أن ننفيها ، كوجود الإسرائيليات في كتب التفسير المذكورة في تفسير ابن كثير ، وكوجود الأحاديث الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذباً وزوراً ، وكورود بعض الروايات الشاذة التي ابتدعها بعض الناس في علم رواية القرآن مما لا أصل لها ، وكوجود الدس في كتب التاريخ ، بل وفي كتب العلماء أمثال الإمام أحمد بن حنبل وتاج العارفين محيي الدين بن عربي وغيرهما

*ص١٣٩ رحلة ابن شيخ الحزاميين

هو صاحب رسالة إثبات الاستواء والفوقية التي نسبها القوم – بقصد أم بغير قصد – إلى والد إمام الحرمين ، وقد فُتِن بابن تيمية وكان ينال من المسلمين بأوصاف سيئة كقوله – غفر الله له – :

(واعلموا أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر ، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود) وكذلك (بين أصناف هذا العالم المنحرف ، في هذا الزمان المظلم)

التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار ص٣٠ – ٤٨

وكان له شيء من المغالاة بابن تيمية حيث قال في رسالة التذكرة والاعتبار :

ص٣١ (وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره رضي الله عنه)

ص٤١ (الطاعن فيه طاعن في دين الله)

ص٤٣ (ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض)

ص٤٥ (إذا علمتم ذلك فاحفظوا قلبه ، فإن مثل هذا قد يدعى عظيماً في ملكوت السماء ، واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وده لكم ، وحبه إياكم بمهما قدرتم عليه ، فإن مثل هذا يكون شهيداً ، والشهداء في العصر تبع لمثله ، فإن حصلت لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها ، وربما يفطن لها الأذكياء منكم ، وربما يفطن لها الأذكياء منكم ، وربما سمحت نفسي بذكرها ، كيلا أكتم عليكم نصحي)

ص٤٦ (وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة ..... أن ينفتح لكم معرفة حقيقة هذا الرجل ونبئه إن شاء الله تعالى)

فلو أن صوفياً قال هذا الكلام في مدح أحد العلماء والأولياء ، لقامت الدنيا ولم تقعد ، ولكيلت الاتهامات بالغلو والمروق ، هو ذات الفعل الذي تقوم به الفرقة المنكرة مع رموزها

وخلاصة الأمر أن تقديس الرموز التابعة للفرقة مع الطعن برموز المخالفين من أهم العوامل التي توسع شرح الخلاف وهوة الصراع بين المتخاصمين ! فحاذر !

وهذه الرسالة طبعها القوم في الأردن مما يؤكد أنهم موافقون على متنها بل إن محقق الرسالة قال في مقدمتها ص٧ : (ولمعت له – أي لابن شيخ الحزاميين – أنوار شيخ الإسلام ابن تيمية الذي امتدح تصوفه ..... ووصف – أي ابن تيمية – إياه بجُنيد وقته)

*ص١٣٩ العلو للعلي الغفار للذهبي

قال ناسخ الكتاب العلو سنة ٨٠٤هـ وهو الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد القيسي الحموي الشافعي المتوفي سنة ٨٤٢هـ على غلاف المخطوطة ما نصه :

قال المؤلف – أي الذهبي – (٧٤٨هـ) :

(وله الله فيما وجدته بخطه على هامش المسودة سنة ثمان وتسعين وستمائة – ٦٩٨هـ – **على أن فيه أحاديث نبهني على وهنها وأقوال طوائف قد توسَّعوا في العبارة فلا أنا موافق على تلك العبارات ولا مقلِّد لهم والله يغفر لهم ولا ألتزم بها ما أجمع عليَّ الدهر** وبهذا أدين وأعلم أن الله ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى)

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٨ / ١٠٣

وقال "عن شيخ الإسلام ابن تيمية" :

(... وأنا لا أعتقد فيه عصمة **بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية** فإنه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمان الدين بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب وشظف للخصم تذرع له عداوة في النفوس وإلا لو لاطف خصومه لكان كلمة إجماع فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بشنوفه مقرون بنذور خطائه وأنه بحر لا ساحل له وكنز لا نظير له ولكن ينقمون عليه إخلافاً وأفعالاً وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك)

ترجمة الذهبي في السير أوردها الشيخ شعيب الأرناؤوط على العواصم والقواصم لابن الوزير ٥ / ٢٦٢ – ٢٦٣

وقد رجع الإمام الذهبي إلى التنزيه والتزم مذهب السلف في التفويض ، وسأنقل نصوصاً من كتبه خاصة السير عند تبرئته من عقيدة التشبيه إن شاء الله

***ص١٧٠ السنة للخلال**

في هذا الكتاب أطال الإمام أبو بكر الخلال في تقرير قعود النبي صلى الله عليه وسلم مع الباري سبحانه على الفضلة التي تفضل من العرش ، وحشر مع ذلك نقولاً عن بعض المحدثين في تكفير منكره ورميه بالبدعة والتجهم وغير ذلك **مما لو قرأه مسلم لم يسمع عن الإسلام شيئاً ، ولظن أن هذا الخبر ركن من أركان الإسلام** ، وفيه أيضًا الكذب على الإمام أحمد وأنه تلهف لسماع هذا الخبر إذ لم تحصل روايته له من علو

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١ / ٢٦١

وفيه أن الله عز وجل ينادي : يا داود ادنُ مني فلا يزال يدنيه حتى يمس بعضه ويقول : كن أمامي فيقول رب ذنبي ذنبي ، فيقول الله له كن خلفي خذ بقدمي

فلم أفهم كيف يوصي الناقد ص٤٠٠ بمثل هذا الكتاب لمعرفة السنة منه !!

قال الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) :

(وكان ممن صرف عناية إلى الجمع لعلوم أحمد بن حنبل وطلبها وسافر لأجلها وكتبها عالية ونازلة وصنفها كتباً **ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أجمع منه)**

تاريخ بغداد ٥ / ١١٢

سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٩٥

***ص١٩١ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية وكتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري**

ينقل عن الإنجيل ، اختلفت أقوال الأئمة فيه فمنهم من طعن فيه ومنهم من دافع عنه ، (قال الحاكم : أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب ، دافع عنه الذهبي وقال : والرجل ليس بصاحب حديث ، قال البيهقي : كان يرى رأي الكرامية ، قال الدارقطني في مرآة الزمان : كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه منحرف عن العترة وكلامه يدل عليه ، قال أبو نصر الوائلي : قال محمد بن عبد الله الحافظ : كان ابن قتيبة يتعاطى التقدم في العلوم ولم يرضه أهل علم منها وإنما الإمام المقبول عند الكل أبو عبيد ، قال ابن حجر : ذيَّل ابن قتيبة على أبي عبيد في غريب الحديث ذيلاً يزيد على حجمه وعمل عليه كتاباً فيه اعتراضات ورد على أبي عبيد فانتصر محمد بن نصر المروزي لأبي عبيد ورد ابن قتيبة ، قال إمام الحرمين : ابن قتيبة هجام ولوج فيما لا يحسنه ، قال العراقي : كان ابن قتيبة كثير الغلط ، قال الأزهري في مقدمة كتابه تهذيب اللغة : ..... وهو كثير الحدس والقول بالظن فيما لا يحسنه ولا يعرفه ورأيت أبا بكر بن الأنباري ينسبه إلى الغباوة وقلة المعرفة ويزري به)

لسان الميزان ٥ / ٩ رقم ٤٤٦٠

سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٨

والذي يبدو لي أن الإمام ابن قتيبة الدينوري قد رجع إلى التنزيه في أغلب المسائل ، وسأنقل نصوصاً من كتبه عند تبرئته من عقيدة التشبيه إن شاء الله

***ص٢٠٣ اعتقاد السنة لأبي بكر الاسماعيلي**

هذه الرواية لا تثبت عن الإمام ؛ في سندها رجلٌ لم يُعرَف وهو مسعود بن عبد الواحد الهاشمي ، ولا حجة فيما نقله الناقد فالإمام بريء من عقيدة التشبيه ، فقد جاء في هذه الرواية "عند إثبات صفة اليدين" :

(٦- **ولا يُعتقَد فيه الأعضاء والجوارح ولا الطول والعرض والغِلظ والدقة ، ونحو هذا مما يكون مثله في الخلق** ، وأنه ليس كمثله شيء تبارك وجه ربنا ذو الجلال والإكرام)

اعتقاد أئمة أهل الحديث ص٣٦ – الفتح

وجاء فيها أيضاً "عند الرؤية" :

(١٥- ويعتقدون جواز الرؤية ..... **وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله عز وجل ولا التحديد له** ، ولكن يرونه جلّ وعزّ بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف)

اعتقاد أئمة أهل الحديث ص٤٣ – الفتح

ونقل عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) قوله :

(**لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح** لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٨٤٦

*ص٢١٠ ذم الكلام وأهله لأبو اسماعيل الهروي الأنصاري

هو الذي كان المشبهة بهراة يلقبونه شيخ الإسلام نكاية بمن سمّي به الحافظ أبا عثمان الصابوني أي أنه لُقِّب به تعصباً. قال الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) :

(وأما المجسمة بمدينة هراة فلما ثارت نفوسهم من هذا اللقب عمدوا إلى أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري صاحب كتاب ذم الكلام فلقبوه بشيخ الإسلام ، وكان الأنصاري المشار إليه رجلاً كثير العبادة محدثًا إلا أنه يتظاهر بالتجسيم والتشبيه وينال من أهل السنة وقد بالغ في كتابه ذم الكلام حتى ذكر أن ذبائح الأشعرية لا تحل ، وكان أهل هراة في عصره فئتين فئة تعتقده وتبالغ فيه لما عنده من التقشف والتعبد وفئة تكفره لما يظهره من التشبيه ، ومن مصنفاته التي فوقت نحوه سهام أهل الإسلام كتاب ذم الكلام وكتاب الفاروق في الصفات وكتاب الأربعين ...)

طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٢٧٢

وقال أيضاً :

(وكان يلعن شيخ السنة أبا الحسن الأشعري ..... وكان شديد التعصب للفرق الحنبلية بحيث كان ينشد على المنبر على ما حكى عنه تلميذه محمد بن طاهر

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت ** فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

وترك الرواية عن شيخه القاضي أبي بكر الحيري لكونه أشعرياً وكل هذا تعصب زائد برأنا الله من الأهواء)

طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٢٧٣

وفي كتابه ذم الكلام ينقل الإمام ابن تيمية تعثر الإمام الهروي في الوقيعة بالإمام الأشعري مستدلاً به فيقول :

(وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود، لفظية الجهمية الذكور بمرة والجهمية الإناث بعشر مرات ... قالوا وقد شاع في المسلمين أن رأسهم علي بن إسماعيل الأشعري كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي)

بيان تلبيس الجهمية ٢ / ٤٠٠ - ٤٠٤

نقل ذلك ابن تيمية مستشهداً به على ذم من سمَّاهم المتأخرين من أصحاب الأشعري مع أن من سمَّاه شيخ الإسلام لم يوفِّر منهم أحداً بل حكى الإجماع على تكفيرهم وشحن كتبه في ذلك وسعى بين السلاطين في فتنتهم ، ونضح بما فيه من وصفهم ذلك الوصف الذي خرج به عن حدود الأدب وصار من بعده سنة سيئة عليه وزرها ثم على ابن تيمية مثل ذلك الوزر لأنه عمل بهذه السنة في أكثر من موضع حتى تابعه عليها ابن القيم ومن افتتن بهم من المعاصرين

التجسيم في الفكر الإسلامي ص١١٥

*ص٣٣٣ السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد بن حنبل

ومما اشتمل عليه هذا الكتاب من الجرأة على الله عز وجل وصُفه بالجلوس على العرش ، وإثبات صدر له وذراعين ، وإثبات الثقل والصورة التي صور عليها آدم ، وأنه على كرسي من ذهب تحمله أربعة من الملائكة ، وأنه واضع رجليه على الكرسي ، وأن الكرسي قد عاد كالنعل في قدميه ، وأنه إذا أراد أن يخوف أحداً من عباده أبدى عن بعضه ، وأنه قرَّب داود عليه السلام حتى مس بعضه وأخذ بقدمه وغير ذلك مما يكشف عنه البحث

ومما اشتمل عليه في حق الإمام أحمد أنه نقل عنه تصحيح الأخبار التي تثبت جلوسه عز وجل على العرش وحصول الأطيط من هذا الجلوس ، وأنه واضع رجليه على الكرسي وأن الكرسي موضع قدميه ، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قيد أربعة أصابع وغير ذلك مما لم يغِبْ نكارته ولا ضعف سنده على بعضهم ، وسكتوا عن نسبة تصحيحه إلى إمامهم وابنه ، فحاشا لله أن يصحِّح الإمام أحمد هذه الأخبار فيخفى عليه ضعف سندها وما في متنها من النكارة ومخالفة عقيدة السلف ، ثم يأتي المحقق ليكشف عن ذلك

ومن هذه الخزعبلات التي وردت في هذا الكتاب :

١/٢٩٤ أن الله كتب التوراة لموسى عليه السلام بيده وهو مسند ظهره إلى الصخرة

٢/٤٥٧ أن السماء ممتلئ بالله عز وجل

٢/٤٧٠ أن أسباب الزلازل أن الله يبدي بعضه للأرض فتتزلزل

٢/٤٧٠ أن الله ينزل كل عشية ما بين المغرب والعصر ينظر لأعمال بني آدم

٢/٤٧٤ أن عرش الرحمن مطوّق بحية

٢/٤٧٥ أن الله خلق الملائكة من نور الذراعين والصدر

٢/٤٨٦ أن الله يطوف في الأرض

٢/٤٩٢ أن جلد الكافر يوم القيامة أربعون ذراعاً بذراع الجبار

٢/٥٠٢ أن الله يضع يده في يد داود

٢/٥٢٥ أن الله لما تجلى للجبل بسط كفه ووضع إبهامه على خنصره

وقد قطع محققه بنسبة الكتاب إلى مؤلفه ، وأجهد نفسه في الرد على مَن نزَّه الإمام أحمد عن أن يخوض ولده الذي تربى في كنفه في كل ما خاض فيه المؤلف ، ولم يأتِ المحقق بشيء علمي بل اجتهد في كلام خطابي لا يدفع الاعتراف بوجود مجهولين (أبو النصر محمد بن الحسن بن سليمان السمسار – أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خالد الهروي) في طبقتين من طبقات إسناد هذا الكتاب إلى مؤلفه

السنة بتحقيق القحطاني ١ / ١٠٢ – ابن القيم

وقد حاول الدكتور عبد الله البراك توثيق الكتاب فقال :

(– أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن خالد الهروي : شيخ لابن حبان في "الثقات" (٣٣/٧)

– أبو النضر محمد بن الحسن بن سليمان السمسار : أحد شيوخ أبي يعقوب القرَّاب في كتابه "فضائل الرمي في سبيل الله"، ومكثرٌ عنه في الرواية)

مقالات له في توثيق أسانيد كتب العقيدة الإسلامية ٣ / ٥

ومن المعلوم أن رواية أحد المحدثين عن الرجل لا تفيد شيئاً في توثيقه ، والدكتور البراك يزعم في مقدمة مقالاته أن هذه الكتب قد وصلت بأصح الطرق مع أنه هناك رجالاً في الأسانيد لم يقف لهم على تراجم. فتأمل !!

قال الدكتور صهيب السقار :

(والذي يبدو لي أن هذا الكتاب من مؤلفات من يسمُّونه شيخ الإسلام أبا إسماعيل الهروي صاحب المؤلفات المعروفة في ما يسمونه العقيدة السلفية ، وهذا الهروي شديد التعصب ربما ركب له إسناداً فرواه عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم القراب الهروي عن مجهول عن مجهول عن المؤلف. وأبو إسماعيل الهروي لا يستبعد منه صدور ما في هذا الكتاب منه ، أما ابن الإمام أحمد فلا نظن به أن يتعدى على الله وعلى رسوله وعلى الإمام أحمد والإمام أبي حنيفة النعمان ، وقد ذكر المحقق في توثيق الكتاب وصحة نسبته إلى المؤلف نقل الحنابلة عنه وأخذهم منه وكل من ذكر نقَلهم عنه من بعد عصر الهروي المذكور ، فلا تدفع هذه النقول الشك في نسبة الكتاب إليه ولا الشك في صحة نسبة صحته إلى المؤلف ، واشتمل هذا الكتاب على أكثر من مئة وثمانين نصاً في الطعن في الإمام أبي حنيفة ، بل في بعضها تكفيره ، وأنه أخذ من لحيته كأنه تيس يدار به على الحلق يستتاب من الكفر أكثر من مرة ، وأنه أفتى بأكل لحم الخنزير ، وفيه نقل عن الإمام مالك أنه ذكره بسوء ، وقال : "كاد الدين ومن كاد الدين فليس من الدين" ، ووثق المحقق رجال سند هذه الرواية وغير ذلك من المثالب التي تقشعر منها الأبدان ، عامل الله بعدله واضعها وغفر لمحققها وناشرها)

التجسيم في الفكر الإسلامي ص١٠٨ – ١٠٩

وإذا أجرينا إحصائية لما في هذا الكتاب من الأحاديث والآثار ، لرأينا أن المحقق يضعِّف من أحاديثه وآثاره ما يقارب ثمانية وخمسين خبراً من كل مئة خبر

والمطَّلع يعلم أن القوم زهَّدوا في إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبو حامد الغزالي متذرِّعين بما فيه من الأحاديث الضعيفة ، مع أن الإمام الغزالي لم يورد هذه الأحاديث في كتاب موضوعه العقيدة في الله عز وجل وصفاته ! بل لو كان يُشترَط في الأخبار التي يُحتجُّ بها في فضائل الأعمال ما يُشترط في الأخبار التي يُحتجُّ بها في العقائد لم ينجُ مؤلفُ كتابِ السنة مما نجا منه الإمام الغزالي ، وقد اعترف المحقق نفسَه على بعض أخبار الكتاب بأن فيه دخولاً في تكييف صفات الله عز وجل فيكون أسوأ حالاً ممَّن احتج بحديث ضعيف في فضائل الأعمال التي لايعارضها الشرع بل لا بد أن يشهد لها إجمالاً أو تفصيلاً

ومَن يتابع السلف على نبذ التعصب والتجرُّد لطلب الحق يعلم أن الإسلام أغنى ما يكون عن هذا الكتاب ، لأن شيئاً من دين الله عز وجل لم يوكَل إثباته إلى كتاب مجهول السند. ويعلم أن ما اختصَّ به هذا الكتاب هو الطعن في السلف وإثارة الفتنة بين المسلمين ووصفُ الله عز وجل بما لا يليق به. والعاقبة للتقوى

*ص٤٠٠ رسالة إلى مسدد

نقل الإمام ابن تيمية عن الإمام ابن منده ردَّه لهذه الرسالة قائلاً :

(وقد صنف أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في ذلك مصنفاً ، وزيَّف قول من قال : إنه ينزل – أي الله – ولا يخلو منه العرش ، وضعف ما نقل في ذلك عن أحمد في رسالة مسدد وقال : إنها مكذوبة على أحمد ، وتكلم على راويها البردعي أحمد بن محمد وقال : إنه مجهول لا يعرف في أصحاب أحمد)

الأسماء والصفات ١ / ٢٦ – العلمية

* ص٤٣٤ الشريعة للآجري

في سنده من لا يُعرف مثل (ناسخ المخطوطة عمر بن ابراهيم بن علي بن أحمد الحداد)

وفي سنده من لم يوثَّق (أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن مسعود البريهي – أسعد بن خير بن يحيى بن ملامس – خير بن يحيى بن عيسى بن ملامس – أحمد بن محمد المكي البزار)

الشريعة ١ / ٢٦٧ – ٢٦٨

***ص٤٠٤ مناهج الأدلة في الرد على الأصوليين لابن رشد الحفيد**

غلا في الإثبات فأثبت الجسمية صفة لله جل جلاله والعياذ بالله حيث قال :

(إنه من البيِّن من أمر الشرع أنها من الصفات المسكوت عنها ، وهي إلى التصريح بإثباتها في الشرع أقرب منها إلى نفيها) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

مناهج الأدلة في الرد على الأصوليين ص١٧١

***ص٤٨١ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي**

شرح العقيدة الطحاوية فحرَّف مضامينها ، وقد اجترأ في شرحه – غفر الله لنا وله – فقال ص١٣٣ :

(والقول بأن الحوادث لها أول ، يلزم منه التعطيل قبل ذلك وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلاً)

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أن علماء الديار المصرية خصوصاً أهل مذهبه أنكروا عليه أشياء فطلبوه للقضاء والتعزير ، فكان من جملة من توارد على الإنكار عليه سعد الدين النووي وجمال الدين الكردي وشرف الدين الغزي وزين الدين بن رجب وتقي الدين بن مفلح وأخوه وشهاب الدين بن حجي

إنباء الغمر بأبناء العمر ٢ / ٩٥ – ٩٧

قال الإمام ملا علي القاري (١٠١٤هـ) :

(والحاصل أن الشارح يقول بعلو المكان مع نفي التشبيه ، وتبع فيه طائفة من أهل البدعة ، ومن الغريب أنه استدل على مذهبه الباطل برفع الأيدي في الدعاء إلى السماء)

شرح الفقه الأكبر ص١٧٢ – العلمية

قال الإمام مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) "معلقاً على شرح ابن أبي العز" :

(ولما تأملته حق التأمل وجدته كلاماً مخالفاً لأصول مذهبه إمامه ، وهو في الحقيقة كالرد على أئمة أهل السنة ، كأنه تكلم بلسان المخالفين ، وجازف وتجاوز عن الحدود ، حتى شبَّه قول أهل السنة بقول النصارى ، فليتنبه لذلك)

إتحاف السادة المتقين ٢ / ١٤٦

قال العلامة محمد زاهد الكوثري (١٣٧٠هـ) "في معرض حديثه عن العقيدة الطحاوية" :

(... وطُبِع شرح لمجهول ، ينسب إلى المذهب الحنفي زوراً ، ينادي صنع يده بأنه جاهل بهذا الفن ، وأنه حشوي مختل العيار)

الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي ص٣٨

وبالرغم من هذا فقد قام الإمام ابن أبي العز بالتأويل في شرحه فقال :

(قال الله عز وجل :" وكان الله بكل شيء محيطاً " وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك ، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، **وإنما المراد إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته** ، وأنها بالنسبة لعظمته كخردلة)

شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٨١

وكان علماء الوهابية يترصَّدون هذه العبارة فعلَّقوا عليها بالقول :

(إحاطة عظمة وسعة وعلم وقدرة ، وكلا العبارتين حسن ، **وهو من التأويل الذي ينقمه الشارح مع أنه لا بُدَّ منه أحياناً**)

*ص٦١٤ الصفات للدارقطني

لا تصح نسبته للإمام الدارقطني وسنده باطل موضوع ؛ ففي سنده

(أحمد بن عبيد الله أبو العز بن كادش ، قال ابن النجار : كان مخلطاً كذاباً لا يحتج به وللأئمة فيه مقال ، قال السمعاني : كان ابن ناصر يسيء القول فيه ، قال الأنماطي : كان مخلطاً ، وقال ابن عساكر : قال لي أبو العز بن كادش : ووضعت أنا في حق أبي بكر حديثاً بالله أليس فعلت جيداً ؟!)

لسان الميزان ١ / ٥٣٢ رقم ٦٢٣

وكذلك (محمد بن علي بن الفتح أبو طالب العشارى أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة باطن منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء ومنها عقيدة للشافعي ..... العتب على محدثي بغداد كيف تركوا العشارى يروى هذه الأباطيل ..... قال الذهبي : ليس بحجة)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٦٥٦ رقم ٧٩٨٩

لسان الميزان ٧ / ٣٧٦ رقم ٧٢١١

(قال ابن عساكر : لم يكن موثقاً في روايته)

سير أعلام النبلاء ١٩ / ٦٨

(وكان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات ولم يكن حديثه يشبه حديث أهل الصدق ، وفي حديثه متون موضوعة مركبة على أسانيد صحيحة ..... وقال أبو نصر اليونارتي : لم يرضه أبو بكر بن الخاضبة)

ذيل تاريخ بغداد ٣ / ١٧٣

والإمام الدارقطني من كبار الأئمة وهو على عقيدة التنزيه ... كيف لا وقد ذكر أبو الوليد الباجي في كتابه (اختصار فرق الفقهاء) أن الدارقطني كان ملازماً للإمام القاضي ابن الباقلاني

سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٥٨

رابعاً : الأسانيد والأقوال الواهية التي استدلَّ بها :

ومما أحب الإشارة إليه في منهج القوم هو التناقض

فإنك تجد الشيء في كلامهم وضده ، فتراهم يأمرون بالاهتمام بالقرآن والسنة ووجوب اتباع الأثر ، قال الناقد ص٦٤ :

(... فكما أنهم – أي أهل السنة – لا يتعبدون الله تعالى بما يهوونه بل بما صح به الأثر فكذلك لا يعتقدون في الله تعالى ودينه إلا بما صحَّ الأثر ، بل هم لهذا الأمر أشد اتباعاً ، وأعظم حرصاً ...)

ثم يتركون الآيات الصريحة والآثار المتفق عليها إلى موضوعات وأكاذيب وإسرائيليات لا تصح بسندها ومتنها ، علاوة على أنهم يأمرون بالوقوف عند حدود النصوص الشرعية وعدم الزيادة بينما هم يزيدون بإثبات ألفاظ باطلة نقلاً وعقلاً كألفاظ الجهة والجسم والحد والحركة والمكان العدمي وحلول الحوادث

وتراهم كذلك يأمرون بهجر أهل البدع وعدم قراءة كتبهم أو مناقشتهم أو جدالهم (إذ يرون أن أهل السنة الأشاعرة والماتريدية من أهل البدع) ، ثم ترى أقلامهم تخوض بالرد على أهل العلم حتى وصل الأمر أن يقوم صغير القوم بالرد على كبار علماء السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

ص٩٠ أثر التابعي الجرشي عند قوله تعالى "والسماوات مطويات بيمينه" أنه قال : ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء

منقطع ؛ النضر بن أنس ثقة لم يروِ عن ربيعة الجرشي

تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٢

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٩ / ٣٧٦ رقم ٦٤١٧

قال اللغوي أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) :

(قوله (تلقَّاها عرابة اليمين) **قال أصحاب المعاني : معناه القوة ، وقالوا مثل ذلك في قول الله عز وجل (وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)** الزمر ٦٧)

الكامل ١ / ١٦٧

ص٩٠ أثر حكيم بن جابر (إن الله تبارك وتعالى لم يمس بيده من خلقه سوى ثلاثة أشياء ...)

مقطوع صحيح

وقد جاء الحديث في السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد بن حنبل ١ / ٢٩٥ (٥٧٠- ..... عن حكيم بن جابر قال أُخبِرْتُ ...) مرسل صحيح

وجاء أيضاً في الشريعة المنسوب للآجري ٣ / ١١٨٥ (٧٥٩- ..... أن كعب الأحبار قال : ...) صحيح

ص٩١ أثر خالد بن معدان (إن الله عز وجل لم يمس بيده إلا ...)

في إسناده عبدة بنت خالد لم أقف له على ترجمة

ص٩١ أثر عكرمة البربري (إن الله عز وجل لم يمس بيده إلا ثلاثاً ...)

ضعيف ؛ إبراهيم بن الحكم بن أبان

(قال ابن معين : ليس بشيء ، قال النسائي : متروك الحديث ، قال ابن عدي : كان يُوصِل المراسيل عن أبيه وعامة ما يرويه لا يُتابَع عليه ، قال أبو زرعة : ليس بالقوي وهو ضعيف ، قال الجوزجاني والأزدي : ساقط)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١ / ٢٧

تهذيب التهذيب ١ / ٦٣

قلت : وهذا الكلام يحتاج إلى توقيف فلا يكفي وروده عن تابعي ، وهذه الرواية - في الحقيقة - **رواية اسرائيلية** رواها كعب الأحبار (تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٢ / ٤٣)

يكفي للردِّ عليها قول الحق تبارك وتعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) يس

قال ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

(... والناس صنفان : أحدهما أهل الكتاب ، بدلوا في أحكامه وكفروا بالله ، فافتعلوا كذباً صاغوه بألسنتهم ، فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم ، فذكر الله تبارك وتعالى لنبيه من كفرهم فقال "وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ آل عمران ٧٨ ...)

الرسالة ص٨ – ٩

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(... فمن الذي يستحل أن يورد اليوم من التوراة شيئاً على وجه الاحتجاج معتقداً أنها التوراة المنزلة ؟ كلا والله)

سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٩٤

قال الإمام الزرقاني (١٣٦٧هـ) :

(ولكن يجب أن نفرّق في هذا المقام بين ما يصح أن يقال فيهم وما يصح أن ينقل عنهم فأما ما يصح أن يقال فيهم فهو الثقة والتقدير على نحو ما ألمعناه وأما الذي ينقل عنهم فمنه الصحيح وغير الصحيح لكن عدم صحة ما لم يصح لا يعلل باتهامهم وجرحهم فقد علمت من هم إنما يعلل بأحد أمرين :

الأمر الأول : ......

الأمر الثاني : أن يكون أولئك الثلاثة قد رووا ما رووه على أنه مما كان في الإسرائيليات فتقبلها الآخذون على أنها من الإسلاميات **ولهذا يجب النظر في هذه المرويات فإن كانت مما يقرِّره الإسلام قبلناها وإن كانت مما يرده رددناها وإن كانت مما سكت عنه سكتنا عنها** عملاً بقوله إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم رواه البخاري بهذا اللفظ ورواه أحمد والبزار من حديث جابر بلفظ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا اتباعي **وسبب هذا الحديث أن النبي علم أن عمر كتب شيئاً من التوراة عن اليهود فغضب وقاله)**

مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ / ٢٤

ص٩٣ أثر عبد العزيز الماجشون (فوالله ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم)

ص١٧٢ (سُئِل عما جحدت به الجهمية .....)

ضعيف ؛ عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني

(صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة)

تقريب التهذيب ص٥١٥ رقم ٣٤٠٩

(قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عنه فقال : كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بآخره وليس هو بشيء ، قال : وسمعت أبي ذكره يوماً فذمه وكرهه وقال : إنه روى عن الليث بن أبي ذئب وأنكر أن يكون الليث سمع من ابن أبي ذئب ، قال صالح بن محمد : كان ابن معين يوثقه وعندي أنه كان يكذب في الحديث ، قال ابن المديني : ضربت على حديثه وما أروي عنه شيئاً ، وقال أحمد بن صالح : متهم ليس بشيء ، وقال النسائي : ليس بثقة)

تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٥

(له مناكير ، قال ابن عدي : وهو عندي مستقيم الحديث وله أغاليط)

المغني في الضعفاء ١ / ٤٨٨ رقم ٣٢١٨

عمر بن محمد الجوهري

(في بعض حديثه نكرة)

تاريخ بغداد ١١ / ٢٢٥

نضيف لهذا أن الإمام مالك لم يكن يسكت على من يذيع هذه الأحاديث وينشرها بين الناس ، فكان يعظِّم أن يحدِّث أحد بتلك الأحاديث ، ولو أن الماجشون قال هذا الكلام لأنكر عليه

سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٤

التمهيد لابن عبد البر ٧ / ١٥٠

النوادر والزيادات ١٤ / ٥٥٣

الموافقات ٤ / ٥٤٩

البيان والتحصيل ١٨ / ٥٠٤

وقد نقلنا سابقاً ما ثبت عن الإمام عبد العزيز الماجشون (٢١٢هـ) من تنزيه حيث قال :

(اعلم ان الله تعالى أولاً ، لم يزل أولاً ، وليس بالأول الذي كان أولاً ما كان من الأشياء وقد كان .....

القديم الذي لا بداية له ، لم يحدث كما حدثت الأشياء ، لم يكن صغيراً فكبر .....

لم يزل قوياً عالياً متعالياً .....

ولا يزال أبداً كذلك فيما كان وكذلك فيما بقي يكون .....

ولم يتغير عن حال إلى حال بزيادة أو نقصان .....

وقد أحاط بهم – أي الخلق – قبل خلقهم علماً .....

هو أبد الأبد الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)

العظمة ١ / ٣٨٨ لِ ٣٩٢ رقم ١٠١

ص١٣٨ قول الإمام القرطبي في إثبات الجهة والكيف المجهول عن السلف الصالح

وكيف يقول الإمام القرطبي ذلك وهو نفسه الذي يصرِّح بتكفير الجهوية – أي القائلين بالجهة – :

(الثاني : والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ...)

التذكار ص٢٠٨

قال الشيخ محمد العربي التباني (١٣٩٠هـ) :

(ودس المبتدعة في كتب الأشعري وغيره من علماء الإسلام شيئاً كثيراً فمن ذلك دسهم التجسيم في تفسير الإمام ابن جرير الطبري عند قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) ودسهم التشبيه في إبانة الإمام أبي الحسن الأشعري ودسهم التشبيه أيضاً في تفسير القرطبي عند قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) فمن طالعه يجده متضارباً ودس التيميون في تفسير الألوسي)

براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ١ / ٦٤

وعلى فرض صحة قوله هذا الكلام فيُحمَل على أنه قصد الجهة المعنوية لا الحسية وكذلك الكيف المجهول أي حقيقة الصفة وكنهها ، أما الجهة والكيف الحسيان فهما مرفوعان عن صفات الحق تبارك وتعالى

قال إمام الهدى أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) :

(وأما رفع الأيدي إلى السماء فعلى العبادة ، ولله أن يتعبَّد عباده بما شاء ، **ويوجِّههم إلى حيث شاء** ، وإنَّ ظنَّ مَن يظنُّ أن رفع الأبصار إلى السماء لأن الله من ذلك الوجه إنما هو كظن من يزعم أنه إلى جهة أسفل الأرض بما يضع عليها وجهه متوجِّهاً في الصلاة ونحوها ، وكظن من يزعم أنه في شرق الأرض وغربها بما يتوجه إلى ذلك في الصلاة أو نحو مكة لخروجه إلى الحج ..... جل الله عن ذلك)

التوحيد ص١٣٩

قال الإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ) :

(والأعلى صفة الرب وأريد بالعلو العلو بالقهر والاقتدار لا بالمكان لاستحالته عليه سبحانه **والسلف وإن لم يؤوِّلوا بذلك لكنهم أيضاً يقولون باستحالة العلو المكاني عليه عز وجل** ، وجوز جعله صفة لاسم وعلوه ترفعه عن أن يشاركه اسم في حقيقة معناه)

روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ٣٠ / ١٠٣

فغاية تقرير القرطبي – إن صحَّ عنه – هو ما قاله العلامة محمود السبكي (١٣٥٢هـ) :

(وأما القائلون بأن الله في جهة فوق **فإن كان مرادهم أنه يصح أن يوصف بكونه في جهة فوق لأن الشرع ورد بتخصيصها** ، ولذا يتوجه إليها في الدعاء كما خصص الكعبة بكونها بيت الله تعالى ، وينزهون الله عن صفات الحوادث ، **ويفوِّضون معرفة كنه الفوقية وحقيقتها إلى الله تعالى ، فهذا هو مذهب السلف بعينه الذي قدَّمناه**

وأما إن كان مرادهم أن الله في جهة فوق على معنى أنه في مكان في جهة العلو ، فذلك كفر صريح إن أرادوا مكاناً كأمكنة الحوادث

وبدعة وضلال إن أرادوا مكاناً ليس كأمكنة الحوادث ، وهؤلاء هم المجسمة الذين قالوا : إنه تعالى جسم لا كالأجسام ، وله حيز لا كالأحياز ، ونسبته إلى حيزه ليست كنسبة الأجسام إلى أحيازها ، وهكذا ينفون خواص الأجسام عنه حتى لايبقى إلا اسم الجسم وهؤلاء لايكفرون بخلاف القائلين بأنه جسم حقيقة وأنه جالس فوق العرش جلوس الحوادث فوق الأمكنة فمن اعتقد ذلك فهو كافر بلا شك ...)

إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ص١٠ – ١١

ص١٨٣ أثر أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الهروي (... ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه ؟ كيف ضحك ؟ قلنا : لا يفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره)

موضوع ؛ عزا الناقد هذا النقل إلى الشريعة للآجري والصفات للدارقطني والاعتقاد للالكائي

جاء في الشريعة المنسوب للآجري ٢ / ٩٨٨ (٥٨١– ... حدثنا العباس بن محمد الدوري ، قال : سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول – وذكرت عنده هذه الأحاديث في الرؤية – فقال : (هذه عندنا حق ، نقلها الناس بعضهم عن بعض) صحيح

وجاء في اعتقاد اللالكائي ٢ / ٥٢٦ (٩٢٨– ... فقال أبو عبيد : ... إلا أنَّا إذا سُئِلنا عن تفسيرها

قلنا : ما أدركنا أحداً يفسِّر منها شيئاً ونحن لا نفسِّر منها شيئاً نصدِّق بها ونسكت)

وجاء في الصفات الموضوع على الدارقطني (٥٧- ولكن إذا قيل:كيف وضع قدمه ، وكيف ضحك ؟ قلنا : لا يُفسَّر هذا ولا سمعنا أحداً يفسّره) ونقله الذهبي في العلو ص١٧٣

فالناقد نقل متن الرواية عن كتاب الصفات الموضوع على الدارقطني ، وعلى هذا فإن هذه الرواية **موضوعة**

أحمد بن عبيد الله أبو العز بن كادش ، كذاب مخلط وضاع

محمد بن علي بن الفتح أبو طالب العشارى ، ليس بحجة افترى عقيدة على الإمام الشافعي

تنويه : تقدم التجريح كما فيما مضى. راجع تعقيبنا على كتاب الصفات للدارقطني

والثابت عن الإمام أبي عبيد (٢٢٤هـ) قوله :

(نحن نروي هذه الأحاديث **ولا نريغ لها المعاني**) أي لا نطلب لها المعاني

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٢٩ - الأزهرية

أقاويل الثقات ص١٧٧ - ١٧٨

وقال أيضاً :

(وهذه الأحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض **غير أنَّا إذا سألنا عن تفسيرها لا نفسِّرها وما أدركنا أحداً يفسِّرها**)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٣٣ - الأزهرية

ص١٨٥ أثر عبد العزيز الكناني مناظرة الحيدة

موضوع ؛ اكتفى الناقد بنقل الإمام ابن تيمية للمناظرة ولم ينسَ دعمها بوصف رائع مثل الحيدة الشهيرة المعروفة المطعون في سندها فضلاً عن شهرتها. قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(لم يصح إسناد كتاب الحيدة إليه ، فكأنه وُضِع عليه ، والله أعلم)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢ / ٦٣٩ رقم ٥١٣٩

وقال عنها الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) :

(... لكن في ثبوت هذه المناظرة نظر فإنه تفرد بروايتها محمد بن الحسن بن أزهر الدعاء ، وقد اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث ، وذكر الذهبي أنه هو الذي وضعها)

تعليقه على شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٧٢ – المكتب الإسلامي

ص١٩٥ أثر حرب الكرماني في بيان مذهب السلف الصالح نقلاً عن مسائله

لم أقف على من وثَّقه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) :

(وقد نُقِل في رسالة عنه – أي الإمام أحمد – إثبات لفظ الحركة مثل ما في العقيدة التي كتبها حرب بن اسماعيل **وليست هذه العقيد ثابتة عن الإمام أحمد بألفاظها ، فإني تأمَّلت لها ثلاثة أسانيد مظلمة برجال مجاهيل ، والألفاظ هي ألفاظ حرب بن اسماعيل ، لا ألفاظ الإمام أحمد ، ولم يذكرها المعنيّون بجمع كلام الإمام أحمد** ، كأبي بكر الخلال في كتاب السنة ، وغيره من العراقيين العالمين بكتاب أحمد ، ولا رواها المعروفون بنقل كلام الإمام ، لا سيما مثل هذه الرسالة الكبيرة ، **وإن راجت على كثير من المتأخرين**)

الاستقامة ١ / ٧٣

وله – أي حرب الكرماني – كلام غريب حيث قال :

(هذه المسائل حفظتها قبل أن أقدم على أبي عبد الله ، وقبل أن أقدم على إسحاق بن راهويه ، ولم أعدَّها ...)

طبقات الحنابلة ١ / ٣٨٩

وما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية مخالف للكتاب والسنة ولما ثبت عن السلف من تنزيه ، مما يدل على أن ما نقله عن الأئمة في العقيدة إنما هو من ألفاظه لا من ألفاظ الأئمة ، حيث جاء فيه :

(... ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، **وله حد** ، **والله أعلم بحده** ...)

درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٢٣

وقد نقل الإمام الذهبي عن ابن أبي حاتم الرازي أنه قال : أخبرني حرب بن اسماعيل الكرماني فيما كتب إليّ أن الجهمية أعداء الله وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق ..... **ولا يُعرف لله مكان** ...)

العلو للعلي الغفار ص١٩٤

قلت : صفات الله توقيفية ؛ فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا نزيد من عندنا ألفاظاً بدعية ، ولا يكفي ورود صفة عن صحابي فضلاً عن تابعي وإن جاءت بسند متصل صحيح

ص٢٠٢ أثر أبو اسحاق ابن شاقلا عند مناظرته لأبي سليمان الدمشقي وهو أحد أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب : (... لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لها معنى عنده غير ظاهرها لبيَّنه ...)

نقل القاضي ابن أبي يعلى هذه المناظرة عن والده عن رجل اسمه (أبي بكر ابن شاقلا) ولم أقف له على ترجمة ، ومما جاء في هذه المناظرة في إثبات صحة أحد الأحاديث :

(فقال لي – أي أبو سليمان الدمشقي – : الأعرج عن أبي هريرة بخلاف ما قاله همام

قلت له – أي أبو اسحاق ابن شاقلا – : كيف ؟

قال : لأن الأعرج قال : يضع قدمه

فقلت له : ليس هذا ضد ما رواه همام ، **وإنما قال هذا (قدم)** ، **وقال هذه (رجل) وكلاهما واحد**. ويحتمل أن يكون أبو هريرة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين وحدَّث به أبو هريرة مرتين فسمع الأعرج منه في إحدى المرتين ذكر " القدم " وسمع منه همام ذكر " الرجل "

فقال لي: همام غلط ، فقلت له : هذا قول من لا يدري)

طبقات الحنابلة ٣ / ٢٣٠ – ٢٣١

قلت : كيف عرف هذا الرجل أن معنى القدم ومعنى الرجل كلاهما واحد ، وفي هذا دلالة على أنه يثبت معاني صفات الحق تبارك وتعالى على ما عقله من معاني لدى المخلوق ، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. فاحذر !

ص٢٠٩ أثر إسحاق بن راهويه : (علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣ / ٥٣٢

معلّق ؛ علّقه الحافظ أبو القاسم اللالكائي على أحمد بن سلمة الكوفي

(قال ابن حبان : كان يسرق الحديث)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١ / ١٠١ رقم ٣٩٤

لسان الميزان ١ / ٤٧٣ رقم ٥٣٣

تنويه : لعل أحمد بن سلمة رجل آخر. والله تعالى أعلم وأحكم

قال الإمام المرداوي الحنبلي (٨٨٥هـ) :

(وقد حدث اصطلاح كثير من الناس على أنهم يسمُّون كل من أثبت صفات الله الرب سبحانه وتعالى مما جاء به القرآن والسنة كما قال السلف الصالح ، ولم يتأولها كما تأوَّلوها حشوية اصطلاحاً اخترعوه تشنيعاً عليهم ، فالله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون)

التحبير شرح التحرير ٣ / ١٤٠٣ - ١٤٠٤

ص٤٣١ أثر اسحاق بن راهويه (... إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة)

في سنده (محمد بن الصباح النيسابوري وأبو داود الخفاف) لم أقف لهما على ترجمتهما

مختصر العلو ص١٩٤

ص٥٢٦ أثر اسحاق بن راهويه (إذاً أنت لا تؤمن بأن لك في السماء رباً)

في سنده (محمد خلاد بن جعفر ومحمد بن الحسين الآبري ومحمد بن اسحاق الثقفي) لم أقف لهم على تراجم

الثابت عن إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) قوله :

(إنما يلزم المسلم الأداء ويوقن بقلبه أن ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته ، **ولا يعقل نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرَّفهم الربُّ عز وجل ، فأما أن يدرك أحد من بني آدم تلك الصفات فلا يدركه أحد**)

مجموع الفتاوى ٤ / ١٨٥ (السنة لأبي الشيخ الأصبهاني)

وقال "في النزول" :

(النزول بلا كيف)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤١٧ - الأزهرية

وقال أيضاً :

(إنما يوصف بالقعود من يملُّ القيام)

سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٨٨

البرهان في علوم القرآن ٢ / ٧٨

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٢ / ١٥١

ص٤٣١ أثر قتيبة بن سعيد (هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة : نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه)

مكذوب ؛ محمد بن الحسن بن محمد بن زياد أبو بكر النقاش

(قال طلحة بن محمد الشاهد : كان النقاش يكذب في الحديث والغالب عليه القصص ، وقال البرقاني : كل حديث النقاش منكر ، وقال الخطيب : في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة ، وقال البرقاني : ليس في تفسيره حديث صحيح ، ووهاه الدارقطني ، ذكر ابن الجوزي تدليساً ووضعاً له)

معرفة القراء الكبار ٢ / ٥٨٢ رقم ٢٩٩

سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٧٥

لسان الميزان ٧ / ٧٨ رقم ٦٦٧١

معجم الأدباء ٦ / ٢٥٠١ – الغرب الإسلامي

(اتُّهِم بالكذب وقد أتى في تفسيره بطامات وفضائح)

المغني في الضعفاء ٢ / ١٨٣ رقم ٥٤٢٨

أبو أحمد الحاكم

(لا تصح روايته عن السراج لأنه – أي الحاكم – توفي سنة ٣٨٩هـ وعمره ٩٣ سنة ، وولد السراج سنة ٢١٨ وتوفي سنة ٣١٣هـ ، أي أن عمر الحاكم عند وفاة السراج كان ٧ سنوات)

تاريخ بغداد ١ / ٢٤٨

ص٤٣٢ أثر ابن أبي حاتم نقلاً عن أبو حاتم وأبو زرعة الرازي قولهما (... وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله)

في سنده (محمد بن المظفر المقري والحسين بن محمد بن حبش المقري) لم أقف لهما على ترجمتهما

ص٤٣٦ أثر أبو نعيم الأصبهاني (وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية)

وقال الإمام الذهبي : "فقد نقل هذا الإمام الإجماع على هذا القول ولله الحمد وكان حافظ العجم في زمانه بلا نزاع جمع بين علو الرواية وتحقيق الدراية" العلو ص٢٤٣

لا أعرف للحافظ أبو نعيم الأصبهاني كتاب اسمه (محجة الواثقين ومدرجة الوامقين) على ما عزاه إليه الإمام ابن تيمية ، ولم أر ممَّن ترجم له أن نسب إليه كتاباً بهذا الاسم ، وهو من كبار أئمة أهل السنة الأشاعرة ، ذكره الإمام ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص٢٤٦ والإمام تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى ٣ / ٣٧٠

ولنُعرِض عن أمانة الناقد في النقل ولنعرض تعقيب الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) كاملاً فقد قال :

(فقد نقل هذا الإمام الإجماع على هذا القول ولله الحمد ، وكان حافظ العجم في زمانه بلا نزاع جمع بين علو الرواية وتحقيق الدراية ، ذكره ابن عساكر الحافظ في أصحاب أبي الحسن الأشعري ، توفي في صفر سنة ٤٣٠هـ وله ٩٤ سنة ، **وكان ما بينه وبين ابن منده فاسداً لمسائل من العقيدة**)

العلو للعلي الغفار ص٢٤٣

وقد ذكر الإمام الذهبي في ترجمته :

(... وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصُّبٌ زائد يؤدي إلى فتنة ، وقيل وقال ، وصداع طويل ، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام ، وكاد الرجل أن يقتل

قلت - أي الذهبي - : ما هؤلاء بأصحاب حديث ، بل فجرة جهلة ، أبعد الله شرهم)

سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٦٠

تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٩٥

ص٤٣٩ الحكاية التي جرت بين أبي المعالي والهمذاني "حيث قال فيها الهمذاني : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها ، ما قال عارف قط : يا الله ، إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا ؟ .... فقال الجويني في نهايتها : حيّرني الهمذاني"

١ – أما من حيث السند فللحكاية – فيما أعلم – طريقان :

الطريق الأول : طريق محمد بن طاهر المقدسي حكاية عن أبي جعفر

ضعيف ؛ محمد بن طاهر المقدسي عدله بعض أهل العلم وجرحه آخرون

(ليس بالقوي ، فإنه له أوهام كثيرة في تواليفه)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٥٨٧ رقم : ٧٧١

لسان الميزان ٧ / ٢١١ رقم ٦٩٣٨

قال ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) "عند ترجمة أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي" :

(وحدث محمد بن طاهر المقدسي ، **وكان ما علمت وقَّاعة في كل مَن انتسب إلى مذهب الشافعي** لأنه كان حنبلياً)

معجم الأدباء ٤ / ١٨٣٧

تنويه : علَّق الحافظ ابن حجر على عبارة ياقوت الحموي : (... بل هذه صفة ابن ناصر لأنه كان شافعياً ، ثم تحنبل وتعصَّب ، فلعلَّ ياقوت انتقل ذهنه من ابن ناصر لابن طاهر ، وفي الكلام ما يؤخذ منه كون ياقوت شافعياً) لسان الميزان ٧ / ٢١٥

قال الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) قائلاً :

(وابن طاهر عنده تحامل على إمام الحرمين .....

قد تكلَّف – أي الذهبي – لهذه الحكاية ، وأسندها إجازة على إجازة ، مع ما في إسنادها **ممَّن لا يخفى محاطُّه على الأشعري** ، وعدم معرفته بعلم الكلام)

طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ١٨٦ – ١٩٠

أضيف لذلك أن ابن طاهر لم يروِ عن أبي جعفر الهمذاني بل أبو جعفر هو من حدَّث عنه

تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٧٢ – ١٢٤٣ رقم ١٠٥٣

سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٦١ – ٣٦٢

الطريق الثاني : طريق الذهبي فيما رواه من رسالة أبي منصور بن الوليد التي كتبها إلى الفقيه محمود الزنجاني أنا محمد الحافظ الحيران يعني عبد القادر الرهاوي ، أنا الحافظ أبو العلاء يعني الهمذاني ، أنا أبو جعفر الحافظ

منقطع ؛ إن الرسالة أرسلها أبو منصور بن الوليد إلى الفقيه محمود الزنجاني ، ولم يذكر الإمام الذهبي أنه رواها عن الزنجاني ، ولم أقف على مَن وثَّق الزنجاني في حال ثبوت رواية الذهبي عنه لهذه الرسالة

٢– وكيف تصدَّق مثل هذه الخرافة وهو – أي إمام الحرمين – الذي قيل فيه :

(أبداً على طرف اللسان جوابه ** فكأنما هي دفعة من صيِّب

يغدو مساجله بعزة صافح ** ويروح معترفاً بذلة مذنب)

طبقات الشافعية الكبرى ٥ / ١٦٥

وقد أجاب إمام الحرمين عن مثل هذه الشبهة بكلام نفيس فقال :

(فإن قال قائل : فما بال إطلاق الخلق إلى الإشارة نحو السماء بالدعوات ؟ وربما عضدوا سؤالهم ذلك الحديث المشهور في السوداء التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ، بل قرَّرها وتقريره صلى الله عليه وسلم نازل منزلة صريح لفظه.

الجواب عن ذلك أن نقول : أما إشارة الداعين في دعواهم ، فلا مستروح فيه. فإنا لا نمنع أن يكون العرش وجْهة قبلة للدعوات وجهة مثبتة لها شرعاً ، وهذا كما أن البيت المحرم قبلة للطواف

ثم لم يدل استقبال جهة البيت في أصل العبادات بعد الإيمان على تثبيت المعبود بجهة استقبال المصلين ، وكذلك السجود يتخصَّص بجهة مخصوصة مع الاتفاق على استحالة كون القديم مختصاً بجهة السجود ، وإنما ذلك بجهة لأن الشرع ورد بتخصيص بعض العبادات ببعض الأماكن كتخصيص الاعتكاف بالمساجد ، وتخصيص المناسك في الحج والعمرة ببقاع متعينة وكما خصَّص الشرع بعض العبادات ببعض الأماكن ، فكذلك خصَّص بعضها باستقبال بعض الجهات.

ثم نقول : هذا لو ساعدناكم على الإطباق على الإشارة ؛ وليس الأمر كما تظنون فإن المعول فيما يدعي من الخلاف والإجماع على قول العلماء ، وهم أهل الحل والعقد ولا يستمر للسائل ادَّعاء إجماعهم فعلاً ولا قولاً ، وإنما يتشبث السائل بعادات لو بحثنا عنها ، لاستندت إلى العوام ، فكيف وقد روى في صحيح الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أعربياً ، رافعاً يديه نحو السماء ، مبالغاً في رفعهما فزجره عن ذلك . وكان صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حيال صدره كاستطعام المسكين "أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٨ / ٦٣" هكذا قاله ابن عباس ، ووائل بن حجر ، وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم من نقلة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بطل ما قالوه من كل وجه)

الشامل في أصول الدين ص٣٢٦

٣- أما من حيث المتن ؛ إن السادة الأشاعرة لا ينفون علوَّ الله على خلقه ، وفي هذا تألٍّ على الإمام وتقوُّل عليه ، فالسادة الأشاعرة يثبتون علو الله على خلقه لكنهم ينفون أن يكون هذا العلو حسياً

كيف لا ؟! وهم الذين يصرحون بعلو الله على خلقه في ركوعهم وسجودهم ؟!

قال الإمام القشيري (٤٦٥هـ) :

(فالرب موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزَّه عن الكون في المكان وعن المحاذاة)

إتحاف السادة المتقين ٢ / ١٠٨

قلت : فهم الذين يؤمنون أن الله في السماء كما وصف نفسه بلا كيف ولا حد ؛ أي من طريق الصفة لا من طريق الجهة ... فافهم !!

ونبرّأ السلف الصالح من أساليب المغالطة التي يعتمدها القوم لإيهام القراء بأمور وهمية لا وجود لروائح لها ضمن اعتقاد أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم

ص٤٥٩ أثر سليمان بن طرخان التيمي "١٤٣هـ" (الله في السماء)

ضعيف ؛ ضمرة بن ربيعة

(قال الساجي : صدوق يهم عنده مناكير ، أخرج له الترمذي حديثاً وقال : لا يتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث)

تهذيب التهذيب ٢ / ٢٣٠

صدقة بن يزيد

(قال أحمد : حديثه ضعيف وهو ضعيف ، قال البخاري : منكر الحديث)

العلل ومعرفة الرجال ص٥٥١ رقم ١٣١٣

الضعفاء للعقيلي ٣ / ١١٤ رقم ٧٤١

(قال ابن حبان : كان ممن يحدّث عن الثقات بالأشياء المعضلات على قلة روايته لا يجوز الاشتغال بحديثه عند الاحتجاج به)

المجروحين ١ / ٤٧٣ رقم ٤٩١

(قال ابن عدي : هو إلى الضعف أقرب)

المغني في الضعفاء ١ / ٤٤١ رقم ٢٨٧٨

سير أعلام النبلاء ٧ / ٥٨

ص٤٧٣ أثر وائل بن داود التيمي عن كلام الله (مشافهة مراراً)

لا يثبت ؛ خلف بن خليفة بن صاعد بن برام الأشجعي

(صدوق اختلط في الآخر) قلت : ولا أعلم له متابعات وشواهد

تقريب التهذيب ص٢٩٩ رقم ١٧٤١

(قال رجل لسفيان بن عيينة : عندنا رجل يقال له : خلف بن خليفة زعم أنه رأى عمرو بن حريث ، فقال ابن عيينة : كذب لعله رأى جعفر بن عمرو بن حريث ، قال أحمد : ما هو عندي إلا شبِّه عليه

قال يحيى بن معين والنسائي : ليس به بأس، قال عبد الخالق : صدوق ، قال محمد بن عبد الله بن عمار : لا بأس به ولم يكن صاحب حديث ، قال أبو حاتم : صدوق ، قال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، ولا أبرئه من أن يخطئ في بعض الأحايين في بعض رواياته)

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٨ / ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨

تهذيب التهذيب ١ / ٥٤٧

وفي سند رواية ابن أبي حاتم الرازي القاسم بن يمان لم أقف له على ترجمة

خامساً : استدلالات لا حجة فيها :

ص٨٩ أثر عمر (إنما الأمر هاهنا ، وأشار بيده إلى السماء)

١- في سنده (عبد الله بن محمد ومحمد بن شبل) لم أقف على ترجمتهما

٢- لا حجة فيه على ما يفيد العلو الحسي لله جل جلاله "تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً" ، بل كل ما يُفهَم منه أن الله قد قضى الأمر في السماء (إنما الأمر هاهنا) ، وهذا مصداق لقول الله جل جلاله (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا) فصلت ١٢ وقوله أيضاً (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) غافر ١٥ ، ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إذا قضى الله الأمر في السماء ...) صحيح البخاري ٤٥٢٢

ص٩٠ أثر ابن عباس (أشار بيده إلى عينيه عند قوله تعالى "تجري بأعيننا")

١- في سنده (علي بن صدقة) وقد ذكر الناقد أنه لم يجد له ترجمة في نفس الصفحة

٢- لا حجة فيه على ما يريد الناقد أن يثبته ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(والذي يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة من **إثبات العين له صفة لا من حيث الحدقة** أولى وبالله التوفيق)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٩٧ - الأزهرية

٣- الثابت عن الصحابي الجليل ابن عباس (٦٨هـ) :

(نؤمن بالمحكم وندين به ، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به ، وهو من عند الله كله)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ٢٢٦

وقال أيضاً :

(إن اليهود والنصارى وصفوا الرب عز وجل فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم "وما قدروا الله حق قدره" ثم بيّن للناس عظمته فقال "والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون" **فجعل وصفهم ذلك شركاً**)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣١٩ - الأزهرية

ص٩١ أثر زين العابدين علي بن الحسين ٩٤هـ (إن الصدقة تقع في يد الله)

١- في سنده (عثمان بن عبد الملك المكي. يقال له : مستقيم بن عبد الملك)

(قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل : ..... حديثه ليس بذاك ، قال يحي بن معين : حديثه ليس به بأس ، قال أبو حاتم : منكر الحديث ، ذكره ابن حبان في الثقات)

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٩ / ٤٣٥ رقم ٣٨٤٢

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٤٨ رقم ٥٥٣٨

المغني في الضعفاء ١ / ٦٠٥ رقم ٤٠٤١

تهذيب التهذيب ٣ / ٧٠

(لين الحديث)

تقريب التهذيب ص٦٦٦ رقم ٤٥٣٠

(ضعفه ابن المديني)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤ / ٩٥ رقم ٨٤٥١

٢- لا حجة في هذا الأثر على ما يريد الناقد أن يثبته ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(ووقع ذكر اليد في القرآن والحديث مضافًا إلى الله تعالى، واتفق أهل السنة والجماعة على أنه ليس المراد باليد الجارحة التي هي من صفات المحدثات ، وأثبتوا ما جاء من ذلك وآمنوا به ؛ فمنهم من وقف ولم يتأول ، ومنهم من حمل كل لفظ منها على المعنى الذي ظهر له ، وهكذا عملوا في جميع ما جاء من أمثال ذلك)

هدي الساري ص٢١٩

٣- ومن التنزيه المنقول عن زين العابدين (٩٥) قوله :

(أنت الله الذي لا يحويك مكان ... أنت الله الذي لا تحد فتكون محدوداً)

إتحاف السادة المتقين ٤ / ٣٨٠ (عن الصحيفة السجادية)

ص٩٤ أثر حماد بن زيد ١٧٩هـ لما سُئل عن النزول قال (حق كل ذلك كيف شاء الله) وكذلك أثر (مثل الجهمية ...) وكذلك أثر (فلا رب لكم)

١- لا حجة فيه على النزول الحسي الحقيقي أو الحركة ، فقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) :

(ومراده - أي حماد بن زيد - **أن نزوله ليس هو انتقالاً من مكان إلى مكان كنزول المخلوقين)**

فتح الباري لابن رجب ٣ / ١١٧ - الغرباء الأثرية

تفسير ابن رجب الحنبلي ١ / ١٤٢ - العاصمة

٢- الثابت عن حماد بن زيد أيضاً تأويل النزول بالإقبال

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٢١ - الأزهرية

ص٩٥ أثر الفضيل بن عياض (... قال الجهمي : أنا أكفر برب يزول من مكانه ، فقل : أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء)

ص٩٧ أثر يحيى بن معين إذا قال الجهمي (أنا أكفر برب ينزل) فقل له (أنا أؤمن برب يفعل ما يريد)

١- الأثرين لا حجة فيهما على ما يريده الناقد ؛ لأن الجهمية نفت صفة النزول بالكلام ، فأراد الفضيل بن عياض ويحي بن معين أن يحسما مادة الكلام في النزول

٢- قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) "عند قول الأوزاعي في حديث النزول : يفعل الله ما يشاء" :

(فقد تأوَّل ذلك على أنه فعل من أفعال الله يظهر منه بقدرته)

إبطال التأويلات لأخبار الصفات ١ / ٥٧

ص٩٦ أثر الشافعي (لله تبارك وتعالى أسماء وصفات ...)

١- لا حجة في هذا الكلام لما يريد الناقد بل هو مخالف لمراده. وإليك البيان :

قال ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

(لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أمته .....

فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مما لا يُدرَك بالفكر والروية ...)

طبقات الحنابلة ٢ / ٢٦٨ - ٢٧٠

قلت : فتأمل التنزيه الرائع والتفويض الذي يخبرنا عنه ناصر الحديث الإمام الشافعي ، وتأمل كيف ينقل الناقد الروايات دون فهم ، حتى نقل ما يهدم مذهبه الذي ينص على أن معاني نصوص الصفات نعقل معناها !!

وقال الإمام الشافعي أيضاً "عند تقريره للصفات" :

(**وأنه** - أي الحق تبارك وتعالى - **ليس بأعور**)

طبقات الحنابلة ٢ / ٢٦٩

قلت : فلم يفهم الإمام من الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحيهما (... وإن ربكم ليس بأعور) أن لله عينين كما يزعم القوم ، وهذا دليل على أنه - أي الإمام الشافعي - لم يكن يخالف الأثر ولا يتجاوزه باجتهادات وفلسفات باطلة ، فيصف الله بما وصف نفسه ويعتمد التوقيف

٢- كما أن الثابت عن ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) قوله :

(ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها ولا نعترض عليها بكيف **ولا يسع عالماً فيما ثبت من السنة إلا التسليم** لأن الله قد فرض اتباعها)

الاستذكار لابن عبد البر ٨ / ١٥٢ رقم ١٠٨٤٢ - دار قتيبة / دار الوعي

وقال أيضاً :

(آمنت بما جاء عن الله **على مراد الله** وبما جاء عن رسول الله **على مراد رسول الله**)

(آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك **وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك**)

البرهان المؤيد ص٢٤

دفع شبه من شبَّه وتمرَّد للتقي الحصني بتحقيق الكوثري ص٣١ – ٥٦

وقال أيضاً :

(**واعلموا أن الباري لا مكان له** والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغير في ذاته ولا التبديل في صفاته ، ولأن ما له مكان وله تحت فيكون متناهي الذات محدوداً والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك ..... ويجب أن يعتقد في صفة الباري ما ذكرناه وأنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان **منزهاً عن الحدود والنهايات مستغنٍ عن المكان والجهات ليس كمثله شيء ويتخلص من المهالك** ...)

الفقه الأكبر المنسوب للشافعي ص١١

إتحاف السادة المتقين ٤ / ٢٤

وقال أيضاً :

(واعلموا أن العالم اسم لجميع ما سوى الله من عرشه وكرسيه وسمائه وأرضه وحيوانه وجماده ناطقاً ساكتاً محدث كائن بعد أن لم يكن ...)

الفقه الأكبر المنسوب للشافعي ص٥

وعنه أيضاً :

(من قال أو اعتقد أنَّ الله جالسٌ على العرش فهو كافر)

نجم المهتدي ورجمُ المعتدي ص٥٥١

قال الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) :

(وذكر الشافعي في خطبة كتاب الرسالة **أنه لا يبلغ الواصفون كنه عظمته** وأنه كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه ، **وهذا يدل على أنه كان يعتقد أنه تعالى ليس بجسم ولا في جهة** وإلا لبلغ الواصفون كنه عظمته)

مناقب الشافعي ص١١٤

ص٩٧ وص١٨٧ وص٥٢٩ أثر أحمد في حديث النزول

(قال حنبل بن إسحاق : قلت لأبي عبد الله : ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا ؟ قال : نعم . قلت : نزوله بعلمه أم بماذا ؟ قال : فقال لي : اسكت عن هذا ، وغضب غضباً شديداً ، وقال : مالك ولهذا ؟ أمض الحديث كما روي بلا كيف)

١- ولنُعرِض عن أمانة الناقد العلمية المعهودة عنه ، ولنَعرِض الرواية الأصلية كاملة :

(سأل حنبل بن إسحاق أبا عبد الله الإمام أحمد بن حنبل عن حديث "إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ؟" نزوله بعلمه أم بماذا ؟ فقال الإمام أحمد : اسكت عن هذا مالك ولهذا .. امض الحديث على ما روي **بلا كيف ولا حد** إنما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب

قال الله عز وجل "ولا تضربوا لله الأمثال"

ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته أحاط بكل شيء علماً لا يبلغ قدره واصف ولا ينأى عنه هرب هارب)

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٤٥٣ رقم ٧٧٧

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) "عند تأويل أحمد" :

(ومراده أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوقين **بل هو نزول يليق بقدرته وعظمته** وعلمه المحيط بكل شيء ...)

فتح الباري لابن رجب ٣ / ١١٧ - الغرباء الأثرية

تفسير ابن رجب الحنبلي ١ / ١٤٢ - العاصمة

والعجيب أن أحدهم أورد رواية النزول كاملة في معرض رده على السادة الأشاعرة ولكن لا أدري إن جهلها أو تجاهلها

لا دفاعاً عن الألباني فحسب بل دفاعاً عن السلفية ص٣٨

٢- وسُئِل الإمام أحمد عن الاستواء فقال : استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر

البرهان المؤيد ص٢٤

ونقل صاحب الخصال عن الإمام أحمد أنه قال بتكفير من قال الله جسم لا كالأجسام

تشنيف المسامع ٤ / ٨٥

قال الإمام القرافي (٦٨٤هـ) :

(وفي تكفير الحشوية بذلك قولان : والصحيح عدم التكفير ...)

أنوار البروق في أنواء الفروق ٤ / ٢٦٥ (الفرق الحادي والأربعون والمئتان بين قاعدة المعصية التي هي كفر وقاعدة ما ليس بكفر)

ص١٠٢ قول الإمام الترمذي في الصفات (... ولا يتوهم ، ولا يقال كيف ؟ ...)

ص١١٤ قول إمام اللغة أبو منصور الأزهري (فنحن نؤمن بها ولا نكيف صفتها)

ص١١٥ قول الإمام محمد بن خفيف (لا تدخل أوصافة تحت التكييف والتشبيه .... واسم الكيفية عن ذلك ساقط)

١- عبارات صريحة في نفي الكيفية وسقوطها عن صفات الله جل جلاله .. فتأمل !!

٢- إن اللغوي الأزهري من أهل التنزيه ، ولا نصيب لمجهود الناقد في نقل جزء من إقرارات الأزهري وتحريف معناها ، فقد قال "عند تفسيره لعلو الله جل جلاله" :

(وَقَالَ اللَّيْث : الله تبَارك وتَعالى هُوَ الْعلي المتعالي العالي الْأَعْلَى ذُو الْعَلَاء والعُلاَ وَالمعَالي ، تَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً

وَهُوَ الْأَعْلَى سُبْحَانَهُ بِمَعْنى العالي ، قَالَ: وَتَفْسِير "تَعَالَى" : جلّ عَن كل ثَنَاء ، فَهُوَ أعظم وأجلّ وَأَعْلَى مِمَّا يُثنَى عَلَيْهِ، لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ

قلت : وَتَفْسِير هَذِه الصِّفَات لله يقرب بَعْضهَا من بعض، فالعليّ الشريف فعيل من علا يَعْلُو ، وَهُوَ بِمَعْنى العالي وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقه شَيْء

وَيُقَال : هُوَ الَّذِي علا الْخلق فقهرهم بقدرته

وأمّا المتعالي فَهُوَ الَّذِي جَلّ عَن إفْك المفترين ، وتنزّه عَن وساوس المتحيّرين. وَقد يكون المتعالي بِمَعْنى العالي . والأعلى هُوَ الله الَّذِي هُوَ أَعلَى من كل عالٍ.

واسْمه "الْأَعْلَى" أَي صفته أَعلَى الصِّفَات

والْعَلَاء الشّرف. وَذُو الْعَلَاء صَاحب الصِّفَات العُلاَ ، والعُلاَ جمع العُلْيا أَي جمع الصّفة الْعليا والكلمة الْعليا. وَيكون العُلاَ جمع الِاسْم الْأَعْلَى. وَصفَة الله الْعليا : شَهَادَة أَن لَا إِله إلاّ الله ، فَهَذِهِ أَعلَى الصِّفَات وَلَا يُوصف بهَا غير الله وَحده لَا شريك لَهُ. وَلم يزل الله عليّاً عَالِيا متعالياً ، تَعَالَى الله عَن إلحاد الْمُلْحِدِينَ وَهُوَ الْعلي الْعَظِيم. وَيُقَال رجل عليّ أَي شرِيف ، وَجمعه عِلْية يُقَال : فلَان من عِلْية النَّاس أَي من أَشْرَافهم وَمثله صَبِيّ وصِبْية..)

تهذيب اللغة ٣ / ١٨٦

وقال أيضاً "في تنزيه الله عن الشكل والنظير" :

(وقوله : "سبحانك" معناه : أسبحك أي أنزهك عما يقول الظالمون فيك ، وسبحان مصدر أريد به الفعل ، قال الله عز و جل : "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون" أي سبحوا الله حين تمسون ، أي صلوا له ، وقوله في الركوع : "سبحان ربي العظيم" أي سبح ربي العظيم

وتنزيه الله سبحانه وتعالى تبعيده من الشرك وهو بمعنى التسبيح ، ومن صفات الله تعالى سبوح قدوس ، والسبوح : **البعيد عن الشكل والنظير والضد والنديد** ، وقيل سبحان الله أي براءة الله ، كأنه يقول أبرئ الله عز وجل عن كل ضد وند)

٣- أما الإمام محمد بن خفيف الشيرازي الذي يستشهد به الناقد فقد أخذ عن إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري وكان من أعيان تلامذته ، وله رحلة رائعة عبارة عن قصة كلها سجع ذكرها ضياء الدين عمر الرازي في آخر كتابه غاية المرام في علم الكلام ، بدأها بقوله :

«دعاني أرب ، ولوع ألب ، وشوق غلب ، وطلب يا له من طلب ، أن أحرك نحو البصرة ركابي ، في عنفوان شبابي ، لكثرة ما بلغني ، على لسان البدوي والحضري ، من فضائل شيخنا أبي الحسن الأشعري ، لأستسعد بلقاء ذلك الوحيد ، وأستفيد مما فتح الله تعالى عليه من ينابيع التوحيد...». ويكمل ابن خفيف هذه القصة ، فيقول ما معناه : «وصلت إلى البصرة التي وجدتها على ما وصفت لي من الجمال والنظافة ورحابة صدور أهلها ، وفيما أنا أدور وأبحث عمن يرشدني إلى الشيخ أبي الحسن ، التقيت رجلاً بهي المنظر بين جماعة من أصحابه ، فارتحت إليه وعزمت على أن أكلمه فسلمت عليه ورد علي السلام وكلَّمني بأجزل الكلام وألطفه ، فسألته عن الإمام الأشعري فقال لي : وماذا تريد منه ، قلت : قد بلغني ذكره وعلمه فتقت لأن ألقاه وأستفيد من علمه ، قال : عد إليَّ غداً باكراً إلى هذا الموضع فأدلك عليه ، فأتيت في اليوم التالي فلقيته في المكان عينه ينتظرني فسلم عليَّ ورددت عليه ، ثم مضى وأنا أتبعه حتى دخل داراً قد حضر فيها جماعة من الناس قد تسارعوا إلى الباب يستقبلونه بالترحاب والتعظيم ، وقدموه إلى صدر المجلس ينتظرون حتى بدأ الشيخ يتكلم بلسان يفتق الشعور ويفلق الصخور ، وألفاظ أرق من أديم الهواء وأعذب من زلال الماء ، ومعانٍ ذات بيان ، فكان إذا أوجز أعجز ، وإذا أسهب أذهب ، فلم يدع مشكلة إلا أزالها ولا فساداً إلا أصلحه ، وسط حيرة الحاضرين وتعجبهم من كلامه ، عندها سألت بعض الحاضرين : من هذا الذي كان يتكلم بكلام لم أسمع مثله. قال : هو الباز الأشهب ناصر الحق وقامع البدعة ، إمام الأمة وقوام الملة أبو الحسن الأشعري ، فسرحت وأمعنت النظر في توسمه وتوقد جذوته ، فإذا به يخرج من المجلس فتبعته فنظر إليَّ وقال : يا فتى كيف وجدت أبا الحسن ، فقلت:

ومسْجل مثل حد السيف منصلتٍ تَزِلُّ عن غربه الألباب والفكرُ

طعنت بالحجة الغراء جيلهُمُ ورمح غيرك منه العي والحضرُ

لا قام ضدك ولا قعد جدك ، ولا فض فوك ولا لحقك من يقفوك ، فوالذي سمك السماء وعلم ءادم الأسماء ، لقد أبديت اليد البيضاء ، وسكنت الضوضاء وكشفت الغماء ، ولحنت الدهماء وقطعت الأحشاء وقمعت البدع والأهواء ، بيد أنه قد بقي لي سؤال ، فقال : اذكره ، قلت : رأيت الأمر لم يجر على النظام ، لأنك لم

تفتتح كلامك بالدليل ، فقال : إني في الابتداء لا أذكر الدليل ولا أشتغل بالتعليل ، حتى إذا ذكر الخصم ضلالته وأفرد شبهته ، أنص حينها على الجواب بالدليل والبرهان».

قال ابن خفيف : «فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه ، ونافست في مصافاته لنفائس صفاته ، ولبثت معه برهة أستفيد منه في كل يوم نزهة ، وأدرأ عن نفسي للمعتزلة شبهة. ثم ألفيت مع علو درجته وتفاقم مرتبته ، يقوم بتثقيف أوده مِن كَسْب يده ، من اتخاذ تجارة العقاقير معيشة ، والاكتفاء بها عيشة ، اتقاء للشبهات وإبقاء على الشهوات ، رضى بالكفاف وإيثاراً للعفاف)

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ١٥٩ – ١٦٣

ومن أقواله :

(الإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب) وكان من أرباب الأحوال

طبقات الصوفية ص٣٤٧ – ٣٥٠

٤– والإمام ابن تيمية رغم كل إقراراته يعود فيتناقض مع نفسه وينفي الكيفية عن صفات الله فيقول :

(كذلك قال الله تعالى "وجاء ربك والملك صفاً صفاً" ..... فهو جاء سيجيء ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه ...) وينقل عن يوسف بن عدي ويحي بن معين نفي الحد عن صفات الله

الأسماء والصفات ٢ / ٤٤ – ٥٠

ص١١٥ نصّ الكلاباذي (أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة موصوف بها .....)

١– الحقيقة اسم لكل لفظ هو موضوع في الأصل لشيء معلوم مأخوذ من قولك : حق يحق فهو حق وحاق وحقيق ، ولهذا يسمى أصلاً أيضاً لأنه أصل فيما هو موضوع له

أصول السرخسي ١ / ١٧٠

قال الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) :

(وتسمى حقيقة الشيء المخبر عنه تأويلاً لأن الأمر ينتهي إليها ومنه قوله "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق" الأعراف ٥٣)

وقال أيضاً :

(فالتأويل في كتاب الله سبحانه وتعالى المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول إليه اللفظ إليه وهي الحقيقة الموجودة في الخارج)

الصواعق المرسلة ١ / ١٧٦ - ١٧٧

قلت : إذاً فهي تطلق على ذات الشيء ، وطالما أن صفات الله قائمة بذاته وذاته موجودة على الحقيقة فكانت صفاته أيضاً موجودة على الحقيقة

وبعبارة أخرى عبارة (على الحقيقة) تثبت وجود الصفة لا تمثيلها أو تحديدها ، ولو كان المقصود بكلمة على الحقيقة التمثيل أو التحديد لانهدم قانون (ليس كمثله شيء)

٢- ولو أن الناقد الأمين أكمل كلام الإمام الكلاباذي لما وقع في ورطة التدليس ، وإليك كلام الإمام الكلاباذي كاملاً دون تحريف ولا تزييف حيث قال :

(أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف من العلم والقدرة والقوة والعز والحلم والحكمة والكبرياء والجبروت والقدم والحياة والإرادة والمشيئة والكلام

وأنها ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر كما أن ذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر

وأن له سمعاً وبصراً ووجهاً ويداً على الحقيقة ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه

وأجمعوا أنها صفات لله **وليس بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء**

وأجمعوا أنها **ليست هي هو ولا غيره وليس معنى إثباتها أنه محتاج إليها وأنه يفعل الأشياء بها** ولكن معناها نفي أضدادها وإثباتها في أنفسها وأنها قائمات به)

التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٤

وقال أيضاً ص١٣ : (اجتمعت الصوفية على أن الله ..... **ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عرض لا اجتماع له ولا افتراق لا يتحرك ولا يسكن ولا ينقص ولا يزداد ليس بذي أبعاض ولا**

أجزاء ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الإشارات **لا يحويه مكان ولا يجري عله زمان لا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن لا تحيط به الأفكار** ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الأبصار)

وقال أيضاً ص١٦ : (واختلفوا في الإتيان والمجيء والنزول فقال الجمهور منهم إنها صفات له كما يليق به **ولا يعبر عنها بأكثر من التلاوة والرواية ويجب الإيمان بها ولا يجب البحث عنها ..... وأوَّلها بعضهم فقال معنى الإتيان منه إيصاله ما يريد إليه ونزوله إلى الشيء إقباله عليه وقربه كرامته وبعده إهانته وعلى هذا جميع هذه الصفات المتشابهة)**

وقال أيضاً ص١٨ : **(وأجمع الجمهور منهم على أن كلام الله تعالى ليس بحروف ولا صوت ولا هجاء** بل الحروف والصوت والهجاء دلالات على الكلام وأنها لذوي الآلات والجوارح التي هي اللهوات والشفاه والألسنة **والله تعالى ليس بذي جارحة ولا محتاج إلى آلة فليس كلامه بحروف ولا صوت**

وقال بعض كبرائهم في الكلام له **من تكلم بالحروف فهو معلول ومن كان كلامه باعتقاب فهو مضطر)**

قلت : وهذا غيض من فيض ... سبحان الله !!

أين عقل الناقد من كل هذه الإقرارات التي بتر منها جملة ثم حرَّف المراد ؟! وما نفع هذا التدليس في النقل أمام كل هذه التصريحات والإقرارات ؟!

ص١٢٠ ما نقله الناقد من قول القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي في شرح رسالة القيرواني (" وجاء ربك والملك صفاً صفاً" ، فأثبت نفسه جائياً ، ولا معنى لقول من يقول : إن المراد به : جاء أمر ربك ..... ولكن ليس إذا استحال عليه ذلك وجب صرف الكلام عن حقيقته ، لأجل أن القضاء على الغائب بمجرد الشاهد لا يجب عندنا ولا عند مسلم فبطل ما قالوه)

١- ولنعرض - كالعادة - عن أمانة الناقد العلمية ، فأجزاء العبارة المنقولة تهدم ما يرمي إليه ، وإليك أخي القارئ كلام الإمام كاملاً بدون تزوير ولا تلبيس

قال القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي (٤١٩هـ) :

(فأثبت نفسه جائياً ، ولا معنى لقول من يقول: إن المراد به : جاء أمر ربك ؛ لأن ذلك إضمار في الخطاب يزيله عن مفهومه ، ويحيله عن ظاهره ، لا حاجة بنا إليه ، **وليس المجيء الذي أضافه إلى نفسه على سبيل ما يكون منا من الانتقال والتحرك والزوال وتفريغ الأماكن وشغلها ؛ لأن ذلك من صفات الأجسام ، والباري سبحانه وتعالى لا يجوز عليه ذلك** ، ولكن ليس إذا استحال عليه ذلك وجب صرف الكلام عن حقيقته لأجل أن القضاء على الغائب بمجرد الشاهد لا يجب عندنا ولا عند مسلم فبطل ما قالوه)

قلت : فتأمل يا أخي أين شرَّق القاضي البغدادي وكيف غرَّب الناقد ؟!

فالقاضي البغدادي يرى (من جهة) أن التأويل لا حاجة إليه في هذه الآية وذكر حجته ، (ومن جهة أخرى) يؤكد أن مجيء الله ليس من طريق الانتقال والتحرك والزوال وتفريغ الأماكن وشغلها لأن ذلك من صفات الأجسام

وبعبارة أخرى فإن القاضي قد اختار عند صفة المجيء ((مسلك التفويض)) الذي هو أحد مسلكي السادة الأشاعرة ورأى أن تأويل هذه الصفة لا حاجة له لأن من شروط التأويل كما قررنا سابقاً أن تكون ثمة حاجة إليه وإلا فهو مردود

وللإمام حجته ودليله الذي نحترمه ، كذلك لباقي العلماء الذين يرون المسلك الثاني – أعني تأويل صفة المجيء – حجتهم ودليلهم. وقد نقلنا فيما مضى تأويل بعض السلف لصفة النزول. فليراجع

وأنت أخبرني أيها القارئ : إذا لم نكن نستأمن الناقد على النقل عن أحد العلماء فكيف نستأمنه على تلقي عقائدنا ؟!

وليت لو أن الناقد أخبرنا ما حكم من يدلِّس في النقولات على الأئمة ويريد أن يفهم المسلمين من كلامهم ما لم يقصدوه ولا هدفوا له ؟!

حسبي الله ونعم الوكيل ولا حول وإلا قوة إلا بالله العظيم ... اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها بجاه حبيبك المصطفى وبجاه كل من له جاه عندك يا أرحم الراحمين

٢– لقد كان القاضي البغدادي رحمه الله تعالى أشعرياً ، يدل على ذلك دراسته على كبير الأشاعرة في وقته ألا وهو سيف السنة القاضي أبو بكر الباقلاني ، وقد كان يعظِّمه ويثني عليه حتى قال عنه (هو الذي فتح أفواهنا وجعلنا نتكلم) كما في الديباج المذهب ٢ / ٢٢ ، بل يصرَّح في عدَّة مواطن من شرحه بقوله ص ١٤٠–

٢٥٦- ٣٥٩ (قال: شيخنا ، واختار شيخنا) ، ونقل عنه في شرح الرسالة من كتبه. ص ١٥٦، ١٦٢، ١٧١. قال القاضي البغدادي في شرح الرسالة ص ٢٤٨ :

(فأمَّا حجج العقول : فقد استدلَّ أصحابنا المتكلمون بأن قالوا ..)

وقد بنى القاضي استدلالاته في الصفات على دليل الأعراض فنفى قيام الحوادث بذات الله سبحانه ، حيث قال ص ١٩١ :

(ولا يجوز أن تكون ذات القديم محلاً للحوادث)

والمتأمل في شرحه يجد أنه يسلك طريق التفويض في إثبات صفات الباري عز وجل ، وقد صرَّح القاضي بنفي الكيفية وتوابعها عن الحق تبارك وتعالى حيث قال :

(**ولا يجوز أن يثبت له كيفية** لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه **ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام**)

شرحه على عقيدة مالك الصغير ص٢٨

أسأل الله أن أكون قد فعلت خيراً في تبرئتي لمولانا القاضي البغدادي رحمه الله تعالى من بدع التشبيه وشبهاته والله يتولانا برحمته والعاقبة للمتقين

ص١٢٧ قول الإمام ابن عبد البر في التمهيد (حق الكلام أن يحمل على حقيقته ..... والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه)

١- قال الإمام أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) "شارحاً معاني الاستواء على سبعة أقوال منها" :

(الرابع : أن المعنى تحول أمره إلى السماء واستقر فيها ، والاستواء هو الاستقرار ، فيكون ذلك على حذف مضاف : أي استوى أمره إلى السماء : أي استقر ، لأن أوامره وقضاياه تنزل إلى الأرض من السماء ، قاله الحسن البصري)

البحر المحيط ١ / ٢٨٠ - ٢٨١

٢- والإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) مخالف للقوم في القواعد ، وإليك البيان :

قال "عند حديثه عن النزول" :

(وقد قالت فرقة منتسبة إلى السنة إنه ينزل بذاته ! وهذا قول مهجور لأنه تعالى ذكره ليس بمحل للحركات ولا فيه شيء من علامات المخلوقات)

الاستذكار ٨ / ١٥٣ رقم ١٠٨٤٦ - دار قتيبة / دار الوعي

وقال في التمهيد ٧ / ١٤٣ :

(وأما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث (ينزل تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا) فقد أكثر الناس التنازع فيه والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون :ينزل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون ، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة)

ثم قال (وقد روى محمد بن علي الجبلي وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال حدثنا جامع بن سوادة بمصر قال حدثنا مطرف عن مالك بن أنس : أنه سئل عن الحديث (إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا) فقال مالك :يتنزل أمره .وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك رحمه الله على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة. وذلك من أمره أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت والله أعلم)

وقال أيضاً ٧ / ١٣٧ :

(وقد قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وليس مجيئة حركة ولا زوالاً ولا انتقالاً لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً ، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا بجوهر لم يجب أن يكون مجيئة حركة ولا نقلة ولو اعتبرت ذلك بقولهم جاءت فلاناً قيامته وجاءه الموت وجاءه المرض وشبه ذلك مما هو موجود نازل به ولا مجيء لبان لك ،وبالله العصمة والتوفيق)

وقال أيضاً ٧ / ١٥٠ :

(وقد كان مالك ينكر على من حدَّث بمثل هذه الأحاديث ذكره أصبغ وعيسى عن ابن القاسم قال :سألت مالكاً عمن يحدث الحديث (إن الله خلق آدم على صورته) والحديث (إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة) وأنه يدخل في النار يده حتى يخرج من أراد ، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً ، ونهى أن يحدث به أحداً ، وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا)

٣- قال القاضي عياض (٥٤٤هـ) :

(..رحم الله الإمام مالكاً فلقد كره التحديث بمثل هذه الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى.. والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة، ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصَّها وصريحها..فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن ومنهم من كفر)

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٥٤٢

ص١٤٣ قول الإمام القاري (... فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام)

١- هذا ما عليه السادة الأشاعرة إذ أنهم يشترطون لصرف اللفظ عن ظاهره وجود دليل لغوي أو شرعي سواء أكان متصلاً أو منفصلاً. قال الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) :

(إذا كان لفظ الآية والخبر ظاهراً في معنى **فإنما يجوز لنا ترك ذلك الظاهر بدليل منفصل** ، وإلا لخرج الكلام عن أن يكون مفيداً ولخرج القرآن عن أن يكون حجة) ثم قال : (**صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح لا يجوز إلا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع**)

أساس التقديس ص٢٣٤ - ٢٣٥

ونبيِّن ذلك من كلام الشيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ) لما صرَّح :

(ينبغي أن يعلم أن التأويل عند أهل السنة ليس مذموماً كله **بل المذموم منه مالم يدل عليه دليل** ، وما دل عليه دليل يسمى تفسيراً سواء كان الدليل متصلاً بالنص أو منفصلاً عنه ، فصرف الدليل عن ظاهره يسمى تفسيراً ، **فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذموماً على الإطلاق**)

مجموع فتاواه ١ / ١٦٨

قلت : وهذا ينسف بالكلية كل ما صرَّحوا به من تقديس الظاهر والتمسك به وإبطال صرف اللفظ عن ظاهره ، وفيه التصريح بأن من الظاهر ما هو غير مراد قطعاً ، وفيه التذبذب في عدِّ بعض التأويل محموداً بعد أن كان تعطيلاً وطاغوتاً وتجهماً وإلحاداً ، وبعد أن كان المجاز غير موجود لا في الكتاب ولا في السنة

٢- وما أرى تعلق الناقد بنقولات مجملة من كلام الأئمة والإعراض عن صريح كلامهم إلا لحشو مؤلفه بأسماء أهل العلم والترويج لبضاعته ، فبئس تلك البضاعة التي تحمل في طياتها الكذب والتدليس والتزوير !!

قال الإمام ملا علي القاري (١٠١٤هـ) "عن مذهب أهل العلم في صفات الله " :

(**والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره** ، ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى ، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين)

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١ / ٢٦٠ – العلمية

وقال أيضاً :

(**اتفق السلف والخلف على تنزيه الله تعالى عن ظواهر المتشابهات المستحيلة على الله تعالى** ، ثم اختلفوا بعد فأمسك أكثر السلف عن الخوض في تعيين المراد من ذلك المتشابه ، وفوضوا علمه إلى الله تعالى ، وهذا أسلم لأن من أوَّل لم يأمن مِن أن يذكر معنى غير مراد له تعالى فيقع في ورطة التعيين وخطره ، وخاض أكثر الخلف في التأويل ، ولكن غير جازمين بأن هذا مراد الله تعالى من تلك النصوص ، وإنما قصدوا بذلك صرف العامة عن اعتقاد ظواهر المتشابه والرد على المبتدعة المتمسكين بأكثر تلك الظواهر الموافقة لاعتقاداتهم الباطلة. وقال الشافعي : لا يحل تفسير المتشابه إلا بسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر عن أحد من الصحابة ، أو إجماع العلماء)

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١ / ٣٥٤ – العلمية

قلت : فما نفع التشهي بانتشال العبارات المجملة والاجتهاد في فهم المراد منها أمام الكلام الواضح الصريح ؟!

ص١٧١ ما نقله الناقد عن الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان قوله (ونقرُّ بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقر عليه وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج) انتهى نقل الناقد

١- لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ... هذا الكلام تحريف لكلام الإمام الأعظم وافتراء عليه ، وإليك - أخي القارئ - النص كاملاً دون تحريف ولا تزوير ، وتصويب النص حسب المخطوط وما ذكره الإمام ملّا علي قاري في شرحه على الفقه الأكبر ، فتمام الكلام يهدم ما نقله الناقد من أساسه

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (١٥٠هـ) :

(ونقرُّ بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى **من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه** ، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج ، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين ، **ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)**

كتاب الوصية ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري ص٢

شرح الفقه الأكبر ص٦٢ - ٦٣

والعبارة على وضوحها التبست على الناقد ، وما هذا إلا لولعه في إثبات ما يريد ولو على حساب النص غفر الله لنا وله

٢- قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(وذهب أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إلى أن الله تعالى جل ثناؤه فعل في العرش فعلاً سماه استواء كما فعل في غيره فعلاً سماه رزقاً ونعمة أو غيرها من أفعاله. ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله "ثم استوى على العرش" وثم للتراخي ، والتراخي إنما يكون في الأفعال ، وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٨٠ - الأزهرية

البرهان في علوم القرآن ٢ / ٨٢

قال الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) :

(... فإنه يتضمن - أي الأثر - نسبة القعود على العرش لله عز وجل ، **وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه لله تعالى ، وهذا مما لم يرد ، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله عز وجل)**

مختصر العلو ص١٧

٣- العجيب أن أحد المقرِّظين لكتاب الناقد واسمه الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان عدَّ رسالة الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان من ضمن الكتب التي حذَّر منها العلماء حيث قال :

(في صحة نسبة الكتاب للإمام أبي حنيفة رحمه الله وقفة ، لأنه متضمِّن مسائل لم يكن الخوض فيها معروفاً في عصره ولا العصر الذي سبقه ، على أن عدداً غير قليل من مسائله يؤيِّدها ما تناثر في كتب الفقه والتراجم من نقول عن الإمام)

كتب حذر منها العلماء ٢ / ٢٩٢

وفي نفس الوقت يقول في تقريظه على كتاب الناقد ص٢٦ :

(... وحشد – أي الناقد – فيه نقولات تنبِّئ عن صبر في البحث ، وإدمان نظر ، وحسن اختيار ، **وشدة تتبع لتلكم الدرر والشذرات من كلام الأئمة الأعلام** ، فنظمها في هذا العقد المحكم المتين ، وزيَّنه بتلكم الفوائد الأصيلة ، وجاء بصياغة محرَّرة ، **وبتوثيق من مصادر معتبرة عن أعلام** ...)

قلت : سبحان الله !! هل فعلاً قرأ هذا الشيخ كتاب الناقد كاملاً ؟!

إن كان صادقاً فيكون إنسان متناقض يودُّ الانتصار لمذهب الغلو عند أنصاره لا البحث عن الحقيقة ، وإلا فإنه إنسان كذَّاب صاحب شهادة زور

ولا يقولَّن أحد بعد ذلك أن أمثال هؤلاء المقرِّظين هم من المنصفين

(سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) الزخرف ١٩

ص١٧٧ قول الإمام وكيع (ولا نقول فيها : مثل كذا ، ولا : كيف كذا)

ص١٨٠ قول الإمام سفيان بن عيينة (... فقراءته تفسيره ولا كيف ولا مثل)

١- هذا تفويض من الإمامين إذ نفيا الكيف والمثل عن صفات الله (هذا إن صح الأثر الأول)

٢- وثبت عن الإمام وكيع (١٦٩هـ) أيضاً قوله :

(أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعراً يحدِّثون بهذه الأحاديث **ولا يفسِّرون شيئاً**)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٣٣ – الأزهرية

وثبت عن الإمام سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) أيضاً قوله :

(كل ما وصف الله من نفسه في كتابه **فتفسيره تلاوته والسكوت عليه**)

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(وإنما أراد به والله أعلم فيما تفسيره يؤدي إلى تكييف ، وتكييفه يقتضي تشبيهاً له بخلقه في أوصاف الحدث)

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص٤٤

قلت : فأين في هذه الإقرارات أن السلف الصالح كانوا يعقلون معاني نصوص الصفات وهم أصلاً يمنعون تفسيرها ... فتأمل !!

ص١٨٦ أثر يحيى بن معين في النزول (صدِّق به ولا تصفه)

ص٥٢٣ أثر حماد بن سلمة (من رأيتموه ينكر هذا – أي النزول – فاتهموه)

الأثرين لا حجة بهما على شيء مما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية

ص١٩٣ قول الترمذي (فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسَّر أهل العلم..... وقالوا إن معنى اليد هاهنا القوة) سنن الترمذي ٣ / ٤٢

١– ذكرنا سابقاً أن أهل السنة والجماعة اختلفوا في تأويل الصفات فمنهم من عدَّ أصنافاً من التأويلات غير مقبولة فردُّوها ومنهم من ارتضاها كون المسألة اجتهادية إذ هي من فرعيات العقيدة ، والناقد – كما ذكرنا سابقاً في المأخذ الثالث – يعتمد نقولات فردية لتأييد دعواه دون أن يجمع كامل أقوال السلف في المسألة

٢– إن تأويل اليدين في قوله تعالى (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) ص٧٥ على القوة منعه أهل العلم لأنه لا يستقيم مع قواعد اللغة العربية

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) عند قول الله جل جلاله (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) ص : ٧٥

(فلا يجوز أن يحمل على الجارحة لأن الباري جل جلاله واحد لا يجوز عليه التبعيض ، ولا على القوة والملك والنعمة والصلة لأن الاشتراك يقع حينئذ بين وليه آدم وعدوه إبليس ، فيبطل ما ذكر من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصيص ، فلم يبق إلا أن يحملا على صفتين تعلقتا بخلق آدم تشريفاً له ، دون خلق إبليس تعلق القدرة بالمقدور ، لا من طريق المباشرة ، ولا من حيث المماسة ..... وقد روينا ذكر اليد في أخبار أخر إلا أن سياقها يدل على أن المراد بها الملك والقدرة والرحمة والنعمة ، أو جرى ذكرها صلة في الكلام فأما فيما قدمنا ذكره فإنه يوجب التفضيل ، والتفضيل إنما يحصل بالتخصيص ، فلم يجز حملها فيه على غير الصفة ، وكذلك في كل موضع جرى ذكرها على طريق التخصيص ، فإنه يقتضي تعلق الصفة التي تسمى بالسمع يداً بالكائن فيما خص بذكرها فيه تعلق الصفحة بمقتضاها ، ثم لا يكون في ذلك بطلان موضع تفضيل آدم عليه السلام على إبليس ، لأن التخصيص إذا وجد له في معنى دون إبليس لم يضر مشاركة غيره إياه في ذلك المعنى ، بعد أن لم يشاركه فيه إبليس والله أعلم)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٠٢ – ٣٠٣ – الأزهرية

قال الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) عند قول الله جل جلاله (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) المائدة ٦٤ :

(وأما المتكلمون فقالوا : اليد تذكر في اللغة على وجوه : .....

خامسها : شدة العناية والاختصاص. قال تعالى (لما خلقت بيدي) والمراد تخصيص آدم عليه السلام بهذا التشريف ، فإنه تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات. ويقال : يدي لك رهن بالوفاء إذا ضمن له شيئاً)

مفاتيح الغيب ١٢ / ٤٦

قال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) :

(واليد في كلام العرب تكون بمعنى الجارحة .....

وتكون لإضافة الفعل إلى المخبَر عنه تشريفاً له وتكريماً ؛ قال الله تعالى : (يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) ص٧٥ فلا يجوز أن يُحمَل على الجارحة ؛ لأن البارئ جلّ وتعالى واحد لا يجوز عليه التبعيض ، ولا على القوّة والملك والنعمة والصّلة ، لأن الاشتراك يقع حينئذٍ بين وليه آدم وعدوّه إبليس ، ويبطل ما ذكر

من تفضيله عليه ؛ لبطلان معنى التخصيص ، فلم يبق إلا أن يُحمَلا على صفتين تعلّقتا بخلق آدم تشريفاً له دون خلق إبليس تَعلُّق القدرة بالمقدور ، لا من طريق المباشرة ولا من حيث المماسَّة ...)

الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٨٢ - ٨٣

قلت : فصرف اللفظ عن ظاهره في صفة من الصفات يحتاج لأدلة شرعية أو قرائن لغوية وإلا أصبح التأويل زيغاً وضلالاً

فقد قال ربنا عز وجل (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) الفرقان ٤٨

فهل للرحمة يدين حقيقيتين نعقل معناهما ؟!

وقال أيضاً (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) فصلت ٤٢

هل للقرآن يدين حقيقيتين نعقل معناهما ؟!

وقال أيضاً : (بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) سبأ ٤٦

فهل للعذاب يدين حقيقيتين نعقل معناهما ؟!

وقال أيضاً (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ) ص ١٧

هل لسيدنا داود أكثر من يدين ؟!

فتأمل !!

٣- ليس في كلام الإمام الترمذي ما يؤيد مذهب التشبيه إذ هو مؤيِّد لمذهب السلف في تفويض معاني نصوص الصفات ، وله عدة تأويلات ذكرناها سابقاً عند عرضنا لتأويلات السلف. فلتراجع

ص١٩٦ أثر سهل التستري (... وإنما على المؤمن الرضى والتسليم لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنه على عرشه) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٣١

معلَّق ؛ علقه الإمام الذهبي على اسماعيل بن علي الأبلي بصيغة الجزم

وهذا الأثر ليس فيه دلالة بل هو مؤيد لعقيدة التنزيه حيث قال : العقل وحده لا يدل على **قديم أزلي فوق عرش محدث** ..... فلا كيف لاستوائه عليه ..... وإنما على المؤمن الرضى والتسليم لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنه على عرشه (والأخير هو تفويض المعنى للقائل)

ص٣٣٦ أثر ابن سريج (... اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن ...)

١- في سنده عبد الواحد بن محمد لم أقف له على ترجمة

مختصر العلو ص٢٢٧

والراوي الزنجاني لم يسمع من ابن سريج فقد ولد سنة (٣٨٠هـ) أي بعد وفاة ابن سريج بنحو ٨٠ سنة

سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٨٥

(وتوفي ابن سريج سنة (٣٠٣هـ))

سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٠٢

٢- هذا الأثر مخالف لعقيدة الناقد ، فقد جاء فيه ما نصه :

(... **حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده** .....

وقد صحَّ عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منه كما ورد ، **وأن السؤال عن معانيها بدعة** والجواب كفر وزندقة ...)

العلو للعلي الغفار ص٢٠٨

وعلَّق الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) "محرِّفاً معنى العبارة قائلاً" :

(يعني غير معانيها الظاهرة بدليل قوله الآتي : ولا نتأولهما بتأويل المخالفين ... ونسلم الخبر الظاهر والآية لظاهر تنزيلها) فتأمل !

مختصر العلو ص٢٢٦

ص٤٣٠ أثر الأوزاعي (إن الله تعالى فوق العرش ونؤمن بما وردت السنة من صفاته)

١- **ضعيف** ، محمد بن كثير المصيصي

(قال البخاري : ليِّن جداً ، ضعَّفه أحمد)

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٦ / ٣٣١ رقم ٥٥٧٠

الضعفاء للعقيلي ٥ / ٣٧٤ رقم ١٦٩٤

المغني في الضعفاء ٢ / ٢٥٧ رقم ٥٩٢٦

(وقال أحمد : هو منكر الحديث أو قال : يروي أشياء منكرة ، وقال ابن عدي : له روايات عن معمر والأوزاعي خاصة أحاديث عداد مما لا يتابعه أحد عليه)

الكامل لابن عدي ٧ / ٢٢٥٨

(قال ابن حجر : صدوق كثير الغلط)

تقريب التهذيب ٤ / ٨٩١ رقم ٦٢٩١

٢- لا دلالة فيه على ما يخالف التنزيه

ص٤٣١ أثر سعيد بن عامر الضبعي (... قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله فوق العرش وقالوا هو ليس عليه شيء)

منقطع ؛ ابن أبي حاتم الرازي المولود سنة (٢٤٠هـ) لم يسمع من سعيد بن عامر المتوفى سنة (٢٠٨هـ) ، وقد رواه الإمام البخاري في خلق أفعال العباد ص٩ ، ولا حجة فيه على ما يخالف التنزيه

ص٤٤١ قول ابن قدامة (إن الله وصف نفسه بالعلو في السماء)

١- لا حجة في هذا الكلام بل هو عين ما عليه السادة الأشاعرة ، فالله في السماء من حيث الصفة لا الجهة تماماً كما هو معنا من حيث الصفة لا الجهة

قال الإمام ابن فورك (٤٠٦هـ) :

(ومن أصحابنا من قال إن القائل إذا قال **إن الله تعالى في السماء ويريد بذلك أنه فوقها من طريق الصفة** لا من طريق الجهة على نحو قوله "ءأمنتم من في السماء" **لم ينكر ذلك**)

مشكل الحديث ص٧٨

٢- إن الإمام ابن قدامة حنبلي مفوّض منكر للتأويل ، يقول "في ردِّه على سؤال حول الصفات" :

(..وأما إيماننا بالآيات وأخبار الصفات فإنما هو إيمان بمجرد الألفاظ التي لا شك في صحتها ولا ريب في صدقها ، **وقائلُها أعلم بمعناها فآمنا بها على المعنى الذي أراد ربنا تبارك وتعالى فجمعنا بين الإيمان الواجب ونفي التشبيه المحرم** ... وأما قوله : هاتوا أخبرونا ما الذي يظهر لكم من معنى هذه الألفاظ الواردة في الصفات ؟ فهذا قد تسرع في التجاهل والتعامي كأنه لا يعرف معتقد أهل السنة وقولَهم فيها وقد تربى بين أهلها وعرف أقوالهم فيها وإن كان الله سبحانه وتعالى قد أبكمه وأعمى قلبه إلى هذا الحد بحيث لا يعلم مقالتهم فيها مع معاشرته لهم واطلاعه على كتبهم .. **وبين أنه إذا سألَنا سائل عن معنى هذه الألفاظ قلنا : لا نزيدك على ألفاظها زيادة تفيد معنى بل قراءتها تفسيرها من غير معنى بعينه ولا تفسير بنفسه ، ولكن قد علمنا أن لها معنى في الجملة يعلمه المتكلم بها فنحن نؤمن بها بذلك المعنى ومن كان كذلك كيف يسأل عن معنى وهو يقول لا أعلمه ؟**)

تحريم النظر في كتب الكلام ص٥٩

ذم التأويل ص١١

وقال الإمام ابن الوزير (٨٢٢هـ) :

(وقال شيخ الحنابلة بالاتفاق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي في خطبة كتابه الكافي الذي جمعه على مذهب أحمد ما لفظه "الحمد لله الواحد القهار" إلى قوله "**الذي امتنع عن تمثيل الأفكار ، وارتفع عن الوصف بالحد والمقدا**ر" إلى آخر كلامه ، وهذا الكتاب من أجل كتب الحنابلة المعتمدة عندهم ، فكيف تراهم يفتتحونه بنقيض مذهبهم ومذهب إمامهم)

ص٤٧٨ قول أبو البيان السلمي عند استدلال أهل التنزيه ببيت شعر للأخطل (إيش هذا الأخطل نصراني)

مغالطة واهية ؛ لا علاقة للقضية بعقيدة الأخطل كونه نصراني أم بوذي ، إذ نحن في معرض الاستشهاد بالشعر وأهل اللغة. قال سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢٣هـ) :

(يا أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم)

الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٣٣٢

قال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه (٦٨هـ) :

(إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب)

ونحوه (إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه من الشعر ...)

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١٠ / ٣٣٦٦ رقم ١٨٩٥٣

المستدرك على الصحيحين ٢ / ٤٩٩

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٢٥ – الأزهرية

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤ / ٣٣٩

والإمام البخاري يستدل ويستشهد في صحيحه ١٣ / ٤٧ بقول امرئ القيس المشرك الكافر ، وكتب التفاسير مليئة بأشعار المشركين فضلاً عن نصارى العرب ، فنحن ومن سبقنا من السلف الصالح نستدل بلغة العرب أياً كانوا لا بعقيدتهم ... فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟!

والعجيب أن القوم يستشهدون بالاسرائيليات في عقائدهم ثم يعترضون على الاستشهاد بلغة العرب من كلام النصارى ، وقد سبق أن نقل الناقد البارع ص٤٣١ عن سعيد بن عامر الضبعي قوله (قد اجتمع **اليهود والنصارى وأهل الأديان** مع المسلمين على أن الله فوق العرش وقالوا هو ليس عليه شيء)

فما وجه الاعتراض على قول النصراني ؟!

٢- والشيء بالشيء يذكر فقد نصَّ الإمام الذهبي في ترجمته لـ "غلام ابن المني" أنه قرأ المنطق والفلسفة على ابن مرقش النصراني ، ثم قال - أي الذهبي - : أخذ عنه الشيخ مجد الدين بن تيمية

سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٢٩ - ٣٠

قلت : فيظهر جلياً الإسناد النصراني الذي أخذت عنه عائلة ابن تيمية الفلسفة التي خاض فيها الإمام غفر الله لنا وله وعفا عنا وعنه ... فهل من القوم معترض عليه ؟! نحن بانتظاره !

ص٥٩٩ ما بوَّبه الإمام البخاري في صحيحه (ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرها من الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره ، وهو الخالق المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون)

قال الناقد ص٦٠٠ : وهذا التقرير يخالف ما عليه الأشعرية من امتناع قيام الأفعال الاختيارية بذات الله تعالى لأنها حوادث ، والحوادث عندهم لا تقوم إلا بحادث فيمنعون ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال .....

١- والحقيقة أن اجتهاد الناقد في فهم كلام الإمام البخاري - والذي لا نعرف كم استهلك من جهد للطلوع به علينا - يعود إلى فهم من نوع عجيب ، ولنترك الإمام البخاري يجيب عن فهم الناقد السقيم للمراد من الكلام. قال الإمام البخاري (٢٥٦هـ) :

(وأما الفعل من المفعول ، فالفعل إنما هو إحداث الشيء ، والمفعول هو الحدث لقوله "خلق السماوات والأرض"

فالسماوات والأرض مفعولة ، وكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول ، فتخليق السماوات فعله لأنه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل **وإنما تنسب السماء إليه لحال فعله ، ففعله من ربوبيته حيث يقول "كن فيكون" ولكن من صنعته وهو الموصوف به** ، كذلك قال : رب السماوات ورب الأشياء ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : رب كل شيء ومليكه)

خلق أفعال العباد ص١١٠

قلت : فما نفع فهم الناقد السقيم أمام تصريح الإمام البخاري بأن الفعل هو إحداث الشيء والمفعول هو الحدث ؟! وما نفع إجازة الناقد لحدوث الأفعال الاختيارية بذات الله أمام تصريح الإمام البخاري "وإنما تنسب السماء إليه لحال فعله ، ففعله من ربوبيته حيث يقول "كن فيكون" ولكن من صنعته وهو الموصوف به"

٢- قال الحارث المحاسبي (٢٤٣هـ) :

(والله جل ذكره لا تحدث فيه الحوادث ...)

العقل وفهم القرآن ص٣٤٠

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) :

(فإن زعم خلقه في ذاته فقد أوجب أن تكون ذاته محلاً للخلق وذلك عند الجميع كفر)

التبصير في معالم الدين ص٢٠٢

قال إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) :

(فيستحيل أن يحدثها - أي الإرادة - في نفسه لأنه ليس بمحل للحوادث)

اللمع في الرد على أهل البدع ص٤٥ - ٤٦

قال اللغوي ابن جني (٣٩٢هـ) "عند حديث الصورة" :

(... لا أن له تعالى حياة تحلُّه ، ولا أنه - عزَّ وجهه - محلّ للأعراض ...)

الخصائص ٣ / ٢٥٠

قال القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي (٤١٩هـ) :

(ولا يجوز أن تكون ذات القديم محلاً للحوادث)

شرح رسالة ابن أبي زيد ص١١٩

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(... تعالى عن أن يكون محلاً للحوادث ...)

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص٣٢

وقال أيضاً :

(لا تعترضه الآفات ، ولا تحله الأعراض والتغيرات)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٧٠ – الأزهرية

٣- وكيف يفسِّر القوم قول الله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) إن كانوا يعتبرون المحدث واقع على ذكر الله ، وليس فعلاً عائداً إلى تنزيل المحدث وهذا الفعل هو من صنع الله وهو الموصوف به. ولقد ردَّ الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) على شيخ الإسلام ابن تيمية في قضية الحوادث التي لا أوّل لها قائلاً :

(وفيه رد – أي حديث القلم – على من يقول بأن العرش هو أول مخلوق ، ولا نصّ في ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما يقول به من قال كابن تيمية وغيره استنباطاً واجتهاداً ..... ولقد أطال ابن تيمية رحمه الله في الكلام في رده على الفلاسفة محاولاً إثبات حوادث لا أول لها ، وجاء في أثناء ذلك بما تحار فيه العقول ، ولا تقبله أكثر القلوب ..... فذلك القول منه غير مقبول ، بل هو مرفوض بهذا الحديث ، وكم كنا نود أن لا يلج ابن تيمية رحمه الله هذا المولج ، لأن الكلام فيه شبيه بالفلسفة وعلم الكلام الذي تعلمنا منه التحذير والتنفير منه ، ولكن صدق الإمام مالك رحمه الله حين قال : "ما منا من أحد إلا رد عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم")

الدرر الغوالي من كلام العلامة محمد ناصر الدين الألباني ص٢٤ – ٢٥

وانظر إلى هذه التصريحات المتناقضة لإحدى الباحاثات والتي تدعى هدى الشلالي ؛ حيث تعلِّق – ممهدة لرد قول الإمام الحارث المحاسبي ونفيه لحلول الحوادث في الذات الإلهية – :

(**حلول الحوادث من المسائل التي أحدثها المتكلمون وهو تعبير لاوجود له في الكتاب ولا في السنة** ، وقد نفى المتكلمون حلول الحوادث بذاته تعالى وهو أن يحصل عندما يتصف الإله بصفة تكون متعلقة بمشيئته كالنزول أوالاستواء أو الكلام فإنه يتصف بها في وقت دون وقت ، وقد أنكر المتكلمون ذلك واعتبروا أن ذلك لا يليق بالله تعالى **في حين أن السلف يقولون بحلول الحوادث** ولكن ليس بمعنى أنه يحل بذاته المقدسة شيء من مخلوقاته وينكرون أن يحصل له وصف متجدد لم يكن له من قبل)

آراء الكلابية العقائدية وأثرها في الأشعرية ص١٢٥ – الرشد

قلت : فتأمل أيها القارئ هذا الكلام البارد الذي لم يفهم له أساس من رأس !!

كيف أثبت السلف حلول الحوادث – خاصة الصحابة – وهي مسألة أحدثها المتكلمون ؟! ومَن مِن السلف صرَّح بحلول الحوادث في ذات الله ؟! (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)

سادساً : التأويلات السلفية التي عارضها :

١– إن الناقد يستشهد بالأسانيد الاسرائيلية والمنكرة ثم ينكر الروايات الصحيحة التي صحَّحها كبار المحدثين تحت دعوى التفرد والغرابة ، ولقد لخص الناقد خطوات النقل ضمن ست خطوات وصل بها إلى أن التأويل معارض لمذهب السلف وبالتالي لا يثبت وإن صحَّ سنداً ومتناً

ونستطيع تلخيص أساليب الناقد في رده لتأويلات السلف الصالح كالتالي :

* زعمه أن الآية ليست من آيات الصفات عند ثبوت التأويل ، وبالتالي نفى الصفة ووقع في التعطيل

* زعمه أن التأويلات ليست بتأويلات ، ونسب للسلف الصالح مذهباً جديداً وهو التفسير باللازم

* تتبعه لآراء شيخ الإسلام ابن تيمية وحده في رد التأويلات ، وإعراضه عن معارضة المتأخرين من شيوخه لأقواله أمثال ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والغنيمان وغيرهم

٢– وجَّه أحدهم سؤالاً للشيخ الألباني قائلاً : يذكرون أحياناً عن ابن عباس رضي الله عنه أنه تأوَّل آية من كتاب الله تبارك وتعالى

فأجاب الشيخ الألباني : إذا تأوَّل .. ما هو الذي حمله على التأويل .. وهل كان ذلك هو منهج الصحابة الأولين ؟!

فتاوى الشيخ الألباني ومقارنتها بفتاوى العلماء ص٥٠٩

قلت : لا أدري ! هل الصحابي ابن عباس من الصحابة الأولين أم لا ؟!

هل نسي الشيخ الألباني أن منهجهم هو الكتاب والسنة بفهم السلف أم ماذا ؟!

٣– وعثرت لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) على كلام عجيب حيث قال :

(وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب أحمد : إن في القرآن مجازاً لا مالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة ، فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة ، وظهرت أوائله في المائة الثالثة ، وما علمته موجوداً في المائة الثانية ، اللهم إلا أن يكون في أواخرها)

الإيمان ص٧٥

قلت : لمَ كل هذا التخبط في تحديد التاريخ ، وما الفائدة منه ؟!

هل تغيرت اللغة العربية ومدلولاتها بتغير الزمن ، فكانت تدل على شيء في القرون الثلاثة الأولى مغاير لما أضحت تدل عليه ما بعدها ؟!

ونحن نعلم أن أهل القرون الثلاثة الأولى التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخيرية كانوا نحويين صرفيين سليقة ، أما الإصطلاحات التي حدثت بعد ذلك فلا ضير منها بعد ثبوت المعاني المرادة ، على أن النحويين المتأخرين قد وضعوا قواعد على أسس من سبقهم من النحاة واحتاجوا مصطلحات مناسبة لزمنهم ، ولم يبتدعوا معانٍ جديدة كما يتوهم الإمام ابن تيمية وأنصاره ، بل إن كلمة (العقيدة) لم ترد لا في كتاب ولا سنة ولا أقوال السلف بل هو مصطلح مستحدث ، فهذه أمور كانت موجودة بالفطرة لكن لم تكن قد بنيت على أسس وقواعد تتداول مصطلحاتها وتشتهر على الألسن

قال أ.منصور عويس :

(ومعلوم أن سائر الاصطلاحات لجميع العلوم إنما جاءت متأخرة لتحديد مفاهيم هذه العلوم

فالعرب استعملت في أساليبها بعض الكلام فيما وضع له وبعضه في غير ما وضع له . ثم جاء من سمى الأول حقيقة ومن سمى الثاني مجازاً. كما نظمت شعرها على الأوزان المختلفة ثم جاء من سمى هذه الأوزان بحوراً وسمى بعض البيت عروضاً وبعضه ضرباً وبعضه قافية .. الخ ما هو معروف في اصطلاحات العروضيين وهذا هو الشأن في سائر العلوم)

ابن تيمية ليس سلفياً ص٣٢

قلت : وإلا فليتكرموا على جهلنا وليخبرونا

متى ظهر القول بما سموه التفسير باللازم ؟! ومن نصَّ على ذلك من الصحابة أو التابعين ؟!

متى ظهر القول بالجار والمجرور والمرفوع والمفعول المطلق وغير ذلك ؟!

هل كان الإمامان أبو حنيفة ومالك يعرفان مصطلحات الأصول ؟!

وهل أضحى علم الأصول – وهو تقعيد لقواعد الشرع – علم جليل لأن الإمام الشافعي أول من ألَّف فيه ، فلو ألَّف فيه غيره لكان مبتدعاً ضالاً ؟!

ثم أن ما قرَّره الإمام ابن تيمية وأتباعه يحمل معه تساؤلاً فريداً !!

كيف أجمع السلف الصالح – خاصة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين – على عدم تأويل الصفات ، والتأويل نفسه (صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر مقبول في اللغة) لم يكن موجوداً في عهدهم وإنما ابتدعه من جاء بعدهم ؟!

وبعبارة أخرى : كيف أجمعوا على نفي المعدوم الذي لم يعرفوه ؟!

وانظر تناقض الإمام ابن تيمية وتأويله القرب عند قول الله جل جلاله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) ق ١٦ قائلاً : (قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله) ثم قال : وأما من ظن أن المراد ذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد إذ أن ذاته أقرب فهذا في غاية الضعف)

الأسماء والصفات ٢ / ٩٨

قلت : فتفسيره للآية بقرب الملائكة صرف للفظ عن ظاهره ، فلِمَ لا يقال في هذا الصرف أنه تعطيل ؟! ولست أدري ما الفرق بين هذا وتأويلنا (جَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ) الفجر ٢٢ أي جاء أمره وجاءت الملائكة بذواتها ، علاوة على أنه مصداق لقول الله جل جلاله (إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ) هود ٧٦

وقد تحدَّث الإمام ابن تيمية عن افتراق الناس في التزام الظواهر فيذكر من اختار الإقرار بالنصوص ولم يصرف واحداً فيها عن ظاهره ثم قال : (لكنه غلط أيضاً)

بيان تلبيس الجهمية ١ / ٥٥٦

قلت : وهذا اعتراف منه بجواز العدول عن بعض الظواهر وهو التأويل ولله الحمد

وزعم أن ظاهر الكلام قد يكون ظهوره بسياق الكلام على خلاف الوضع وهو المجاز فقال :

(... فإن ظاهر الكلام : هو ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة. ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع ، وقد يكون بسياق الكلام ، وليست هذه المعاني المحدثة المستحيلة على الله تعالى هي السابقة إلى عقل المؤمنين)

مجموع الفتاوى ٦ / ٣٥٦

قلت : لا نسلِّم بأن عقول المؤمنين تجتمع على فهم المعاني التنزيهية في صفات الحق تبارك وتعالى ، بل الواقع المشاهد مغاير تماماً لهذه الدعوى ، فكم وكم من عاميٍّ إن قلت له ((إن الله له يد)) يفزع ويستنكر هذا الكلام لأنه يحمل المقصود من اللفظ على المعنى الحسي الذي ألِفه وعرفه ، بل ربما لا يعلم أن اليد في اللغة تطلق على أكثر من عشرين معنى

وقال أيضاً :

(واعلم أن مَن لم يحكِّم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ : تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي إما في الألفاظ المفردة وإما في المركبة. وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي تتغير به دلالته فى نفسه ، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعله مجازاً ، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه)

مجموع الفتاوى ٣٣ / ١٨١

قلت : فكيف تمنع من اختار التأويل إذا ادَّعى أن ما سبق إلى العقل السليم لمن يفهم اللغة إن كان ظهوره بالوضع فهو التشبيه لا محالة وإن كان السياق فهو تأويل ، فلما أوجبت إمرار النصوص على ظاهرها وحصرت طريق الظهور إمراراً بالوضع أو التركيب أو القرائن ، وقعت في شباك التأويل والمجاز كونهما الأخيرين

والعجيب أن ابن تيمية يصرِّح بمثال :

(ما معناه مفرد كلفظ الأسد والحمار والبحر والكلب فهذه إذا قيل : أسد الله وأسد رسوله أو قيل للبليد : حمار ، أو للعالم أو السخي أو الجواد من الخيل : بحر ، أو قيل للأسد : كلب فهذا مجاز. ثم إن اقترنت به قرينة تبين المراد ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم لفرس أبي طلحة : "إن وجدناه لبحراً" ، وقوله : "إن خالداً

سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين" ، وقوله لعثمان : "إن الله يقمصك قميصاً" ، وقول ابن عباس : "الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه" أو كما قال ونحو ذلك. فهذ اللفظ فيه تجوّز وإن كان قد ظهر من اللفظ مراد صاحبه وهو محمول على هذا الظاهر في استعمال هذا المتكلم لا على الظاهر في الوضع الأول. وكل من سمع هذا القول علم المراد به وسبق ذلك إلى ذهنه بلا احتمال إرادة المعنى الأول ، وهذا يوجب أن يكون نصاً لا محتملاً

وليس حمل اللفظ على هذا المعنى من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الإحتمال المرجوح فى شيء ، وهذا أحد مثارات غلط الغالطين فى هذا الباب حيث يتوهَّم أن المعنى المفهوم من هذا اللفظ مخالف للظاهر وأن اللفظ متأوَّل)

مجموع الفتاوى ٣٣ / ١٨٣ – ١٨٤

قلت :هذا التفاف على الحاصل وهو التفاف غير محبوك

فما الذي يمنع مثل هذا التصرف (الذي عزف عن تسميته تأويل) في سائر النصوص ؟

وما الفرق بين الأمثلة التي عرضها وبين النصوص التي منع من تأويلها ؟

وهو أصلاً لم يبيِّن الفارق بين الاثنين إلا ما سبق الظاهر المجازي إلى الذهن ، وهذا مما تختلف فيه الأذهان ويمكن معه للمؤول في كل نص سلك به مسلك التأويل أن يبين سبق الظاهر المجازي إلى ذهنه

ويقول – أي الإمام ابن تيمية – في معرض حديثه عن الكتب السماوية :

(وفيها ألفاظ قليلة مشكلة متشابهة ، وهي مع ذلك لا تدلُّ على ما ذكرتموه من التثليث والاتحاد لا نصاً ولا ظاهراً ، ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم

فأخذتم ذلك المحتمل وضممتم إليه من الكفر الصريح والتناقض القبيح ما صيرتموه أمانة لكم (أي عقيدَة إيمان لكم)

ولو كانت كلها تحتمل جميع ما قلتم لم يجز العدول عن النص والظاهر إلى المحتمل ، ولو كان بعضها ظاهراً فيما قلتم ، لم يجز العدول عن النصوص الصريحة إلى الظاهر المحتمل

ولو قدر أن فيها نصوصاً صريحة قد عارضتها نصوص أخرى صريحة ، لكان الواجب أن ينظروا بنور الله الذي أيد به عباده المؤمنين ، **فيتبعون أحسن ما أنزل الله ، وهو المعنى الذي يوافق صريح المعقول وسائر كتب الله ، وذلك النص الآخر إن فهموا تفسيره وإلا فوَّضوا معناه إلى الله تعالى إن كان ثابتاً عن الأنبياء**

وهؤلاء عدلوا عما يعلم بصريح المعقول وعما يعلم بنصوص الأنبياء الكثيرة إلى ما يحتمله بعض الألفاظ لموافقته لهواهم فلم يتبعوا

(إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى) النجم ٢٣

وأما كفار المجسمة ، فهؤلاء أعذر وأقل كفراً من النصارى ، فإن هؤلاء يقولون كما يقوله معهم النفاة إن ظواهر جميع الكتب هو التجسيم

ففي التوراة ، والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم ما لا يحصى ...)

الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح ٤ / ٤٥٢ - ٤٥٣

قلت : والعجيب أن الإمام ابن تيمية ينسى نفسه و يتجاهل كل ما ذكره ، ويدعو إلى تفويض المعنى لله عز وجل ، ويأمر برد الألفاظ القليلة المشكلة إلى محكم التنزيه. كل ذلك يخاطب به النصارى في كلام طويل هو عين الكلام الذي ينكره على السادة الأشاعرة بل ويحاربهم عليه في سطور كتبه

وبكل الأحوال فكلام الإمام ابن تيمية في نفي المجاز مستندٌ لوهم ، وقد ذكر بنفسه أن "معمر بن مثنى (١٠٦هـ)" - وهو من أهل القرن الثاني - قد ألَّف كتاب (مجاز القرآن) ومع ذلك ظلَّ يدَّعي أنه ليس المقصود قسيم الحقيقة وإنما ما يعبَّر به عن الآية

الإيمان ص٧٤ - المكتب الإسلامي

سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٤٦

قال أ.منصور عويس :

(ومن أين لابن تيمية أو لغيره أن يتحكم فيما عناه أبو عبيدة بكلمة المجاز وأنه قسيم الحقيقة أو غير ذلك)

ابن تيمية ليس سلفياً ص٣١

تنويه : قد عرضنا – فيما مضى – نماذج من تأويلات أبي عبيدة معمر بن المثنى والتي لا يوافقنا عليها الإمام ابن تيمية .. فلتراجع في موضعها !!

قال الإمام ابن قدامة الحنبلي (٦٢٠هـ) "بعد عرضه نماذجاً مجازية في القرآن" :

(... وهذا كله مجاز لأنه استعمال اللفظ في غير موضعه ، ومن منع فقد كابر ومن سلم وقال لا أسميه مجازاً فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة فيه والله أعلم)

روضة الناظر وجنة المناظر ص٣٥

ومن المعروف أن قواعد تفسير النصوص هي قواعد حيادية تنبثق من أصول الدلالات اللغوية ومردُّها إلى المتخصصين. وقد اتفق علماء اللغة العربية على تفسير اللفظ بمعناه الحقيقي وإنما يساق إلى المجاز للاتساع أو التوكيد أو التشبيه وإلا سيق اللفظ بمعناه الحقيقي الظاهر

الخصائص ٢ / ٤٤٢

المزهر ١ / ١٦٩

غير أن علماء اللغة قالوا إذا كثر المجاز لحق الحقيقة أي يصبح المجاز آخذاً سمة الحقيقة لأن شيوع المجاز في الجملة ينزلها منزل الحقيقة لكنهم اختلفوا عند التنفيذ

الخصائص ٢ / ٤٤٧

فذهب الشافعية والحنابلة وجمهور العلماء إلى أن الحقيقة تصبح ملغية عن الاعتبار كقول الرجل (أكلت من الشجرة) أو (شربت من القدر) فالمعنى الحقيقي للجملتين مهجور مطروح عن الاعتبار والمجاز هو الذي حل محله وهو الأكل من ثمار الشجرة والشرب من ماء القدر

وذهب البعض إلى تعارف الناس على المجاز وإن لم يكن المعنى الحقيقي مهجور كقول الرجل (شربت من النهر) أو (ليس للرجل يد فيه) فالمتعارف بين الناس هو التوسُّع في فهم الكلام وفهم المجاز تلقائياً بأن الرجل شرب شيئاً من ماء النهر وليس له قدرة في فعل الشيء ، مع احتمال المعنى الحقيقي بأن الرجل وضع فمه على حافة النهر وشرب وأن الرجل مبتور اليد

وأجاز الحنفية تفسير الكلام على المجاز عند انتشاره وتعارفهم عليه حتى وإن كان المعنى الحقيقي صالحاً

أصول السرخسي ١ / ١٩٠

نهاية السول في شرح منهاج الأصول للآسنوي مع حاشية المطيعي ٢ / ١٧٠

فحمل الكلام على المجاز متفق عليه وإنما الاختلاف في سلوك السبيل لتنفيذه من حيث الكثرة وتحديد ضابطها. وقد قسم علماء اللغة ((التأويل)) إلى :

١- قريب : يملك موجبات التأويل ودواعيه

٢- بعيد : تتجلى مرجحات البقاء على الظاهر مع احتمال التأويل والسبب هو الأخذ بمراد المتكلم ومقصده

الإحكام في أصول الأحكام ٣ / ١٢٦

البرهان في أصول الفقه ١ / ٥٣٠

فيلزم صرف المعنى إلى ظاهره دون تأويل إلا عند توافر شرطين اثنين هما :

١- أن يكون بين اللفظ والمعنى نسباً لغوياً أو عرفاً أو علاقة شائعة

٢- توافر (دليل لغوي) يرجِّح المجاز على اللفظ الظاهر فيصبح المجاز قوياً كونه الراجح واللفظ الظاهر ضعيفاً كونه مرجوحاً

أمثلة توضيحية :

- لا يمكن تأويل (الرجل بالحيوان) لتعذر وجود نسب لغوي أو عرف أو علاقة

- يمكن تأويل (قامت الحرب على ساق) و(حمي الوطيس) دون قصد ظاهر الكلام فنؤول الساق بالشدة والوطيس بتنور المعركة

الخصائص ٢ / ٢٤٥

وقد اختلف العلماء في الدلالة اللغوية :

فذهب الجمهور إلى تخصيص المتكلم للشيء وحده بشرط أو صفة أو استثناء أو غاية ونحوهم وبذلك ينتفي الحكم عن غير ذلك الشيء

وذهب الحنفية وبعض الشافعية إلى أن التخصيص لا يحمل دلالة لغوية على انتفاء الحكم عن غير الشيء المقصود

أصول السرخسي ١ / ٢٥٥

المستصفى ١ / ٤٢٣

الموافقات ٣ / ٢٨٧ فما بعد

راجع أيضاً :

الكافي شرح البزدوي ٢ / ٨٣٨ - ٨٦٠

شرح الكوكب المنير ١ / ١٥٧ لِ ١٩٠

والأدلة على وجود المجاز - صرف اللفظ عن ظاهره - كثيرة منها :

(وَجْهَ النَّهَارِ) آل عمران ٧٢ ؛ والنهار ليس له وجه ، والمعنى : أوَّل النهار

(إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ) آل عمران ١١٢ ؛ أي عهد من الله وعهد من الناس

(فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ) المائدة ٢٤ ؛ ومعلوم أنه يقاتل بربه

(وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) الأعراف ١٢٧ ؛ فوقية قهر لا جهة

(وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ) الأعراف ١٥٤ ؛ والغضب لا يسكت إنما يسكت صاحبه ، ومعناه : سكن

(ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الأعراف ١٨٧ ؛ أي الساعة ثقل وقوعها على أهلها لهولها

(وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) الأنفال ٤٦ ؛ أي قوتكم ودولتكم

(أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ) يونس ٢ ؛ والصدق ليس له قدم ، ومعناه : سابقة رحمة

(وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يونس ١٨ ؛ تنزيهاً له وترفعاً عن رجس الشرك

(نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) يوسف ٧٦ ؛ فوقية رتبة لا جهة

(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) يوسف ٨٢ ؛ أي أهل القرية وأهل العير

(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) الإسراء ٢٤ ؛ والذل ليس له جناح ، ومعناه : ألِن لهما جانبك الرقيق

(فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ) الكهف ٧٧ ؛ وليس للجدار إرادة

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) الفرقان ٤٨ ؛ والرحمة ليس لها يدين

(وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ) الشعراء ٨٤ ؛ أي الثناء الحسن

(أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) الروم ٣٥ ؛ والسلطان لا يتكلم ، ومعناه : برهاناً فهو يدلُّهم

(وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) لقمان ٢٢ ؛ أي من يقبل على طاعته ويخلص عبادته

(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) فصلت ٤٢ ؛ والقرآن ليس له يدين

(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) محمد ٤ ؛ والحرب لا تضع شيئاً ، ومعناه : يضع أهل الحرب السلاح

(فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) محمد ٢١ ؛ إنما يعزم الأمر أهله

(فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) ق ٢٢ ؛ أي حادّ وقوي شديد

ومن السنة ما رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٧٤٠ عن ثابت بن أنس رضي الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس قال : ولقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً قال : فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عرى وهو متقلدٌ سيفه فقال : لم تراعوا لم تراعوا. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجدته بحراً يعني الفرس

قوله (وجدته بحراً) ؛ شبّه سرعة الفرس في جريه بالبحر وجريانه وهوله وعظمه

وما رواه الإمام أبو داوود في سننه ٢٢٨٤ عن فاطمة بنت قيسٍ أن أبا عمرو بن حفص طلَّقها البتة وهو غائب ، فأرسل إليها وكيله بشعير فتسخَّطته فقال : واللّه ما لك علينا من شيء ، فجاءت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال لها : "ليس لك عليه نفقةٌ" وأمرها أن تعتدَّ في بيت أم شريك ، ثم قال : "إنَّ تلك امرأةٌ يغشاها أصحابي ، اعتدِّي في بيت ابن أم مكتومٍ فإنه رجلٌ أعمى تضعين ثيابك ، وإذا حللت فآذنيني" قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : "أما جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوكٌ لا مال له ، انكحي أسامة بن زيدٍ" قالت : فكرهته ، ثم قال : "انكحي أسامة بن زيدٍ" فنكحته ، فجعل اللّه تعالى فيه خيراً كثيراً واغتبطت به

قوله (فلا يضع عصاه عن عاتقه) ؛ عقل به المبالغة في وصفه بضرب النساء

وما رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢٥٦٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ! مرضت فلم تعدني. قال: يا رب ! كيف أعودك ؟ وأنت رب العالمين. قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم ! استطعمتك فلم تطعمني. قال : يا رب ! وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين. قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم ! استسقيتك فلم تسقني. قال : يا رب ! كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين. قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه. أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي

قلت : فهو لم يفهم المعنى المراد من اللفظ بعد أن استحالت حقيقته في عقله فسأل ((بكيف)) عن المعنى المراد لا أنه أثبت حقيقة المرض والاستطعام والاستسقاء ولم يعلم كيفياتها !!

والدليل أن الله أجابه منزهاً (ألم تعلم لو أنك عدت مريضاً لوجدتني عنده) ... الخ

فأثبت الله أن العندية لا تعني المكان ولم يقصد من الصفة حقيقتها المعهودة

قال سيف السنة أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) :

(فأضاف هذه الأشياء إليه في الخبر ، ومن زعم أنه يجوع ويعطش ، ويمرض ويعرى ، فقد كفر وأشرك لا محالة)

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص١٢٥ – الأزهرية

وها هو الشيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ) يصرِّح بجواز صرف اللفظ عن ظاهره في هذا الحديث فيقول :

(ينبغي أن يعلم أن التأويل عند أهل السنة ليس مذموماً كله بل المذموم منه ما لم يدل عليه دليل ، وما دلَّ عليه دليل يسمى تفسيراً سواء كان الدليل متصلاً بالنص أو منفصلاً عنه ، فصرف الدليل عن ظاهره يسمى تفسيراً ، **فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذموماً على الإطلاق**. ومثال التأويل بالدليل المتصل ما جاء في الحديث الثابت في صحيح مسلم في قوله تعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم : مرضت فلم تعدني ؟ قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ؟ قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي. **فظاهر الحديث أن الله نفسه هو الذي جاع وهو الذي مرض ، وهذا غير مراد قطعاً ، ففسَّر الحديث بنفس الحديث ...... فلا يقال إن صرف ظاهر اللفظ الأول إلى هذا المعنى الثاني تأويل مذموم)**

مجموع فتاويه ١ / ١٦٨

ومن أدلة وقوع المجاز أيضاً ما رواه الإمام البخاري ١٣٥٤ والإمام مسلم ٢٤٥٢ في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ("أسرعكن لحاقاً بي ، أطولكن يداً"

قالت : فكنَّ يتطاولن أيتهن أطول يداً

قالت : فكانت أطولنا يداً زينب. لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق) واللفظ لمسلم

فكنى بطول اليد عن العطاء والصدقة

النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٢٩٤

وما رواه الإمام الترمذي في سننه ١٢٦٦ من حديث سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (على اليد ما أخذت حتى تؤديه) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

فالمراد صاحب اليد بكماله

وما رواه الإمام الترمذي في سننه أيضاً ١٢٨ من حديث حمنة بنت جحش رضي الله عنها أن النبي قال لها : (... فتحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله ...) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

والتقدير تحيضي ستاً او سبعاً وهو معلوم عند الله تعالى

وها هو ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) يقول عن القرآن :

(... **وأن منه ظاهراً يُعرَف في سياقه أنه يُراد به غير ظاهره** ...)

الرسالة ص٥٢

قال الإمام البخاري (٢٥٦هـ) :

(وقال بعضهم : إن أكثر مغاليط الناس من هذه الأوجه الذي لم يعرفوا المجاز من التحقيق ، ولا الفعل من المفعول ولا الوصف من الصفة ، ولم يعرفوا الكذب لم صار كذباً ، ولا الصدق لم صار صدقاً ، **فأما بيان المجاز من التحقيق فمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم للمفرس : "وجدته بحراً" وهو الذي يجوز فيما بين الناس وتحقيقه أن مشيه حسن** ، ومثل قول القائل : علم الله معنا وفينا ، وأنا في علم الله ، إنما المراد من ذلك أن الله يعلمنا وهو التحقيق وأشباهه في اللغات كثيرة)

خلق أفعال العباد ص١٠٩

نصَّ الإمام ابن قتيبة (٢٧٦هـ) على وجود المجاز (مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه) وعرض أمثلة منها (اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ، (سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ) ، (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ) ، (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ)

تأويل مشكل القرآن ص٢٧٥ – ٢٧٩

قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) :

(والقرآن العزيز على ظاهره ، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة وإلا فهو على ظاهره)

وقال أيضاً : (ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان)

وقال أيضاً : (حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة)

الإبانة عن أصول الديانة ص٤٠ – ٦٣ – ١٣٩

قلت : وفي هذا دليل وجود المجاز في القرآن وإلا لكان نفاه جملة وتفصيلاً

قال الإمام المرداوي الحنبلي (٨٨٥هـ) :

(فصل : الأربعة وغيرهم : المجاز واقع ، وخالف الأستاذ (الاسفراييني) ، والشيخ (ابن تيمية) ، وجمع ، وردوه إلى المتواطئ ..... وعلى الأول ليس المجاز بأغلب في الأصح ..... وهو في القرآن عند أحمد وأكثر أصحابه ، والأكثر ؛ وعنه : لا ، اختاره ابن حامد والتميمي والخرزي ، وجمع ، وقيل : ولا في الحديث أيضاً ...)

التحبير شرح التحرير ٢ / ٤٥٧ حتى ٤٦١ – الرشد

وكذا ابن عقيل في الواضح وأبو الخطاب في التمهيد والقاضي في العدة

الخصائص ٢ / ٤٤٧

التمهيد لأبي الخطاب ٢ / ٢٦٥

قال الإمام ابن المبرد الحنبلي (٩٠٩هـ) :

(والمجاز واقع عند الأكثر خلافاً لأبي العباس ابن تيمية والأستاذ وغيرهما

وعلى الأول – من كونه واقعاً – المجاز أكثر ، أي : أغلب وقوعاً من الحقيقة ؛ قال ابن جني : أكثر اللغة مجاز .....

وهو– أعني المجاز– في القرآن عند أكثر أصحابنا وغيرهم ، قال أحمد : في قوله تعالى "إنا نحن" : هذا من مجاز اللغة)

شرح غاية السول إلى علم الأصول ص١١٦ – ١١٧

قال الإمام ابن النجار الحنبلي (٩٧٢هـ) :

(المجاز واقع في اللغة عند الجمهور ، واحتج على ذلك بالأسد للشجاع ، والحمار للبليد ، وقامت الحرب على ساق ، وشابت لِمَّة الليل ، وغير ذلك مما لا يحصر

وليس المجاز بأغلب من الحقيقة خلافاً لابن جني ومن تبعه

وهو أي المجاز في الحديث أي حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفي القرآن لقوله تعالى ..... (اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)

وغير ذلك كثير . وهذا الصحيح عند الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه وأكثر أصحابه

قال القاضي : نصَّ الإمام أحمد على أن المجاز واقع في القرآن ، فقال في قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيت) و (نَعْلَمُ) و (مُنتَقِمُون) : هذا من مجاز اللغة . يقول الرجل : إنا سنجري عليك رزقك ...)

شرح الكوكب المنير ١ / ١٩١ – ١٩٢

قال الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) :

(وكما أن المجاز واقع في الكتاب العزيز وقوعاً كثيراً ، فهو أيضاً واقع في السنة وقوعاً كثيراً ، والإنكار لهذا الوقوع مباهتة لا تستحق المجاوبة)

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ١ / ١٤٣

وقد اعترف الإمام ابن القيم (٧٥٢هـ) بجواز التأويل في الظاهر المحتمل له حيث قال :

(المجاز والتأويل لا يدخل في المنصوص ، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له ...)

بدائع الفوائد ١ / ٢٦ – المجمع / عالم الفوائد

وقال أيضاً :

(فلم ينقل لفظها إلى الصفة أعني السمع مجازاً ولا حقيقة إلا أشياء وردت على جهة المثل مما يعرف بأدنى نظر أنها أمثال مضروبة نحو "الحجر الأسود يمين الله في الأرض" و "ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن" مما عرفت العرب المراد به بأول وهلة)

بدائع الفوائد ٢ / ٣٩٦ – المجمع / عالم الفوائد

وقال "متحدثاً عن صفة اليد" :

(ولما لم يُنقَل ذلك عن مؤمن ولا كافر عُلِمَ أن الأمر كان فيها عندهم جلياً لا خفياً ، وأنها صفة سميت الجارحة بها مجازاً ، ثم استمر المجاز فيها حتى نُسِيَت الحقيقة ، ورب مجاز كثُر واستُعمِل حتى نُسِيَ أصله وتُرِكت حقيقته)

بدائع الفوائد ٢ / ٣٩٨ – المجمع / عالم الفوائد

وقال الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) :

(قرائن المجاز الموجبة للعدول إليه عن الحقيقة ثلاث : ...)

مختصر العلو ص٢٣

ولننتقل الآن لمناقشة الناقد في رده لتأويلات السلف الصالح والله المستعان

تنويه : كثيراً ما يلبّس البعض فيدَّعون أن أهل السنة الأشاعرة والماتريدية ينقلون عن السلف الصالح تأويلات للصفات ويرتضونها في حين أنهم يردُّون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت دعوى أن أخبار الآحاد لا حجة لها في مسائل الاعتقاد إلا إن احتفَّت بقرائن

وهذه مغالطة واهية ، نجيب عليها بالقول : إن تأويلات السلف الصالح التي ينقلها أهل السنة الأشاعرة لا يدَّعون أنها حجج شرعية بذاتها بل هي شواهد تنزيهية من كلام السلف ، ينقلونها لإثبات أن السلف كانوا على التنزيه في الاعتقاد ، والسادة الأشاعرة لا يدَّعون أن كافة التأويلات يجب أن تكون صحيحة بل الصحيح هو ما رآه أهل العلم موافقاً للشرع. فافهم !!

نقده للتأويلات التي وردت عن السلف الصالح :

ص٥٥٣ أولاً : زعم أن تأويل الصحابي ابن عباس (وسع كرسيه) البقرة ٢٥٥ بالعلم لا يصح لأن مداره على جعفر بن أبي المغيرة ، وأن جعفر خالف من هو أوثق منه وهو مسلم البطين (من رجال الصحيحين) ، وأن رواية القدمين هي المشهورة بالأخبار عن النبي والصحابة

١- إن رواية موضع القدمين هي من الموقوفات التي لا تقوم بها حجة ، ولا تصح رواية مرفوعة إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فهذا الكلام يحتاج إلى توقيف ، ولا يكفي ورود صفة عن صحابي أو تابعي وإن كان السند صحيحاً

٢- تحقيق النقولات التي أوردها :

* عن أبي ذر مرفوعاً (... يا أبا ذر ما السماوات السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة)

ضعيف

الطريق الأول : إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني

(قال أبو حاتم : أظنه لم يطلب العلم وهو كذَّاب

قال علي بن الحسين بن الجنيد : ينبغي ألا يحدث عنه

ذكره ابن حبان في الثقات

قال ابن الجوزي : قال أبو زرعة : كذاب)

الجرح والتعديل ٢ / ١٤٣ رقم ٤٦٩

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١ / ٧٣ رقم ٢٤٤

لسان الميزان ١ / ٣٨١ – ٣٨٢ رقم ٣٤٠

الطريق الثاني : يحيى بن سعيد القرشي العبشمي السعدي

(قال العقيلي : لا يتابع على حديثه ، وليس بمشهور بالنقل)

الضعفاء للعقيلي ٦ / ٣٦٣ رقم ٢٠٣٤

(قال ابن حبان : شيخ يروي عن ابن جريج المقلوبات ، وعن غيره من الثقات الملزقات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد)

المجروحين من المحدثين ٢ / ٤٨٢ رقم ١٢٢٢

قلت : والأثر ليس فيه دلالة على أن الكرسي موضع القدمين

* عن ابن مسعود موقوفاً (ما بين السماء إلى الأرض ..... والكرسي فوق الماء ، والله تعالى فوق العرش ...)

ضعيف

الطريق الأول : حماد بن سلمة

(كان ثقة وله أوهام

قال ابن مهدي : كان حماد بن سلمة لا يُعرف بهذه الأحاديث – أي التي في الصفات – حتى خرج مرة إلى عبادان ، فجاء وهو يرويها ، فلا أحسب إلا شيطاناً خرج إليه من البحر ، فألقاها إليه

قال الذهبي : ... ربما وهم كما قال أبو عبد الله الحاكم ، قد قيل في سوء حفظه وجمعه بين جماعة في إسناد واحد بلفظ ...)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١ / ٥٩٠ – ٥٩٣ رقم ٢٢٥١

تاريخ الإسلام ٤ / ٣٤٦ رقم ٨٢

سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٤٦

(ثقة تغيَّر حفظه بآخره)

تقريب التهذيب ص٢٦٨ – ٢٦٩ رقم ١٥٠٧

الطريق الثاني : الحسن بن أبي جعفر

(ضعيف الحديث)

تقريب التهذيب ص٢٣٥ رقم ١٢٣٢

* عن أبي موسى موقوفاً (الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل)

منقطع ، عمارة بن عمير لم يروِ عن أبي موسى بل روى عن ابنه إبراهيم بن أبي موسى الأشعري

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢١ / ٢٥٦ رقم ٤١٩٣

تهذيب التهذيب ٣ / ٢١٢

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(وليس للأطيط مدخل للصفات أبداً ..... ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل ، ثم لفظ الأطيط لم يأتِ من نص ثابت)

مختصر العلو ص١٢٤

وقال الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) :

(... ولا يصح في الأطيط حديث مرفوع ...)

السلسلة الضعيفة والموضوعة ٢ / ٣٠٧

*أثر أبو زرعة أنه قال عن حديث ابن عباس (موضع القدمين) : صحيح

معلق ، علّقه ابن منده بصيغة الجزم ، ولا يفيد أن الأثر رُويَ مرفوعاً بل موقوفاً على ابن عباس

* أن زكريا بن عدي سأل وكيعاً : يا أبا سفيان هذه الأحاديث - يعني مثل حديث الكرسي موضع القدمين ونحو هذا - فقال وكيع : أدركنا اسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعر ، يحدّثون بهذه الأحاديث ولا يفسِّرون شيئاً

مقطوع صحيح ، ولا يفيد أن رواية موضع القدمين صحيحة ولا مرفوعة

٣- من خلال ما سبق نرى أنه أقصى ما يمكننا قوله هو أن هذه الرواية آحاد ظنية الثبوت ، فكيف إذا قلنا أن الشيخ الألباني قد ضعفها في ضعيفته ٢ / ٣٠٦ رقم ٩٠٦ بل صرَّح بأنها من الاسرائيليات

موسوعة الألباني ١ / ٣١٢ رقم ٩٤٠

ونحو ذلك صرَّح الشيخ عبد العزيز بن باز

التعليقات البازية على شرح الطحاوية ١ / ٦٠٤ - ٦٠٥

فقد جاء في تاريخ الطبري ١ / ٤١ والسنة المنسوب لعبد الله بن أحمد ٢ / ٤٧٧ (١٠٩٢- عن وهب بن منبه : ... إن قدميه عز وجل لعلى الكرسي ، وهو يحمل الكرسي ، وقد عاد الكرسي كالنعل في قدميه) حسن

٤- ولنسلِّم جدلاً بثبوتها إلا أنها تبقى رواية ظنية الدلالة ، ولا حجة فيها للقوم بأي وجه من الوجوه

قال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي (١٢٨هـ) :

(فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي ، **والكرسي بين يدي العرش** ، **وهو موضع قدميه**)

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٢ / ٤٩١ رقم ٢٦٠٣

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ٥٣٨

قال الإمام ابن فورك (٤٠٦هـ) :

(ورُوي عنه أن الكرسي موضع القدمين. ولم **يقل موضع قدمي مَن ! فيحتمل أن يكون موضع قدمَي بعض خلقه من الملائكة أو غيرهم** ، إذ لم يقل هو موضع قدمَي الله عز ذكره)

مشكل الحديث ص٢٢٨

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) :

(قد روينا في هذا أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، **وذكرنا أن معناه فيما ترى أنه موضوع من العرش موضع القدمين من السرير** ، وليس فيه إثبات المكان لله سبحانه)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٧٦ - الأزهرية

قال الشيخ العارف بالله عبد الوهاب الشعراني (٩٧٣هـ) :

(والجواب : أن المراد بالقدمين هنا إجماع أهل الكشف كلهم هما قدما الأمر والنهي ، ويُعبَّر عنهما أيضاً بالخير والشر ، الذين هما من أثر الأمر والنهي ، وكلاهما صحيح ، خلاف ما توهَّمه المجسمة.

وإيضاح ذلك : أن الكرسي تحت العرش ، كالسلم تحت الغرفة في العادة ، والعرش محل أحدية الكلمة ؛ لغلبة الرحمة فيه على الرحمة التي في الكرسي ، بقرينة قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) طه ٥ ، فما ذكر الاستواء إلا بالاسم الرحمن)

القواعد الكشفية الموضِّحة لمعاني الصفات الإلهية ص١٦٧

٥- **حاول الناقد تضعيف أثر جعفر بن أبي المغيرة في تفسير ابن عباس للكرسي بالعلم ، فنقل قول ابن منده عن جعفر (ولم يتابع عليه ، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير) ، وقول أبو منصور الأزهري عن رواية جعفر (فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار)**

قلت : لم ينقل ابن منده هذا الكلام عن أحد العلماء بل هذا رأيه وهو لم يلقَ جعفر بن أبي المغيرة ، أما أبو منصور الأزهري فليس الحديث صنعته وقد صحَّح رواية جعفر بعض أئمة الحديث مثل :

ابن حبان في صحيحه ٩ / ٥١٦

والحاكم في المستدرك والضياء في المختارة ١٠ / ٩٩

وابن حجر في فتح الباري ١٠ / ٢٥٣

وقوّى الإمام الطبري (٣١٠هـ) نسبة هذا التأويل لابن عباس حيث قال :

(فأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه أنه قال هو علمه ... وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) غافر ٧ . فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء ، فكذلك قوله (وسع كرسيه السماوات والأرض)

وأصل الكرسي : العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب : كراسة)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ٥٤٠

وقال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) :

(وقال ابن عباس : كرسيه علمه ، ورجَّحه الطبري)

الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٧٦

٦- إن تأويل الصحابي ابن عباس للكرسي بالعلم هو التفسير الموافق لتفسير القرآن بالقرآن فقد قال الله جل جلاله : (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) الأنعام ٨٠ ، (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً) غافر ٧ ، (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) التغابن ٤

والثابت عن سعيد بن جبير (٩٥هـ) تأويله الكرسي بالعلم

صحيح البخاري ٦ / ٣١ - دار طوق النجاة / الطبعة اليونينية

وقال اللغوي الزجاج الحنبلي (٣١٠هـ) : (أمر عظيم من أمره جلَّ وعز)

معاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٣٧ - ٣٣٨

ومن المسلمين خلقٌ كثير يذهبون إلى أن الكرسي هو العلم

البدء والتاريخ ١ / ١٦٧

نضيف لهذا أن العرب لا تعرف في لغتها أن الكرسي يأتي بمعنى موضع القدمين بل يعرفون أن من معانيه السرير أو العلم ، كما أن سياق الآية يدلُّ على أن الكرسي هو العلم حيث قال ربنا عز وجل (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) البقرة ٢٥٥

فكيف نردُّ ما هو قطعي الثبوت والدلالة برواية آحاد ظنية الثبوت ظنية الدلالة موقوفة على صحابي ؟!

٧- وقد مال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) إلى تأويل الكرسي بالقدرة حيث قال :

(فلو قيل وسع علمه السماوات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسباً ، لا سيما وقد قال الله تعالى "ولا يؤوده حفظهما" أي لا يثقله ولا يكرثه ، **وهذا يناسب القدرة لا العلم**)

مجموع الفتاوى ٦ / ٥٨٤

قال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) : (وقيل كرسيه قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض)

الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٧٧

ص٥٥٨ ثانياً : تأويل الصحابي الجليل ابن عباس لمجيء الرب (وجاء ربك) الفجر ٢٢ بمعنى : أمره وقضاؤه

مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣ / ٦٤١

وتأويل الحسن البصري للمجيء بمعنى : أمره وقضاؤه

الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٥٥

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٨ / ٤٢٢

زعم الناقد أن هذين التأويلين ليس لهما أصل ولا إسناد ولم يذكرهما المصنفون من أهل الرواية

١- أما تأويل ابن عباس فقد نقله الإمام الواحدي في الوسيط ٤ / ٤٨٤ عن رواية الكلبي وهو متروك عند أهل العلم بالحديث ، وأورده الإمام النسفي في مدارك التنزيل ٣ / ٦٤١ عنعنةً (عن ابن عباس)

أما تأويل الحسن البصري فقد نقله الإمام الواحدي في الوسيط ٤ / ٤٨٤ ، والإمام الثعلبي في الكشف والبيان ١٠ / ٢٠١ ، ومحيي السنة البغوي في معالم التنزيل ٨ / ٤٢٢ ، والإمام الشربيني في السراج المنير ٤ / ٥٣٥ ، والإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٢٨١ ، والإمام ابن عادل في اللباب ٢٠ / ٣٣١

وقد أورده كافة الأئمة معلَّقاً بصيغة الجزم (قال الحسن) ، فهذا التأويل قد ثبت عندهم ، فنقلوه وحذفوا سنده ، ولعلهم نقلوه عن آثار سابقة اطلعوا عليها ولم تصل إلينا ، ونقل الثقات لا يندفع. والله تعالى أعلم وأحكم

٢ – إن هذين التأويلين سواء ثبتا عن الصحابي ابن عباس والتابعي الحسن البصري أم لم يثبتا فهما ثابتان في كتاب الله

قال الله جل جلاله : (إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ) هود ٧٦ . **وخير ما يفسِّر القرآن القرآن**

وقال عز وجل أيضاً : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) النحل ٣٣

وقال عز وجل أيضاً : (فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ) غافر ٧٨

٣- ومن تأويلات السلف الصالح وتنزيههم للمجيء :

قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) :

(جاء ثوابه) قال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : وهذا إسناد لا غبار عليه

مناقب أحمد للبيهقي (مخطوط)

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١١٠

البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٢

نهاية المبتدئين في أصول الدين ص٣٥

قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) : (يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلاً يسميه إتياناً ومجيئاً)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤١٤ ـ الأزهرية

أصول الدين للبغدادي ص١١٣

قال الإمام المنذر بن سعيد البلوطي (٣٥٥هـ) : (معناه ظهر سبحانه للخلق هنالك وليس بمجيء نقلة)

البحر المحيط ٨ / ٤٦٦

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص١٩٧٧

روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ٣٠ / ١٢٨

قال الإمام أحمد بن عبد الله المزني (٣٥٦هـ) :

(والنزول والمجيء صفتان منفيَّتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه. جلَّ الله تعالى عما تقول المعطِّلة لصفاته والمشبِّهة بها علوّاً كبيراً)

السنن الكبرى – البيهقي ٣ / ٤ رقم ٤٦٥٥

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٢١ – الأزهرية

قال الإمام أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) : (أي وجاء أمرُ ربكَ بالمجازاةِ والمحاسَبة ...) التفسير الكبير

ومن تأويلات السلف الصالح للإتيان :

نقل الإمام الواحدي والإمام الثعلبي والإمام الرسعني والإمام القرطبي والإمام أبو حيان الأندلسي والإمام ابن عادل والإمام الآلوسي عن ابن عباس والضحاك قولهما : أمره

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢ / ٣٤٠

الكشف والبيان ٤ / ٢٠٧

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٢ / ٥٥

الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٢٩

البحر المحيط ٤ / ٢٥٨

اللباب في علوم الكتاب ٨ / ٥٢٦

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٨ / ٦٢

نقل الإمام أبو حيان الاندلسي معلِّقاً بصيغة الجزم قول مجاهد : بعلمه وقدرته بلا أين ؟ ولا كيف ؟

البحر المحيط ٤ / ٢٥٨

نقل الإمام الماتريدي والإمام الماوردي والحافظ ابن الجوزي والإمام الرسعني والإمام الآلوسي عن الحسن البصري قوله : أمره

تأويلات أهل السنة ٢ / ١٠٤

النكت والعيون ٢ / ١٩٠

زاد المسير في علم التفسير ٣ / ١٥٦

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٢ / ٥٥

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٨ / ٦٢

قال جعفر الصادق (١٤٨هـ) :

(هل ينظرون إلا إقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق فيكشف عنهم أستار الغفلة ، فيشهدون برَّه ولطفه بل ويشاهدون البارَّ الرحيم اللطيف)

حقائق التفسير ١ / ٧٢

قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : (قدرته وأمره)

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١٤١

نهاية المبتدئين في أصول الدين ص٣٥

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) :

(ثم اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله : (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ يأتِيَهُمُ اللّهُ). فقال بعضهم : لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عزّ وجل من المجيء والإتيان والنزول ، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله ، أو من رسول مرسل. فأما القول في صفات الله وأسمائه ، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا .....

وقال آخرون : معنى قوله : (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ يأتِيَهُمُ اللّهُ) يعني به : هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله ، كما يقال : قد خشينا أن يأتينا بنو أمية. يراد به حكمهم

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هل ينظرون إلا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه ، كما قال عز وجل : (بَلْ مَكْرُ اللّيْلِ وَالنّهارِ) سبأ ٣٣ ، وكما يقال : قطع الوالي اللصّ أو ضربه ، وإنما قطعه أعوانه)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣ / ٦١٠

قال اللغوي الزجاج (٣١١هـ) : (يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب) (إهلاك ربك إياهم وانتقامه منهم)

معاني القرآن وإعرابه ١ / ٢٨٠ وكذلك ٢ / ٣٠٧

قال الإمام أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) : (معناهُ : أو يَأْتِيَ أمرُ ربكَ بإهلاكِهم والانتقامِ منهم ؛ إمَّا بعقابٍ عاجل أو بالقيامَةِ) التفسير الكبير

ص٥٥٩ ثالثاً : تأويل الصحابي الجليل ابن عباس (واصنع الفلك بأعيننا) هود ٣٧ بمعنى : بمرأى منا

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٤ / ١٧٣

(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور ٤٨ بمعنى : نرى ما يُعمَلُ بك

لباب التأويل في معاني التنزيل ٦ / ٢٥٤

زعم الناقد أن الرواية الثابتة عن ابن عباس إنما هي رواية عطاء ("واصنع الفلك بأعيننا" هود ٣٧ قال ابن عباس : بعين الله ، ورواية أخرى من رواية عطاء ("تجري بأعيننا" القمر ١٤ أشار – أي ابن عباس – بيده إلى عينيه وهذا صريح منه في إثبات العينين

وزعم (أن التأويل الذي نقله المؤلفان – على فرض ثبوته – ليس من التأويل في شيء وإنما هو من التفسير باللازم وليس صرف للفظ عن ظاهره)

١- أما التأويل الأول : فقد نقله الإمام الواحدي في الوسيط ٢ / ٥٧٢ ، والإمام السمعاني في تفسيره ٢ / ٤٢٧ ، ومحيي السنة البغوي في معالم التنزيل ٤ / ١٧٣ ، والحافظ ابن الجوزي في زاد المسير ٤ / ١٠١ ، والإمام الرسعني في رموز الكنوز ٣ / ١٥٢ ، والعلامة الخازن في لباب التأويل ٢ / ٣٥٠

وقد علَّقه كافة الأئمة بصيغة الجزم (قال ابن عباس) ، فهذا التأويل قد ثبت عندهم ، فنقلوه وحذفوا سنده ، ونقل الثقات لا يندفع

وقد نقل الإمام القرطبي معلِّقاً بصيغ الجزم قول ابن عباس : بحراستنا ، وقول الضحاك وسفيان : بأمرنا

الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٠٨ - ١٠٩

ونقل الإمام الواحدي والحافظ ابن الجوزي والإمام الرسعني والإمام القرطبي عن الربيع بن أنس قوله : بحفظنا

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢ / ٥٧٢

زاد المسير في علم التفسير ٤ / ١٠١

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٣ / ١٥٢

الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٠٨

قال الإمام أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) : (بحفظنا لك) التفسير الكبير

أما التأويل الثاني : فقد نقله الإمام السمعاني في تفسيره ٥ / ٢٨١ ، ومحيي السنة البغوي في معالم التنزيل ٧ / ٣٩٤ ، والعلامة الخازن في لباب التأويل ٤ / ٢٠٣ ، والإمام ابن عادل في اللباب ١٨ / ١٤٩

وقد علَّقه كافة الأئمة بصيغة الجزم (قال ابن عباس) ، فهذا التأويل قد ثبت عندهم ، فنقلوه وحذفوا سنده ، ونقل الثقات لا يندفع

وقد نقل الإمام الماوردي معلِّقاً بصيغة الجزم قول السدي : بعلمنا

النكت والعيون ٥ / ٣٨٧

قال سهل التستري (٢٨٣هـ) :

(يعني ما ظهر على صفاتك من فعل وقدرة يتولى جملتك بالرعاية والكلاءة والرضا والمحبة والحراسة من الأعداء)

تفسير سهل التستري ص٢٦١

قال الإمام أبو العباس ابن عطاء الآدمي (٣٠٩هـ) : (أي مغمور في حفظنا وغريق في فضلنا ومستور بحفظنا)

حقائق التفسير ٢ / ٢٨١

قال اللغوي الزجاج (٣١١هـ) : (أي فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك ، ولا يصلون إلى مكروهك)

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٦٨

قال الإمام أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) : (أي فإنَّكَ بحيثُ نراكَ ونحفظُكَ ونرعاكَ، وإنَّهم لا يَصِلُونَ إلى مكرُوهِكَ) التفسير الكبير

ومن المعروف أن محيي السنة البغوي قد صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة

وصفه العلامة الخازن في مقدمة تفسيره بأنه (من أجمل المصنفات في علم التفسير وأعلاها ، **جامع للصحيح من الأقاويل** ، عارٍ من الشبه والتصحيف والتبديل ، محلَّى بالأحاديث النبوية ، مطرَّز بالأحكام الشرعية ، موشَّى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة ، مرصَّع بأحسن الإشارات ، مخرَّج بأوضح العبارات ، مفرَّغ في قالب الجمال بأفصح مقال) وتفسير الخازن إنما هو اختصار لتفسير البغوي

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) الذي قال :

(وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها **فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة "البغوي"**)

مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٨٦

وكذلك الشيخ صالح الفوزان الذي صرَّح في مختصر تفسير البغوي قائلاً :

(إن تفسير الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تفسير جيد ، شهد العلماء بجودته وإتقانه **وتمشيه على مذهب السلف في المنهج والاعتقاد**)

٢- وفي رواية عطاء عن ابن عباس قال عند قوله تعالى (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) هود ٣٧ : بعين الله

قال الإمام ابن عطية (٥٤١هـ) "عند قوله تعالى (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) الطور ٤٨" :

(ومعناه بإدراكنا وأعين حفظنا وحيطتنا كما تقول : **فلان يرعاه الملك بعين**)

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص١٧٧٦

وهي جمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها ، وهي ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوظ بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩ / ٣٨

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٤ / ١٢٠ – ١٢١

وفي رواية عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) القمر ١٤ : أشار بيده إلى عينيه

قلت : وحاشا لسيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنه إثبات عينين حقيقيّتين للباري جل جلاله ، إذ ليس في الآية إثبات عينين بل إثبات لفظ (أعين)

وهذه الرواية لا تثبت ؛ في سندها علي بن صدقة ، وقد ذكر الناقد أنه لم يجد له ترجمة ص٩٠

روى الحافظ أبو القاسم اللالكائي بسنده (٧٣٩– أن رجلاً قرأ على الإمام أحمد بن حنبل (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) الزمر ٦٧ قال : ثم أومأ بيده

فقال له أحمد : قطعها الله قطعها الله ، ثم حرد وقام)

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٤٣٢

قلت : فانظر كيف غضب الإمام أحمد لما رأى حركة الرجل ، لأن ذلك يوهم التشبيه ، وهذا انحراف أخطر من التعطيل ، وما كان لأحمد أن يفرَّ من انحراف إلى انحراف ، فجابه الرجل بالدعاء عليه وغادر المجلس الذي حدثت فيه تلك البدعة

٣– ص٥٦٠ زعم الناقد أن الحفظ والرعاية ليس تأويلاً بل هو ثبوت لملزوم

إن قول الباري جل جلاله (بأعيننا) يمكن – فيما يتأول – أن يريد به بمرأى منا وتحت إدراك ، فتكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ ، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير كما قال تعالى : (فنعم القادرون) المرسلات ٢٣ ، فرجع معنى الأعين في هذه وفي غيرها إلى معنى عين في قوله : (ولتصنع على عيني) طه ٣٩ ، وذلك كله عبارة عن الإدراك وإحاطته بالمدركات ، وهو تعالى منزَّه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره)

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص٩٤٣ – ٩٤٤

الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣ / ٢٨٢

قال الإمام الصاوي المالكي (١٢٤١هـ) :

(قوله : (بمرأى منا وحفظنا) دفع بذلك ما يقال : إن ظاهره مستحيل لاستحالة الأعين بمعنى الجارحة المعلومة على الله. فأجيب : بأن أطلق الملزوم وأرد اللازم ، لأنه يلزم من كون الشيء بالأعين ، أنه مبالغ في حفظه)

حاشية على الجلالين ٢ / ١٨٢ - ١٨٣

قال الإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ) :

(أي في حفظنا وحراستنا ، **فالعين مجاز عن الحفظ ، ويتجوز بها أيضاً عن الحافظ وهو مجاز مشهور ،** وفي «الكشاف» هو مثل أي بحيث نراك ونكلؤك ...)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٧ / ٤٠

قال الإمام ابن عاشور المالكي (١٣٩٣هـ) :

(والباء في ((بأعيننا)) للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير (اصنع).

والأعين استعارة للمراقبة والملاحظة. وصيغة الجمع في ((أعيننا)) بمعنى المثنى ، أي بعينينا ، كما في قوله :

(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور ٤٨. والمراد الكناية بالمعنى المجازي عن لازمه وهو الحفظ من الخلل والخَطأ في الصنع)

التحرير والتنوير ١٢ / ٦٦

وقال أيضاً :

(فإن الباء للإلصاق المجازي ، أي لا نغفل عنك ، يقال : هو بمرأى مني ومسمع ، أي لا يخفى عليّ شأنه. وذكر العين تمثيل لشدة الملاحظة وهذا التمثيل كناية عن لازم الملاحظة من النصر والجزاء والحفظ)

التحرير والتنوير ٢٧ / ٨٤

٤- وها هو الشيخ ابن جبرين (١٤٣٠هـ) يثبت أن تأويل الأعين بالحفظ والرعاية هو تحريف إذ يقول :

(وليس في قوله تعالى "على عيني " دليل على أن لله عيناً واحدة ، بل المقصود بذلك جنس العين لا عددها لأنه ورد في السنة أن لله عينين حقيقيتين تليقان به وأما عن ورودها في القرآن بصيغة الجمع وبصيغة الإفراد **فليس فيه دليل لأهل التحريف الذين يحرفون معناها إلى الحفظ والرعاية)**

التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية ١ / ١٧٧ – ١٧٨

ولم يتبين لنا – حتى الآن – الأصل الذي اعتمد عليه الناقد في الحكم على التأويل بأنه تفسير باللازم ، والأصل الذي اعتمد عليه الشيخ ابن جبرين في الحكم على التأويل بأنه من فعل أهل التحريف ، مما يعرفك أن القوم ليس لهم قواعد في ممارسة التأويل ؛ فإن كان التأويل موافق لهواهم قبلوه وحرَّفوا الاصطلاح حتى وقعوا في التناقض ... فتأمل !!

ولذلك أقول إن شهرة هذا التأويل واستفاضته بين الناس هو ما خيَّل للناقد أن هذا ليس بتأويل ، فعمد للفرار من هذه الحقيقة فأنكر الإصطلاح وبقي معناه

ص٥٦١ رابعاً : تأويل الصحابي الجليل ابن عباس (والسماء بنيناها بأيد) الذاريات ٤٧ بمعنى : بقوة وقدرة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٥٤٥

حاول الناقد بداية أن يثبت أن هذه الآية ليست من آيات الصفات ، ثم نقل من إبانة الأشعري المحرف وتوحيد ابن خزيمة المنسوخ ليثبت ذلك

١– ما رأي الناقد بهذا الوحي الإلهي الراقي ؟!

(وَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا **أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ** بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) الأعراف ١٩٥

وبذلك تكون قد دُمِّرت شبهة القول بأن الآية ليست من آيات الصفات بل ويكون الناقد قد وقع في جرم التعطيل لهذه الصفة الإلهية كونه أنكرها

٢- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا} [يس: ٧١] ، أَيْ: بِقُوَّتِنَا فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ، كَقَوْلِهِ: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات: ٤٧] وَقَالَ السُّدِّيُّ: {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} [يس: ٧١] ، يَعْنِي: مِنْ فِعْلِهِ.

تفسير يحيى بن سلام ٢ / ٨١٩

قال اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي (٨١٧هـ) :

(اليد : الكف ، أو من أطراف الأصابع إلى الكتف ، **جمعها** : **أيدٍ** ويُديّ)

القاموس المحيط ص ١٣٤٧ / مادة يد - الرسالة

قال المرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) : (**ولفظة أيد هي جمع يد** وهي الكتف)

تاج العروس شرح القاموس ١٠ / ٤١٧

قال الإمام ابن عاشور المالكي (١٣٩٣هـ) :

(والأَيْد : القوة. **وأصله جَمع يد ، ثم كثر إطلاقه حتى صار اسماً للقوة** ، وتقدم عند قوله تعالى : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) في سورة ص

والمعنى : بنيناها بقدرة لا يقدر أحد مثلها)

التحرير والتنوير ٢٧ / ١٦

٣- ومن الذين أوَّلوا اليد بالقوة ؛ مجاهد وقتادة بن دعامة وعطاء بن أبي مسلم الخراساني وسفيان الثوري ومنصور بن المعتمر والفراء ومعمر بن المثنى والطبري والزجاج والماتريدي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٥٤٥ - ٥٤٦

العظمة ٣ / ١٠٣٤ رقم ٥٥٢

معاني القرآن للفراء ٣ / ٨٩

مجاز القرآن ١ / ٤٦

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٥٧

تأويلات أهل السنة ٩ / ٣٩٠

٤- وها هو الشيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ) يصرِّح بجواز تأويل اليد بالنعمة أو القوة فيقول :

(لكن إن قال المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة قال الشاعر :

وكم لظلام الليل عندك من يد ** تحدث أن المانوية تكذب

من يد أي : من نعمة لأن المانوية يقولون : إن الظلمة لا تحدث الخير وإنما تحدث الشر)

مجموع فتاواه ١ / ١٧٧

ص٥٦٤ خامساً : تأويل الصحابي الجليل ابن عباس (الله نور السماوات والأرض) النور ٣٥ بمعنى : الله سبحانه هادي أهل السماوات والأرض

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ١٣٥

زعم الناقد أن إسناد الرواية منقطع وأن الرجل قد وثقه البعض وطعن به البعض الآخر ، ثم خلص إلى أن هذا ليس بتأويل لأن المعنيان متلازمان

١- إن رواية علي بن أبي طلحة قد اختلف عليها العلماء اختلافاً كبيراً ، فمنهم من وثَّقه وأثنى عليه ، ومنهم من يطعن في عدالته ويضعفه ويرى أن له مناكير

(قال أحمد : له أشياء منكرات)

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢/ ٩٧٤

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ١٣٤ رقم ٥٨٧٠

مع أن الإمام أحمد أثنى على صحيفته التي روى فيها تفسير ابن عباس

الناسخ والمنسوخ ص١٣

(قال يعقوب بن سفيان : إنه ضعيف الحديث منكر ، ليس بمحمود المذهب)

المعرفة والتاريخ ٢ / ٤٥٧

(قال يعقوب بن سفيان : ليس هو بمتروك ولا هو بحجة)

(قال أبو داود السجستاني : إن شاء الله مستقيم الحديث ، ولكن كان له رأي سوء ، كان يرى السيف)

تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢ / ٩٧٤

(وثقه العجلي)

تهذيب التهذيب ٣ / ١٧٢

(قال النسائي : ليس به بأس ، وقال الذهبي : روى عن معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس تفسيراً كبيراً ممتعاً)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ١٣٤ رقم ٥٨٧٠

الإتقان في علوم القرآن ٤ / ٢٣٧

فهذه عصارة ما نصَّ عليه الحفاظ فيه وهي في غالبيتها لصالحه. ومحصول التفسير الذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس له أهميته وقيمته عند المفسرين ، وقد وُجِدت نسخة من هذا التفسير في عصر الإمام أحمد في مصر ، وكانت تُشَّدُ الرحال طلباً لإجازة بتفسير أحمد بن حنبل

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ١٣٤

قال الإمام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) :

(وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ، وها أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة ؛ فإنها من أصح الطرق عنه ، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه)

الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٧٣٧

والإمام علي بن أبي طلحة لم يسمع من الصحابي ابن عباس وإنما أخذ التفسير عن التابعي مجاهد بن جبر فلم يذكر مجاهداً بل أرسله عن ابن عباس

قال أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) :

(والذي يطعن في إسناده يقول : إن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير وإنما أخذ مجاهد وعكرمة .. وهذا القول لا يوجب طعناً لأنه أخذ عن رجلين ثقتين وهو في نفسه صدوق)

الناسخ والمنسوخ ص١٣

وقد ذهب الإمام ابن الوزير (٨٤٠هـ) إلى أن روايته عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن كان يرسلها فمجاهد ثقة يقبل

إيثار الحق على الخلق ص١٤٨

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(وعلي صدوق ولم يلقَ ابن عباس لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه فلذلك كان البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة)

العجاب في بيان الأسباب ١ / ٢٠٧

وقال أيضاً : (بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة ، فلا ضير في ذلك)

الإتقان في علوم القرآن ٤ / ٢٣٧

وقال بعض علماء الوهابية :

(... وإسناد علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يصححه العلماء وإن لم يدركه ، لأن بينه وبين ابن عباس رضي الله عنهما مجاهد كما تقدم ، ومن هنا عدُّوه من الطرق الصحيحة لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما)

وقالوا أيضاً :

(وعلي بن أبي طلحة وإن لم يلقَ ابن عباس رضي الله عنهما لكنه حمل عن ثقات أصحابه ، فلذلك كان البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة ، انظر العجاب للحافظ ابن حجر ١ / ٢٠٧)

تحقيقهم لكتاب الإتقان للسيوطي ١ / ٢١٢ – ٢١٣ وكذلك ٣ / ١١٢٠

قلت : وبذلك تسقط حجة الناقد بانقطاع السند ، والصحيح قبول ما جاء بهذه الصحيفة ما لم يظهر فيه نكارة أو مخالفة

قال الدكتور محمد أبو شهبة :

(طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من جيد الطرق والأسانيد عن ابن عباس)

الاسرائيليات في كتب التفسير ص٢٧٩

قال الدكتور السيد أحمد خليل "في كلامه عن الطرق المأثورة عن ابن عباس" :

(وخير الطريق عنه طريقة علي بن أبي طلحة الهاشمي المتوفى ١٤٣ هـ وقد اعتمد عليه البخاري في صحيحه)

نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ص٣٦

قال الدكتور محمد كامل حسين :

(ومجمل القول : إن هذه الطريق من أصح الطرق في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما)

مقدمة معجم غريب القرآن محمد فؤاد عبد الباقي

٢- **زعم الناقد أن الأثر إن صح فليس من التأويل لأن المعنيان متلازمان**

روى الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد : كيف يخلُصُ نور الله من دون السماء ؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره ، فقال : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ). قال : **وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمَّى طاعته نوراً ثم سمَّاها أنواراً شتى)**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٣٠٠

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٨ / ٢٥٩٦ رقم ١٤٥٧٠

قال العارف البصير عمرو بن عثمان المكي (٢٩١هـ) :

(**كل ما توهَّمه قلبك أو رسخ في مجاري فكرتك أو خطر في معارضات قلبك من** حسن أو بهاء أو أنس أو جمال **أو ضياء** أو شبح **أو نور** أو شخص أو خيال **فالله تعالى بعيد من ذلك** ألا تسمع إلى قوله تعالى

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى ١١ ، وقال (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) الإخلاص ٣-٤)

الرسالة القشيرية ٥٧

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ)

(يعني تعالى ذكره بقوله : (اللّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) : **هادي مَن في السموات والأرض** ، فهم بنوره إلى الحقّ يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا) ثم قال :

(... **فتأويل الكلام** : ...... **لأني هادي أهل السماوات وأهل الأرض** ...)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧ / ٢٩٥ - ٢٩٧

قال الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) :

(... وبمجموع هذه الدلائل يبطل قول المانوية الذين يعتقدون أن الإله سبحانه هو النور الأعظم. وأما المجسمة المعترفون بصحة القرآن فيُحتَجُّ على فساد قولهم بوجهين :

(الأول) قوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء) الشورى ١١ ، ولو كان نوراً لبطل ذلك لأن الأنوار كلها متماثلة

(الثاني) : أن قوله تعالى : (مَثَلُ نُورِهِ) صريح في أنه ليس ذاته نفس النور بل النور مضاف إليه. وكذا قوله : (يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ) ، فإن قيل قوله : (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَاتِ) يقتضي ظاهره أنه في ذاته نور. وقوله : (مَثَلُ نُورِهِ) يقتضي أن لا يكون هو في ذاته نوراً وبينهما تناقض ، قلنا نظير هذه الآية قولك زيد كرم وجود ، ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده ، وعلى هذا الطريق لا تناقض

(الثالث) : قوله سبحانه وتعالى : (وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ) الأنعام ١ ، **وذلك صريح في أن ماهية النور مجعولة لله تعالى فيستحيل أن يكون الإله نوراً** ، **فثبت أنه لا بدَّ من التأويل** ...) ثم نقل تأويلات أهل العلم

مفاتيح الغيب ٢٣ / ٢٢٤ - ٢٢٥

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) :

("اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" أي : منوّرهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار. فهو مجاز من إطلاق الأثر على مؤثره. كما يطلق السبب على مسببه. أو مدبرهما ، من قولهم للرئيس الفائق في التدبير (نور القوم) لأنهم يهتدون به في الأمور فيكون مجازاً. أو استعارة استعير (النور) بمعنى : المنور ، للمدبر ، لعلاقة المشابهة في حصول الاهتداء. أو موجدهما. فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره – كما قاله الغزالي – فيكون أطلق عليه تعالى مجازاً مرسلاً باعتبار لازم معناه.

قال أبو السعود : وعبر عن المنوّر بالنور ، تنبيهاً على قوة التنوير وشدة التأثير. وإيذاناً بأنه تعالى ظاهر بذاته ، وكل ما سواه ظاهر بإظهاره. كما أن النور نيّر بذاته وما عداه مستنير به. وأضيف (النور) إلى (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) للدلالة على سعة إشراقه. أو المراد بهما العالم كله)

محاسن التأويل ١٢ / ٤٥٢٤

قال الإمام ابن عاشور المالكي (١٣٩٣هـ) :

(والنور : حقيقته الإشراق والضياء. وهو اسم جامد لمعنى ، فهو كالمصدر لأنا وجدناه أصلاً لاشتقاق أفعال الإنارة فشابهت الأفعال المشتقة من الأسماء الجامدة نحو : استنوق الجمل ، فإن فعل أنار مثل فعل أفلس ، وفعل استنار مثل فعل استحجر الطين. وبذلك كان الإخبار به بمنزلة الإخبار بالمصدر أو باسم الجنس في إفادة المبالغة لأنه اسم ماهية من المواهي فهو والمصدر سواء في الاتصاف. فمعنى : (الله نور السماوات والأرض) أن منه ظهورهما. والنور هنا صالح لعدة معان تشبّه بالنور. وإطلاق اسم النور عليها مستعمل في اللغة.

فالإخبار عن الله تعالى بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا يتردّد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ، ولا تخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهراً أو عرضاً. وأسعد إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء الأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقل الاهتداء إليها ، فإطلاقه على ذلك مجاز بعلامة التسبب في الحس والعقل. وقال الغزالي في رسالته المعروفة «بمشكاة الأنوار» : النور هو الظاهر الذي به كل ظهور ، أي الذي تنكشف به الأشياء وتنكشف له وتنكشف منه وهو النور الحقيقي وليس فوقه نور. وجعل اسمه تعالى النور دالاً على التنزه عن العدم وعلى إخراج الأشياء كلها عن ظلمة العدم إلى ظهور الوجود ، فآل إلى ما يستلزمه اسم النور من معنى الإظهار والتبيين في الخلق والإرشاد والتشريع. وتبعه ابن برَّجان الإشبيلي في «شرح الأسماء الحسنى» فقال : إن اسمه النور آل إلى صفات الأفعال)

التحرير والتنوير ١٨ / ٢٣١ – ٢٣٢

فنقوم بصرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر مقبول عند أهل اللغة وهو الهداية أو تدبير الأمر ، وقد اعترض الشيخ عبد الله الغنيمان على "تأويل النور بأنه منوِّر قلوب عباده المؤمنين بالهداية والمعرفة" فقال :

(هذا تأويل باطل كما سيأتي بيان بطلانه)

شرح كتاب التوحيد ١ / ١٧١

فبطل زعم الناقد أن هذا ليس من التأويل

٣- ومن تأويلات السلف للنور :

نقل الإمام الطبراني والإمام الثعلبي ومحيي السنة البغوي والإمام القرطبي والإمام أبو حيان الأندلسي والإمام ابن عادل والإمام الشربيني عن أبيّ بن كعب وأبي العالية والحسن البصري قولهم : مزيِّن السماوات بالشمس والقمر والنجوم ، ومزيِّن الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين

التفسير الكبير

الكشف والبيان ٧ / ١٠٠

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٦ / ٤٥

الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٥٦

البحر المحيط ٦ / ٤١٨

اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣٨١

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢ / ٦٢٢

قال ابن عباس (٦٨هـ) ومجاهد (١٠٠هـ) : (يدبِّر الأمر فيهما ؛ نجومهما وشمسهما وقمرهما)

جامع البيان عن تأويل القرآن ١٧ / ٢٩٦

نقل الإمام الطبراني والإمام الثعلبي ومحيي السنة البغوي والإمام القرطبي والإمام ابن عادل والإمام الشربيني عن الضحاك قوله : منوِّر السماوات والأرض

التفسير الكبير

الكشف والبيان ٧ / ١٠٠

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٦ / ٤٥

الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٥٦

اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣٨١

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢ / ٦٢٢

نقل الإمام أبو حيان الأندلسي والإمام ابن عادل عن الحسن البصري قوله : الله منوِّرُ السماوات

البحر المحيط ٦ / ٤١٨

اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣٨٠

قال يحيى بن سلام (٢٠٠هـ) : (يعني : هدى السماوات والأرض)

تفسير يحيى بن سلام ١ / ٤٤٨

قال سهل التستري (٢٨٣هـ) : (يعني : مزيِّن السماوات والأرض بالأنوار)

تفسير سهل التستري ص٢٠٦

قال ثعلب النحوي (٢٩١هـ) : (حق أهل السماوات والأرض)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٩٥ — الأزهرية

قال اللغوي الزجاج (٣١١هـ) :

(٩٣- النور : اختلفوا في قول الله تعالى : الله نور السماوات والأرض ، فقال بعضهم : الله ذو نور السماوات يريد : أنه خالق هذا النور الذي في الكواكب كلها. لا أنه ضياء لها وأنوار لأجسامها ، بل أنوار تنفصل من

أنوار الله تعالى ، ويقال : إن حول العرش أنواراً لو انفصلت منها شرارة على الأرض لاحترقت الأرض ومَن عليها

وقال بعضهم : بل معنى قوله : الله نور السماوات والأرض ، أي أنه بما بيَّن وأوضح بحججه وبراهين وحدانيَّته نوَّر السماوات والأرض. فتقدير الكلام على هذا معرفة الله : نور السماوات ، أو أدلته : نورها ، أو براهينه . لا يجوز غير هذا)

تفسير الأسماء الحسنى ص٦٤

قال شيخ العربية أبو القاسم الزجاجي (٣٤٠هـ) :

(أي : يهتدي بنوره مَن في السماوات ومَن في الأرض ، أي بآياته وأعلامه الدالة عليه ، والبراهين الواضحة النيِّرة ، يهتدي أهل السماوات والأرض إلى توحيده والإقرار بربوبيَّته وتنزيهه من الأنداد والأمثال عز وجل)

اشتقاق أسماء الله ص١٨٢

قال الإمام أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) : (الله هادي أهل السماوات وأهل الأرض بالآيات المبيِّنات ...)

التفسير الكبير

قال اللغوي أبو منصور الأزهري (٣٧٠هـ) :

(قلت : والنور من صفات الله عز وجل ؛ قال الله تعالى : (الله نور السماوات والأرض).

قيل في تفسيره : الله هادي أهل السماوات وأهل الأرض.

وقيل : أنارها بحكمة بالغة.

وقال ابن عرفة : أي منوِّر السماوات والأرض ...)

تهذيب اللغة ١٥ / ٢٣٥

ص٥٦٧ سادساً : تأويل الصحابي الجليل ابن عباس (ويبقى وجه ربك) الرحمن ٢٧ بمعنى : الوجه عبارة عنه

الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٣٢

زعم الناقد أن هذا التأويل لا أصل له

١- إن هذا التأويل نقله الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٣٢ ، والإمام ابن عادل في اللباب ١٨ / ٣٢٤ ، والإمام الشربيني في السراج المنير ٤ / ١٦٤

وقد أورده كافة الأئمة معلّقاً بصيغة الجزم (قال ابن عباس) ، فهذا التأويل قد ثبت عندهم ، فنقلوه وحذفوا سنده ، ونقل الثقات لا يندفع

وروى الضحاك عن ابن عباس : أنه يبقى ما أريد به وجه ربك

تفسير السمعاني ٥ / ٣٢٨

٢- قال الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) :

(المسألة الأولى : ..... وعلى قول المجسم يلزم أن لا تبقى يده التي أثبتها ورجله التي قال بها ، لا يقال : فعلى قولكم أيضاً يلزم أن لا يبقى علم الله ولا قدرة الله ، لأن الوجه جعلتموه ذاتاً ، والذات غير الصفات فإذا قلت : كل شيء هالك إلا حقيقة الله خرجت الصفات عنها فيكون قولكم نفياً للصفات ، نقول : الجواب عنه بالعقل والنقل ، أما النقل فذلك أمر يذكر في غير هذا الموضع ، وأما العقل فهو أن قول القائل : لم يبق لفلان إلا ثوب يتناول الثوب وما قام به من اللون والطول والعرض ، وإذا قال : لم يبق إلا كمه لا يدل على بقاء جيبه وذيله ، فكذلك قولنا : يبقى ذات الله تعالى يتناول صفاته وإذا قلتم : لا يبقى غير وجهه بمعنى العضو يلزمه أن لا تبقى يده.

المسألة الثانية : فما السبب في حسن إطلاق لفظ الوجه على الذات ؟ نقول : إنه مأخوذ من عرف الناس ، فإن الوجه يستعمل في العرف لحقيقة الإنسان ، ألا ترى أن الإنسان إذا رأى وجه غيره يقول : رأيته ، وإذا رأى غير الوجه من اليد والرجل مثلاً لا يقول : رأيته ، وذلك لأن اطلاع الإنسان على حقائق الأشياء في أكثر الأمر يحصل بالحس ، فإن الإنسان إذا رأى شيئاً علم منه ما لم يكن يعلم حال غيبته ، لأن الحس لا يتعلق بجميع المرئي وإنما يتعلق ببعضه ، ثم إن الحس يدرك والحدس يحكم فإذا رأى شيئاً بحسه يحكم عليه بأمر بحدسه ، لكن الإنسان اجتمع في وجهه أعضاء كثيرة كل واحد يدل على أمر ، فإذا رأى الإنسان وجه الإنسان حكم عليه بأحكام ما كان يحكم بها لولا رؤيته وجهه ، فكان أدل على حقيقة الإنسان وأحكامه من غيره)

مفاتيح الغيب ٢٩ / ١٠٦ – ١٠٧

قال الإمام أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) :

(... والوجه يعبر به عن حقيقة الشيء ، والجارحة منتفية عن الله تعالى ، ونحو (كل شيء هالك إلا وجهه) القصص ٨٨ ، وتقول صعاليك مكة : أين وجه عربي كريم يجود عليّ ؟ ...)

البحر المحيط ٨ / ١٩١

وقد عرضنا فيما مضى نماذج من تأويلات السلف للوجه. فلتراجع

ص٥٦٨ سابعاً : تأويل الصحابي الجليل ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) القلم ٤٢ بمعنى : عن كرب شديد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩ / ٣٨

الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٤٩

زعم الناقد أن الآية ليست من آيات الصفات وأن الصحابة متنازعون حولها

١ – قلد الناقد الإمام ابن تيمية في رد التأويل فزعم أن الصحابة متنازعون في إدراجها ضمن زمرة الصفات ، والمؤسف أن الإمام ابن تيمية اختلق خلافاً بين الصحابة حول الآية وجعل من تأويل ابن عباس للساق بالشدة دليلاً على الخلاف ... وهذا ما يسمى بـ (الهروب إلى الأمام)

مجموع الفتاوى ٦ / ٣٩٤ – ٣٩٥

نضيف لهذا أن دعوى التنازع المزعوم مناقضة لإقرار الناقد نفسه عندما صرَّح في نقده ص٧٩ :

(ولذلك لم تختلف كلمة الصحابة قط في صفة من صفات الله عز وجل ولا في فعل من أفعاله ، ولم يتنازعوا في تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد ، فكانت كلمتهم وكلمة من بعدهم من التابعين متفقة على إقرارها كما جاءت ...)

والسؤال الذي نستدركه على الناقد ؛ إن لم تكن الساق صفة مضافة لله فلمن أضيفت إذاً ؟!

بل هي صفة مضافة إلى الله جل جلاله يشهد لذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه ٣٩٤- **باب (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) القلم ٤٢**

٤٦٣٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (**يكشف ربنا عن ساقه** ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد ، فيعود ظهره طبقاً)

وروى الإمام الدارمي في سننه ٢٨٠٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا جمع الله العباد في صعيد واحد نادى مناد ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون فيلحق كل قوم بما كانوا يعبدون ويبقى الناس على حالهم فيأتيهم فيقول : ما بال الناس ذهبوا وأنتم هاهنا فيقولون ننتظر إلهنا فيقول هل تعرفونه فيقولون إذا تعرف إلينا عرفناه **فيكشف لهم عن ساقه** فيقعون سجوداً **وذلك قول الله تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد ثم يقودهم إلى الجنة)

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) :

(... قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل : يبدو عن أمر شديد)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ١٨٦

قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) "في معرض نقله لأقوال السلف وآثارهم في الصفات" :

(٤٠- ورُوِيَ عن ابن عباس والحسن وغيرهما في قوله "يوم يكشف عن ساق" المراد به الشدة ، **وهذا تأويل منهم**)

إبطال التأويلات لأخبار الصفات ١ / ٥٥ - ٥٦

٢- قال اللغوي ابن جني (٣٩٢هـ) :

(... حتى ذهب بعض هؤلاء الجهال في قوله تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) أنها ساق ربهم - ونعوذ بالله من ضعفة النظر وفساد المعتبر - ولم يشكوا أن هذه أعضاء له وإذا كانت أعضاء كان هو لا محالة جسماً معضىً على ما يشاهدون من خلقه عز وجهه وعلا قدره وانحطت سوامى الأقدار والأفكار دونه

ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة أو تصرُّف فيها أو مزاولة لها لحمتهم السعادة بها ما أصارتهم الشقوة إليه بالبعد عنها)

الخصائص ٣ / ٢٤٦

قال اللغوي ابن سيده (٤٥٨هـ) :

(وقوله عز وجل : (يوم يكشف عن ساق) إنما يراد به : شدة الأمر ، كقولهم : قامت الحرب على ساق ، ولسنا ندفع مع ذلك أن الساق إذا أريدت بها الشدة فإنما هي مشبهة بالساق هذه التي تعلو القدم ، وإنه إنما قيل ذلك لأن الساق هي الحاملة للجملة والمنهضة لها ، فذكرت هنا لذلك تشبيهاً وتشنيعاً ، وعلى هذا بيت الحماسة :

كشفت لهم عن ساقها ** وبدا من الشر الصراح - سعد بن مالك -

وقد يكون : (يكشف عن ساق) لأن الناس يكشفون عن سوقهم ، ويشمرون للهرب عند شدة الأمر)

المحكم والمحيط الأعظم ٦ / ٥٢٥

تنويه : راجع الإشارات الجلية في بيان بعض تناقضات التيمية في المسائل العلمية والعملية للشيخ الفاضل ياسين بن ربيع حفظه الله ، فقد عرض نماذج كثيرة من تناقضات القوم في قضايا الصفات التي يدعي الناقد ألا تنازع في صفة منها

ص٥٧٣ تاسعاً : تأويل مجاهد والشافعي (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة ١١٥

قال مجاهد : قبلة الله

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١ / ٤٠٢

قال الشافعي : فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٩٣ - الأزهرية

تأويل الضحاك وأبو عبيدة (كل شيء هالك إلا وجهه) : إلا هو

دفع شبه التشبيه لابن الجوزي بتحقيق الكوثري ص١٢ – الأزهرية

حاول الناقد الهروب من هذا التأويل الثابت عن السلف الصالح فاضطربت أقواله ، حيث زعم بداية أن هذه الآية مما اختلف السلف في كونها من آيات الصفات ، وأن أكثر السلف اعتبروا أنها ليست من آيات الصفات ، وأن هذا الموضع الوحيد الذي أوَّل السلف فيه الوجه ، ثم زعم أن هذا ليس من التأويل في الشيء لأن لغة العرب تقبل هذا التفسير

١ – زعم الناقد أمراً لم يتبيَّن صحته من بطلانه ثم بنى عليه كلاماً مطوَّلاً لا يُسمِن ولا يغني من جوع ، فتأمل فلسفة الهروب إلى الأمام التي ينتهجها القوم في ردودهم !!

متى اختلف السلف الصالح حول هذه الآية بأنها من آيات الصفات أم لا ؟! ومن الذي نصَّ على ذلك ؟! كلما ثبت تأويل للسلف في آية من آيات الصفات اختلق القوم نزاعاً وهمياً بين الصحابة رضوان الله عليهم أنهم مختلفون في عدِّها من نصوص الصفات

بل هي من آيات الصفات وليس هناك أي اختلاف مزعوم عن السلف الصالح حولها خاصة أن الناقد ذكر سابقاً – كما نقلنا – أن السلف الصالح لم يختلفوا في صفة من آيات الصفات فكيف اختلفوا في تحديدها ؟!

قال العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (١٤٣٤هـ) :

(ولا وجه ، لمن يبحث عن عذر لتأويل ابن تيمية هذا يميزه عن التأويلات الأخرى ويعطيه من دونها الأرجحية والحق ، بأن الوجه في الآية المذكورة لا يتعيّن أن يكون من الصفات ، ولذلك لا ضير في اقتحام التأويل إليه

نقول : لا وجه لهذا الكلام ، إذ هو مصادرة على المطلوب ، فإن الذي جعل الوجه محتملاً أن لا يكون من الصفات ، هو التأويل الذي فتح ابن تيمية بابه إليه . **ولولا التأويل الذي هو محل النظر والبحث لا خطر في البال أن يكون الوجه إلا صفة من صفات الأسماء أثبتها الله عز وجل لذاته كما شاء** ، وكما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه)

السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ص١٣٦ – ١٣٧

وهذا التأويل ثابت عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة البربري والحسن البصري وقتادة بن دعامة والشافعي والزجاج

تفسير ابن أبي حاتم الرازي ١ / ٢١٢ رقم ١١٢٢ – ١١٢٤

سنن الترمذي ٥ / ٢٠٦ رقم ٢٩٥٨

زاد المسير في علم التفسير ١ / ١٣٥

معالم التنزيل وحقائق التأويل ١ / ١٤٠

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٢٩٣ – الأزهرية

تفسير الإمام الشافعي ١ / ٢٢٠ – التدمرية

معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٩٧

أما الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) فيبدو أن لديه رأياً آخراً ، ولذلك ردَّ هذا التأويل من وجوه قائلاً :

(الوجه الثامن عشر : أن تأويل وجه الله بقبلة الله وإن قاله بعض السلف كمجاهد وتبعه الشافعي فإنما قالوه في موضع واحد لا غير وهو قوله تعالى "ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله" فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع فهل يصح أن يقال ذلك في غيره من المواضع التي ذكر الله تعالى فيها الوجه .....

على أن الصحيح في قوله "فثم وجه الله" أنه كسائر الآيات التي ذكر فيها الوجه ..... وهذا لا يتعين حمله على القبلة والجهة ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة)

مختصر الصواعق المرسلة ٣ / ١٠١٠ – ١٠١١

٢– ليس صحيحاً أن هذا الموضع الوحيد الذي أوَّل السلف فيه الوجه ، وإليك البيان :

* أوَّل السلف الصالح قول الحق تبارك وتعالى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) القصص ٨٨

نقل الإمام الثعلبي والإمام القرطبي وشيخ الإسلام ابن تيمية عن جعفر الصادق قوله : إلا دينه

الكشف والبيان ٧ / ٢٦٧

الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٣١

مجموع الفتاوى ٢ / ٤٢٧

قال عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) : (كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه)

حقائق التفسير ٢ / ١١٢

قال الإمام يحي بن سلام (٢٠٠هـ) : (إلا الله فإنه لا يموت تبارك وتعالى)

تفسير يحي بن سلام ٢ / ٦١٤

قال الإمام البخاري (٢٥٦هـ) : (إلا ملكه)

صحيح البخاري ٦ / ١١٢ – دار طوق النجاة – النسخة اليونينية

قال الإمام أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ) : (أي إلا هو) التفسير الكبير

وكذلك أوَّله شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) قائلاً : (أي دينه وإرادته وعبادته) مجموع الفتاوى ٢ / ٤٣٣

* أوَّل السلف قول الحق تبارك وتعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) الإنسان ٩

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) : (طلب رضا الله والقربة إليه) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٥٤٦

قال الإمام الزجاج (٣١١هـ) : (أي لطلب ثواب الله عز وجل) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥٩

٣- أما الشيخ عبد الله الغنيمان فكان له رأي آخر وقد فضل الهروب من الحمى إلى الطاعون فقال :

(قوله – أي ابن كثير– "فعبَّر بالوجه عن الذات لا يقصد نفي صفة الوجه عن الله تعالى ، وإنما مراده أن الذات تابعة للوجه ، فاكتفى تعالى بذلك)

شرح كتاب التوحيد ١ / ٢٧٣

قلت : أين في كتاب الله وسنة رسوله أن الذات تابعة للوجه ؟! مما يعرفك أن القوم فهموا صفات الخالق بناء على ما شهدوه وألِفُوه عند المخلوق

ص٥٧٩ عاشراً : تأويل الثوري للاستواء على العرش بمعنى : قصد أمره والاستواء إلى السماء بقصد أمرها

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٤١

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣ / ٢٧٠ – العلمية

زعم الناقد أن هذا التأويل لا إسناد له ولم يُعرَف عن أحد من السلف الصالح تأويله الاستواء

١– إن هذا التأويل نقله إمام الحرمين في الإرشاد ص٤١ ، والإمام القاري في مرقاة المفاتيح ٣ / ٢٧٠

وقد جزما بأنه ثابت عن الإمام سفيان الثوري ، قال إمام الحرمين (٤٧٨هـ) :

(ولا يبعد حمل الاستواء على قصد الإله إلى أمر في العرش ، **وهذا تأويل سفيان الثوري رحمه الله ، واستشهد عليه بقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ)** فصلت ١١ ، معناه : قصد إليها)

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٤١

٢– ليس صحيحاً أنه لم يثبت عن السلف الصالح تأويل الاستواء ، بل ثبت ذلك عنهم وإليك البيان :

* أوَّل السلف الصالح قول الحق تبارك وتعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء) البقرة ٢٩

قال الحسن البصري (١١٠هـ) : (أقبل على خلق السماء)

تفسير ابن أبي زمنين ١ / ١٣١ (عن تفسير يحيى بن سلام "٢٠٠هـ")

نقل الإمام الماوردي معلِّقاً بصيغة الجزم قول المفضل بن فضالة القنباني : تحوَّل فعله

النكت والعيون ١ / ٩٢

نقل الإمام ابن عطية والإمام القرطبي عن سفيان بن عيينة وابن كيسان قولهما : (قصد إلى السماء) أي بخلقه واختراعه

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص٧٠

الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٨٢

قال النحوي الفراء (٢٠٧هـ) : (على معنى أقبل إلى وعلى) معاني القرآن ١ / ٢٥

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٣٨٢ – الأزهرية

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) : (علا عليها علوَّ ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١ / ٤٥٧

* أوَّل السلف الصالح قول الحق تبارك وتعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الأعراف ٥٤

نقل الإمام الماوردي والإمام أبو حيان الأندلسي عن الحسن البصري قوله : استوى أمره

النكت والعيون ١ / ٩٢

البحر المحيط ١ / ٢٨١

قال اللغوي عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي (٢٣٧هـ) : (الاستيلاء)

غريب القرآن وتفسيره ص٢٤٣ – عالم الكتب

قال اللغوي الزجاج (٣١١هـ) : (وقالوا معنى استوى استولى والله أعلم) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٥٠

قال إمام الهدى أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) : (أحدها : الاستيلاء ...) تأويلات أهل السنة ٧ / ٢٦٨

قال شيخ العربية أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ) : (والعلي والعالي أيضاً : القاهر الغالب للأشياء ...)

اشتقاق أسماء الله ص١٠٩

وهؤلاء من كبار العلماء واللغويين في عصر السلف ، ومن الذين أجازوا تأويل الاستواء بالاستيلاء والقهر

الإمام أبو بكر الجصاص (٣٧٠هـ) في أحكام القرآن ٣ / ٣٢٥

اللغوي الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) في المفردات في غريب القرآن ص٢٥١

اللغوي أبو بكر الرازي (٦٦٦هـ) في مختار الصحاح ص١٣٦

اللغوي ابن منظور (٧١١هـ) في لسان العرب ١٤ / ٤١٤

اللغوي الفيروز آبادي (٨١٧هـ) في بصائر ذوي التمييز ٢ / ١٠٦

قال الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) :

(واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحمله أو يستوي عليه ، بل العرش محتاج إليه ، وحملته محتاجون إليه ، فهو الغني عن العرش وعن حملته ، وعن كل ما سواه ، فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر

ولا حاجة إلى عرش ولا غيره ، ولا إحاطة شيء به سبحانه وتعالى ، **بل كان سبحانه ولا عرش** ولم يكن به حاجة إليه ، وهو الغني الحميد ، **بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرش ولا غيره بوجه ما)**

بدائع الفوائد ٢ / ٦٠٤ – المجمع / عالم الفوائد

ص٥٧٩ الحادي عشر : تأويل الإمام مالك لحديث نزول الرب

التمهيد لابن عبد البر ٧ / ١٤٣

سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٥

الرسالة الوافية للداني ص١٣٦

شرح النووي على صحيح مسلم ٦ / ٣٧

الإنصاف للبطليوسي ص٨٢

زعم الناقد أن هذا الأثر لا يصح وضعف أثر التنزيه عن الإمام مالك

١– إن هذا التأويل غنيٌّ عن الإسناد ، إذ هو مشهور شهرة مستفيضة عند علماء المذهب المالكي والدليل على ذلك قول الإمام ابن عبد البر المالكي (٤٦٣هـ) "على سبيل المثال" :

(وقد قال قوم من أهل الأثر أيضاً : **أنه ينزل أمره وتنزل رحمته** ، وروى ذلك عن حبيب كاتب مالك وغيره ..... وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك رحمه الله على معنى أنه تتنزّل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة وذلك من أمره أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت)

التمهيد ٧ / ١٤٣

فابن عبد البر لم يقل هذا لم يصح عن مالك لأن حبيباً فيه كذا ، أو لأن جامع بن سوادة فيه كذا ، كلا ، لم يقل أي شيء من ذلك بل جزم بأن القول لمالك ، وذلك بقوله (كما قال مالك)

وقد ارتضاه الإمام يحيى بن عبد الله بن بكير (٢٣١هـ). قال صالح : فذكرت ذلك – أي تأويل مالك – ليحيى بن بكير ، فقال : **حسنٌ والله** ، ولم أسمعه من مالك

سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٥

وكثير من أئمة المالكية ينقلون هذا عن مالك في كتبهم دون إنكار أو قدح ، كأبي عمرو الداني والقاضي عياض و أبي بكر بن العربي ، وغير المالكية كذلك كالنووي وابن حجر وغيرهم

مما يدل على ثبوت هذا التأويل دراية رجلاً عن رجل ، والمالكية أعلم بكلام إمامهم ، وقد احتجَّ أهل العلم لتأويل النزول بقول الحق تبارك وتعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ **يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**) الطلاق ١٢ ، وخير ما يفسِّر القرآن القرآن. ولله الحمد

وكذلك أثر التنزيه عن الإمام مالك نقله الإمام ابن المنير المالكي وهو من أوثق العلماء وأثبتهم

٢–كيف يكون عند القوم رواية مشهورة مستفيضة وعلومهم تؤخذ بالمطالعة والقراءة لا بالإسناد وتربية الرجال ؟! قال الباري عز وجل (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) العنكبوت ٤

قال الإمام سعيد بن عبد العزيز التنوخي (١٦٧هـ) : (لا يؤخذ العلم من صحفي) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٤

وفي الإلماع للقاضي عياض ص٢٨ أن المعتصم العباسي قال للإمام أحمد : كلم ابن أبي داؤد ، فأعرض عنه الإمام بوجهه وقال : كيف أكلِّم مَن لم أره على باب عالم قط ؟!.

ص٥٨٤ الثاني عشر : تأويل الإمام أحمد (وجاء ربك) الفجر ٢٢ بمعنى : جاء ثوابه .. وقال الحافظ البيهقي : (وهذا إسناد لا غبار عليه)

البداية والنهاية ١٠ / ٣٦١

زعم الناقد أن الإمام أحمد قال هذا التأويل على سبيل المعارضة وإبطال حجة الخصم ، ونقل كلاماً لابن تيمية مفاده : لما احتجت الجهمية على الإمام أحمد بقوله (تجيء البقرة وآل عمران) قالوا : والمجيء لا يكون إلا لمخلوق ، فعارضهم أحمد بقوله (وجاء ربك) أو (أو يأتي ربك) وقال : المراد

بقوله تجيء البقرة وآل عمران ثوابهما كما في قوله (وجاء ربك) أمره وقدرته ، كما حاول جرح الإمام حنبل بن اسحاق وأن هذا من مفاريده

ثم عاد فنقل عن الإمام أحمد ما بتره سابقاً من أثر النزول وحاول تضعيف الرواية بكلام لابن القيم

١- ذكر حنبل بن اسحاق في درجة حديثه

(قال أبو بكر الخلال : قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية ، وأغرب بغير شيء ، وإذا نظرت في مسائله شبهتها حُسنها وإشباعها وجودتها بمسائل الأثرم)

طبقات الحنابلة ١ / ٣٨٤

قال الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) :

(كان ثقة ثبتاً

قال الدراقطني : حنبل بن إسحاق بن حنبل كان صدوقاً)

تاريخ بغداد ٩ / ٢١٧

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(الحافظ الثقة ..... كان يفهم ويحفظ

قال الخطيب : كان ثقة ثبتاً)

تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٠٠ - ٦٠١ رقم ٦٢٤

تاريخ الإسلام ٦ / ٥٤٣ رقم ١٧٩

وقال أيضاً :

(... الإمام الحافظ المحدث الصدوق .....

قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ثبتاً

قلت - أي الذهبي - : له مسائل كثيرة عن أحمد ، ويتفرَّد ويغرِّب)

سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥١ - ٥٢

قلت : والفرد والغريب ليس جرحاً ، والعِبرة فيهما بِحال الراوي مِن جهة الضبط وعدمه ؛ فقد ينفرد الثقة ويغرب في روايات وتكون صحيحه بل ويُعوَّل عليها لأنه ثقة

قال اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي (٧١٨هـ) :

(١٩- وَمَا انْفَرَدَ شَخْصٌ بِهِ غَرِيبُ * **وَذَاكَ إمَّا ثِقَةٌ أَرِيبُ**

أوْ لَيِّنُ الحالِ ضعيفٌ شَكْمُه * أَوْ صَالِحُ الحَالِ لِكُلٍّ حُكْمُهُ)

منظومة الفيروزآبادي في أنواع علوم الحديث ص٤

قال العلامة سليمان بن يحيى الأهدل (١١٩٧هـ) شارحاً :

(الغريبُ : هو ما انفردَ بروايته شخصٌ مِن الرواة ، أي مِن بعدِ الصَّحابي ، كما نبَّه عليه الحافظ العلائي ، بأنْ لم يَرْوِهِ مِنْ بَعْدِه غيرُ واحدٍ في موضعٍ مِن السَّند .

ثمَّ ذلك المنفرد له أحوالٌ ثلاثةٌ ؛ لأنَّه : **إمَّا ثقة أريب ، أي ذو خِبرة وعلمٍ** ، يُقال: أرُبَ الرّجُلُ بالضَّمِّ ، فهو أريبٌ ، أي ذُو فِطنةٍ وخبرةٍ وعلمٍ . وأراد الناظمُ أنَّه كاملُ الضَّبطِ .....

حكمه ففي الأول : يكون الحديثُ صحيحاً ، كالأفراد المُخرَّجة في الصحيحين)

المنهل الروي بشرح منظومة الإمام اللغوي في أنواع الحديث النبوي (مخطوط)

ورواية حنبل بن اسحاق احتجَّ بها الحفاظ كالبيهقي وابن كثير ومن الحنابلة أبو بكر الخلال وابن عقيل والقاضي أبو يعلى والزاغوني والحافظ ابن الجوزي والفقيه ابن حمدان

وأوَّل من غلَّط الإمام حنبل ابن اسحاق - فيما أعلم - هو أبو اسحاق ابن شاقلا كما نقل الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦ / ٤٠٥

ولم يبنِ ابن شاقلا حكمه تبعاً لبرهانٍ قام عنده ، وإنما حكم عليه بناءً على مخالفته لمذهبه ، وهذا يعدٌّ تعصُّباً مذموماً مردوداً ، إذ الرجل كما ذكر أهل العلم ثقة ثبت ، فما هي تلك الروايات التي بسببها ألصقتم بالرجل هذه الصفة ؟! ثم إن هذه الصفة - على فرض ثبوتها - إنما هي صفة متغيِّرة ، والصفة المتغيِّرة لا تضر الصِّفة الثابتة الملازمة له وهي أنَّه (ثقة ثبت)

ودعواهم تحتاج إلى تتبُّعٍ لِرواياته. وغالباً ستكون في المسائل الفقهيَّة إنْ خالف مَن هم أوثق منه ، ولم يذكر الناقد بعضاً من هذه الأوهام التي تفرَّد بها في باب العقيدة

وما نقله الناقد ص٥٨٩ عن الإمام ابن القيم أنه قال : (وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه ، وإذا تفرَّد بما يخالف المشهور عنه ، فالخلال وصاحبه عبد العزيز لا يثبتون ذلك رواية)

هذا النقل ليس على وجهه ، وإليك النص كاملاً ، قال الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) :

(وأما الرواية المنقولة عن الإمام أحمد فاختلف فيها أصحابه على ثلاث طرق :

أحدها : أنها غلط عليه ، فإن حنبلاً تفرَّد بها عنه ، وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه ، وإذا تفرَّد بما يخالف المشهور عنه ، فالخلال وصاحبه عبد العزيز لا يثبتون ذلك رواية ...)

مختصر الصواعق المرسلة ٣ / ١٢٣٥

قلت : لكن الناقد أظهر النقل على أنه من كلام الإمام ابن القيم بعد حذفه لأسواره ، وبذلك نتيقَّن من حرص القوم على نقل المذهب على وجهه كما كان يفعل سلفهم ، بل ونتيقَّن من حرصهم الكبير في رد روايات الثقات لحماية منهجهم المتناقض. فتأمل !!

ثم إن هذا النقل – حسب منهج القوم – لا ينبغي أن يعدَّ وهماً أو انفراداً من الثقة ، بل يجب أن يسقط هذا الرجل من قائمة الثقات كونه نقل عن إمام المذهب ما هو من جنس أقوال المعطلة عندهم

٢- دعوى الإمام ابن تيمية (ولم ينقل هذا غيره ممن نقل مناظرته في المحنة كعبد الله وصالح بن أحمد والمروذي وغيره)

مجموع الفتاوى ٥ / ٣٩٩

إن المحنة تعددت مجالسها بلا شك ، فإن الإمام ناظر المعتزلة في عدة مجالس ، ومن حفظ حجة على مَن لم يحفظ ، والمعتمد عند الحنابلة أنه إذا تعدَّد المجلس فإن زيادة الثقة عن غيره من الثقات مقبولة

قال الإمام الطوفي (٧١٦هـ) :

(التاسعة : **الزيادة من الثقة المنفرد بها مقبولة لفظية كانت أو معنوية** كالحديث التام ، وأولى. ولإمكان انفراده ، بأن يكون عرض لراوي الناقص شاغل ، أودخل في أثناء الحديث ، **أو ذكرت الزيادة في أحد**

المجلسين ، فإن علم اتحاد المجلس ، قدم قول الأكثر عند أبي الخطاب ، ثم الأحفظ ، والأضبط ، ثم المثبت ، وقال القاضي : فيه مع التساوي روايتان .

مختصر الطوفي ص٦٨

وقال الإمام ابن النجار (٩٧٢هـ) :

(**وتقبل زيادة ثقة ضابط في الحديث لفظاً ومعنى** يعني سواء كانت الزيادة في لفظ الحديث أو في معناه **إن تعدد المجلس عند جماهير العلماء وحكاه بعضهم إجماعاً**)

شرح الكوكب المنير ٢ / ٥٤١ - ٥٤٢

٣- دعوى الإمام ابن تيمية أن التأويل المنقول عن الإمام أحمد إنما قاله "على سبيل المعارضة"

لم يذكر الإمام ابن تيمية مصدراً لدعواه ، فمَن نقل عن الإمام أحمد هذا الكلام ؟!

وقد زعم الإمام ابن تيمية في رسالة الاستقامة أن الإمام حنبل بن اسحاق نقل نحو هذا في كتاب المحنة ، وعلَّق محقق كتاب الاستقامة الدكتور محمد رشاد سالم :

(وقد راجعت صفحاته - أي كتاب المحنة - ولكني لم أجد فيه ما أشار إليه ابن تيمية هنا. على أن الأستاذ المحقق ذكر في مقدمته ص٥ أنه لم يجد غير الجزء الثاني من الكتاب ، فلعل ما أورده ابن تيمية هنا موجود في الجزء المفقود من الكتاب)

تعليقه على الاستقامة ١ / ٧٤

وقد لاحظت أن الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ذكر معارضة الإمام أحمد للجهمية بقول الله جل جلاله (وَجَاء رَبُّكَ) الفجر ٢٢ ، إلا أنه لم يذكر لها مصدراً فهي دعوى بلا برهان ؟!

أما في رسالة الاستقامة فقد ذكر معارضة الإمام أحمد للجهمية بقول الله جل جلاله (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ) البقرة ٢١٠ ، ونسبها إلى محنة أحمد للإمام حنبل بن اسحاق. فتأمل !!

وحقيقة الأمر أنه لا وجه للمعارضة فيما ذكره ، فما معنى أن الجهمية احتجت على الإمام أحمد بأن المجيء لا يكون إلا لمخلوق فعارضهم أحمد بقوله (وجاء ربك) أمره وقدرته ؟!

بل إن رسالة الرد على الجهمية التي يتمسك القوم بنسبتها للإمام أحمد تذكر أن الجهمية احتجَّت على الإمام أحمد بحديث "إن القرآن يجيء" فقال : **كلام الله لا يجيء ، ولا يتغير من حال إلى حال ، وإنما معنى أن القرآن يجيء إنما يجيء ثواب القرآن**

الرد على الجهمية والزنادقة ص١٦٦ – الثبات

وعلى هذا فإن الثابت كما نقل الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد لا غبار عليه ، وأثبت الحافظ ابن كثير هذا التأويل ولم يتعقبه ، وقد قبلها جمعٌ من أئمة المذهب الحنبلي. ولله الحمد

البداية والنهاية ١٠ / ٣٦١

٤– عاد الناقد فبتر رواية النزول عن الإمام حنبل بن اسحاق ، ولم يكملها ، وفيها تأويل الإمام أحمد النزول (ينزل بعلمه وقدرته وعظمته)

والعجيب أنه يحتجُّ برواية حنبل في نقولاته السابقة ويردُّها هنا .. علاوة على أن أخبار الآحاد تفيد العلم عند القوم فكيف يرد هذا الأثر ؟!

ودعوى الناقد أن هذه الرواية على فرض ثبوتها مخالفة للمتواتر المشهور عنهم ، فنردُّ بالقول أنه لم يثبت عن الإمام أحمد سوى التنزيه ، أما التشبيه فهو متأرجح بين الأخبار المنكرة عنه وبين تحريف القوم لمعنى كلامه

وقد نقلنا عن السلف الصالح – فيما مضى – تأويلاتهم للمجيء والإتيان. فلتراجع

ص٥٩٠ الثالث عشر : تأويل الإمام البخاري (ضحك ربكما اليوم من فعالكما) بمعنى : الرحمة

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص ٢٨٤ – ٤٣٣

زعم الناقد أن هذه الرواية معلقة

١– إن هذا الكلام فيه تلبيس على القرّاء في علم مصطلح الحديث ، فالحديث المعلّق هو ما حُذِف أول سنده سواء أكان المحذوف واحداً أو أكثر على التوالي ولو إلى آخر السند

منهج ذوي النظر في شرح منظومة علم الأثر ص٥٥

النخبة النبهانية بشرح المنظومة البيقونية ص٣٦

أما الحافظ أبو بكر البيهقي فلم يروِ عن الفربري هذا التأويل ، بل عزاه إلى روايته بصيغة الجزم عن الإمام البخاري قائلاً ص٢٨٤ (**فقد روى الفربري** عن محمد بن اسماعيل البخاري) ، مما يدلُّ على أن الفربري له روايات ثابتة مستقلة نقلها عن الإمام البخاري ، فلا يضر ذلك عدم اجتماع البيهقي مع الفربري

والإمام محمد بن يوسف الفربري هو المحدث الثقة الذي روى الجامع الصحيح عن أبي عبد الله البخاري ، قال أبو بكر السمعاني في أماليه : كان ثقة ورعاً

سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٠ - ١١

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) في موضع آخر : (**قال البخاري معنى الضحك الرحمة**)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص ٤٣٣ - الأزهرية

وقد قوَّى الحافظ أبو سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) نسبة هذا التأويل إلى الإمام البخاري ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(قال - أي الخطابي - : وقد تأوَّل البخاري الضحك في موضع آخر على معنى الرحمة وهو قريب ، وتأويله على معنى الرضا أقرب ، فإن الضحك يدل على الرضا والقبول)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦ / ٤٠

٢- **وما نقله الناقد عن الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) أنه قال : (ولم أرَ ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ / ٥٠١**

قلت : أي أن الحافظ ابن حجر لم يرَ هذا التأويل في النسخ التي وقعت تحت يديه ، وفي هذا دلالة على أمانة الحافظ ابن حجر وتثبُّته ، والحافظ ابن حجر لم ينفِ عدم وجود هذا التأويل كونه لم يطَّلع على كافة النسخ. والله المستعان

سابعاً : تبرئة كبار الأئمة والرموز من معتقد القوم :

وفي هذا الفصل لا بد من تبرئة كبار الأئمة من معتقد القوم وتجسيدهم ، وبيان أنهم كانوا موافقين للسنة والجماعة في الأصول والتنزيه المطلق للباري جل جلاله

وقد سبق أن برَّأنا عدداً من أهل العلم ضمن ردودنا أمثال : إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري والحافظ أبو نعيم الأصبهاني والإمام الدارقطني والإمام أبو بكر الاسماعيلي والباز الأشهب عبد القادر الجيلاني والإمام ابن منده وغيرهم

أولاً : إمام أئمة الحديث أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦) هـ

١- استخدامه المصطلحات الكلامية

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(أن البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب فهو يأخذه من أهل ذلك الفن كأبي عبيدة والنضر بن شميل والفراء وغيرهم ..

وأما المباحث الفقهية فمستمدة غالبها من الشافعي وأبو عبيد وأمثالهما ..

وأما المباحث الكلامية فيأخذها من الكرابيسي وابن كلاب ونحوهما ...)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ٢٩٣

٢- عدم احتجاجه بأخبار الآحاد في قضايا الاعتقاد

فقد عقد الإمام البخاري في صحيحه كتاباً بعنوان كتاب أخبار الآحاد. وأوَّل أبوابه بعنوان (ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام)

نقل الحافظ ابن حجر عن الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) قوله تفسيراً لذكر الفرائض والأحكام :

(... **ليعلم إنما هو في العمليات لا في الاعتقاديات**)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٢٩٠

وقد فهم الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ذلك من صنيع الإمام البخاري في صحيحه ، فقال :

(الذي يظهر من تصرف البخاري في كتاب التوحيد أنه يسوق الأحاديث التي وردت في الصفات المقدسة ، فيدخل كل حديث منها في باب ، ويؤيده بآية من القرآن للإشارة إلى خروجها عن أخبار الآحاد **على طريق التنزل في ترك الاحتجاج بها في الاعتقاديات** وأنه من أنكرها خالف الكتاب والسنة جميعاً)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٤٥

والحاصل أن الإمام البخاري لم ينص في صحيحه على شيء من حجية خبر الآحاد الوارد في مسائل الاعتقاد ، والأمارات التي فُهِم منها أنه أراد إثبات حجيته فيها لا تشير إلى ذلك

٣- تصريحه بوجود المجاز في اللغة وهذا مما ينكره القوم

قال الإمام البخاري :

(**فأما بيان المجاز من التحقيق فمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم للمفرس : "وجدته بحراً"** وهو الذي يجوز فيما بين الناس وتحقيقه أن مشيه حسن ، ومثل قول القائل : علم الله معنا وفينا ، وأنا في علم الله ، إنما المراد من ذلك أن الله يعلمنا **وهو التحقيق وأشباهه في اللغات كثيرة**)

خلق أفعال العباد ص١٠٩

٤- تنزيه الله عن المكان والتحيز بالجهة

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(قال الإمام ابن بطال : غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المجسمة في تعلقها بهذه الظواهر ، وقد تقرَّر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه ، فقد كان ولا مكان ، وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف ، ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه – أي تعاليه – مع تنزيهه عن المكان انتهى. وخلطه – أي ابن بطال – المجسمة بالجهمية من أعجب ما يسمع)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٤١٦

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

(نقل ابن المنير ... قوله (رب العرش) ... نبَّه – أي البخاري – على بطلان قول من أثبت الجهة آخذاً من قوله ذي المعارج ، ففهم – أي مثبت الجهة – أن العلو الفوقي مضاف إلى الله تعالى ، فبيَّن البخاري أن الجهة التي يصدق عليها أنها سماء والجهة التي يصدق عليها أنها عرش كل منهما مخلوق مربوب محدث ، وقد كان الله قبل ذلك وغيره ، فحدثت هذه الأمكنة ، وقدمه تعالى يحيل وصفه بالتحيز فيها والله أعلم)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٤٢٩

٥– تفريقه بين التلاوة والمتلو ... وتصريحه بأن القراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق

قال الإمام البخاري :

(فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن **كلام الله غير مخلوق وما سواه مخلوق** ، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء به العلم وبيَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم)

خلق أفعال العباد ص٤٣

وفي هذا أيضاً بيان من الإمام البخاري أن الخوض في الكلام لنصرة الكتاب والسنة هو كلام محمود وما فارقه مذموم مردود

وقال أيضاً :

(قال الإمام أبو عبد الله رحمة الله عليه : فإن احتج محتج ، فقال : قد روي أن كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ، قيل له : لو صح هذا الخبر لم يكن لك فيه حجة لأنه قال : كلام الله ولم يقل قول العباد من المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب الذين يقرأون "بسم الله الرحمن الرحيم" وهذا واضح بيِّن عند من كان عنده أدنى معرفة أن القراءة غير المقروء ، وليس لكلام الفجرة وغيرهم فضل على كلام غيرهم ، كفضل الخالق على المخلوق ، وتبارك ربنا وتعالى وعز وجل عن صفة المخلوقين

..... فإن قال : فإن لم يكن الذي يتكلم به العبد قرآناً لم تجز صلاته ، قيل له : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا صلاة إلا بقراءة

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : سئل النبي صلى الله عليه وسلم أفي كل صلاة قراءة ؟ قال : نعم

قال الإمام أبو عبد الله : القراءة هي التلاوة ، والتلاوة غير المتلو ، وقد بيَّنه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقرؤوا إن شئتم

..... قال الإمام أبو عبد الله : فبين أن سؤال العبد غير ما يعطيه الله للعبد ، وأن قول العبد غير كلام الله ، هذا من العبد الدعاء والتضرع ومن الله الأمر والإجابة

..... قال النبي صلى الله عليه وسلم : اقرؤوا إن شئتم : فالقراءة لا تكون إلا من الناس ، وقد تكلم الله بالقرآن من قبل وكلامه قبل خلقه)

خلق أفعال العباد ص٩٩

وقال أيضاً :

(قال أبو عبد الله : واختلف الناس في الفاعل والمفعول والفعل ..... وقال أهل العلم : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله تعالى "وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق"

يعني السر والجهر من القول ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول غيره من الخلق ، ويقال لمن زعم أني لا أقول : القرآن مكتوب في المصحف ولكن القرآن بعينه في المصحف ، يلزمك أن تقول أن من ذكر الله في القرآن من

الجن والإنس والملائكة والمدائن ومكة والمدينة وغيرهما ، وإبليس وفرعون وهامان وجنودهما ، والجنة والنار عاينتهم بأعيانهم في المصحف لأن فرعون مكتوب فيه كما أن القرآن مكتوب ، ويلزمك أكثر من هذا حين يقول في المصحف ، وهذا أمر بيِّن لأنك تضع يدك على هذه الآية وتراها بعينك :"الله لا إله إلا هو الحي القيوم"

فلا يشك عاقل بأن الله هو المعبود ، وقوله "الله لا إله إلا هو الحي القيوم" هو قرآن ، وكذلك جميع القرآن هو قوله ، والقول صفة القائل موصوف به ، فالقرآن قول الله عز وجل ، والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق لقوله "فاقرأوا ما تيسر منه"

فقوله "فاقرأوا ما تيسر منه" ، والقراءة فعل الخلق وهو طاعة الله ، والقرآن ليس هو بطاعة إنما هو الأمر بالطاعة ، ودليله قوله "وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث")

خلق أفعال العباد ص١١٢

قال الحافظ ابن الجوزي (٥٩٧هـ) :

(وكان أحمد يمنع من أن يُقال : لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ، كل ذلك ليحمل على الاتباع ، وتبقى ألفاظ الإثبات على حالها)

صيد الخاطر ص١٠٣

قال الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) :

(فإن الحق في مسألة اللفظ معه – أي البخاري – إذ لا يستريب عاقل من المخلوقين في أن تلفظه من أفعاله الحادثة التي هي مخلوقة لله تعالى ، وإنما أنكرها الإمام أحمد رضي الله عنها لبشاعة لفظها)

طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ١٣

قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) "في ترجمة الكرابيسي" :

(... ومن لم يقل (يعتقد) : **إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر**. **وهذا هو المنقول عن البخاري** وداود بن علي الظاهري ، وكان الإمام أحمد يسدُّ في هذا الباب لأجل حسم مادة القول بخلق القرآن)

طبقات الفقهاء الشافعيين ١ / ١٣٣

٦- تأويلاته للصفات ونقله لتأويلات السلف الصالح

*تأويله (آخذ بناصيتها) قال : **أي في ملكه وسلطانه**

صحيح البخاري ٦ / ٧٣ - دار طوق النجاة - النسخة اليونينية

* تأويله (كل شيء هالك إلا وجهه) **إلا ملكه. ويقال : إلا ما أريد به وجه الله**

صحيح البخاري ٦ / ١١٢ - دار طوق النجاة / النسخة اليونينية

قال الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ) "مجيباً أحد طلبته عن هذا التأويل" :

(هذا لا يقوله مسلم مؤمن ..... **ليس في البخاري مثل هذا التأويل الذي هو عين التعطيل** ..... ننزه الإمام البخاري أن يؤول هذه الآية وهو إمام في الحديث وفي الصفات وهو سلفي العقيدة والحمد لله)

فتاواه ص٥٢٣

وقد حاول الشيخ عبد الله الغنيمان الهروب من ورطة هذا التأويل السلفي دون جدوى فقال :

(فقد يقال : إن هذا تأويل سلك البخاري فيه طريق أهل التأويل ، وليس الأمر كذلك ..... وأما قوله "إلا ملكه" **فهذا تأويل بعيد** ، وهو مخالف لصنعه هنا ...)

شرح كتاب التوحيد ١ / ٢٧٣ - ٢٧٦

* تأويله (ولتصنع على عيني) قال : ولتغذى

صحيح البخاري ٩ / ١٢١ - دار طوق النجاة / النسخة اليونينية

* ونقل الإمام البخاري تأويلات للصحابي ابن عباس

(سورة أنزلناها) **قال ابن عباس : بيَّنَّاها**

صحيح البخاري ٦ / ٩٩ - دار طوق النجاة - النسخة اليونينية

(فإذا قرأناه) **قال ابن عباس : بيّناه ، وقال أيضاً : أنزلناه**

صحيح البخاري ٦ / ١٦٣ – دار طوق النجاة – النسخة اليونينية

* ونقل الإمام البخاري تأويل سعيد بن جبير للكرسي **بالعلم**

صحيح البخاري ٦ / ٣١ – دار طوق النجاة – الطبعة اليونينية

* ونقل الإمام البخاري تأويل الإمام عبد الله بن المبارك للكنف **بالستر**

(حتى يضع عليه كنفه) قال ابن المبارك : كنفه يعنى ستره

خلق أفعال العباد ص٦٢

٧- أما قضية الصوت التي ذكرها الإمام البخاري ص٩١ من خلق أفعال العباد ، فهذه مسألة خلافية كما أسلفنا ... فلتراجع في موضعها

ثانياً : الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري (٢١٣ – ٢٧٦) هـ

اختلفت أقوال الأئمة فيه : قال الحاكم : أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب ، دافع عنه الذهبي وقال : والرجل ليس بصاحب حديث ، قال البيهقي : كان يرى رأي الكرامية ، قال الدارقطني في مرآة الزمان : كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه منحرف عن العترة وكلامه يدل عليه ، قال أبو نصر الوائلي : قال محمد بن عبد الله الحافظ : كان ابن قتيبة يتعاطى التقدم في العلوم ولم يرضه أهل علم منها وإنما الإمام المقبول عند الكل أبو عبيد ، قال ابن حجر : ذيَّل ابن قتيبة على أبي عبيد في غريب الحديث ذيلاً يزيد على حجمه وعمل عليه كتاباً فيه اعتراضات ورد على أبي عبيد فانتصر محمد بن نصر المروزي لأبي عبيد وردَّ رد ابن قتيبة ، قال إمام الحرمين : ابن قتيبة هجام ولوج فيما لا يحسنه ، قال العراقي : كان ابن قتيبة كثير الغلط ، قال الأزهري في مقدمة كتابه

تهذيب اللغة : ... وهو كثير الحدس والقول بالظن فيما لا يحسنه ولا يعرفه ورأيت أبا بكر بن الأنباري ينسبه إلى الغباوة وقلة المعرفة ويزري به

لسان الميزان ٥ / ٩ رقم ٤٤٦٠

سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٨

وأقول في تبرئة الإمام ... والله المستعان :

١- تأكيده أن المتشابه يعلمه الراسخون في العلم

قال الإمام ابن قتيبة :

(ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم

وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى

ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده ويدل به على معنى أراده

فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعلة

وهل يجوز لأحد أن يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه ؟!

وإذا جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته فقد علّم علياً التفسير

ودعا لابن عباس فقال : اللهم علِّمه التأويل وفقهه في الدين

عن ابن عباس أنه قال : كل القرآن أعلم إلا أربعاً : غسلين وحناناً والأواه والرقيم

وكان هذا من قول ابن عباس في وقت ثم علم ذلك بعد

وعن مجاهد قال : تعلمونه وتقولون : آمنا به

ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلا أن يقولوا "آمنا به كل من عند ربنا" لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين بل على جهلة المسلمين لأنهم جميعاً يقولون "آمنا به كل من عند ربنا")

تأويل مشكل القرآن ص٩٨ - ١٠٠

٢- نصَّ الإمام ابن قتيبة على امتناع الزوال والانتقال على الله بخلاف القوم الذين يجوزون الحركة على الله جل جلاله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)

قال الإمام ابن قتيبة عند قول الله جل جلاله "فلما أفل" الأنعام ٧٦ :

(أراهم النقص الداخل على النجم بالأفول **لأنه ليس ينبغي لإله أن يزول ولا أن يغيب** واعتبر مثل ذلك في الشمس والقمر حتى تبين للقوم ما أراد من غير جهة العناد والمبادأة بالتنقص والعيب)

تأويل مشكل القرآن ص٣٣٦

٣- فرَّق الإمام ابن قتيبة بين التلاوة والمتلو ، وأكد على أن كتابة القرآن وتلاوته مخلوقة ، وكذب رواية اتهام الإمام أحمد لمن قال بأن القراءة مخلوقة فهو جهمي ، وقد دافع عنه الإمام الكوثري في تعليقاته على كتبه وأكد أنه عاد إلى طريق الاعتدال

راجع كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة بتحقيق الكوثري

وهذا طبعاً مخالف لمنهج القوم كما نعلم

٤- نصَّ الإمام ابن قتيبة على وجود التأويل المراد به (مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه) في كتاب الله ، فقد عقد فصلاً في كتابه تأويل مشكل القرآن أسماه مخالفة ظاهر اللفظ معناه ص ٢٧٥ - ٢٩٨ وعرض فيه نماذج وأمثلة كثيرة منها :

تأويله الرحمة :

* (ما يفتح الله للناس من رحمة) قال : **من رزق**

تأويل مشكل القرآن ص١٤٦

* (أطفأها الله) : **سكّنه الله ووهن أمرهم**

تأويل مشكل القرآن ص١٤٨

تأويله اليمين :

*(لأخذنا منه باليمين) قال : **وإنما أقام اليمين مقام القوة لأن قوة كل شيء في ميامنه**

تأويل مشكل القرآن ١٥٤

الجامع لأحكام القرآن ٢١ / ٢١٤

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٥ / ٣٨٠

* (وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء) قال : **أراد ولا مَن في السماء بِمُعجِز**

تأويل مشكل القرآن ص٢١٧

تأويله الاستهزاء والسخرية

* (الله يستهزئ بهم) قال : **يجازيهم جزاء الاستهزاء**

* (سخر الله) قال : **ومن الله جل وعز جزاء**

تأويل مشكل القرآن ص٢٧٧

تأويله النور

* (الله نور السماوات والأرض) قال : **أي بنوره يهتدي مَن في السماوات والأرض**

تأويل مشكل القرآن ص٣٢٨

تأويله العندية

* (ووجد الله عنده) قال : **أي عند عمله**

تأويل مشكل القرآن ص٣٢٩

* (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال : يريد سبحانه أنه يقضي الأمر من السماء وينزله مع الملائكة إلى الأرض فتوقعه ثم تعرج إلى السماء أي تصعده لما بما أوقعته من ذلك الأمر ...

تأويل مشكل القرآن ص٣٥٣

تأويله القدرة

* (فظن أن لن نقدر عليه) قال : **أي لن نضيق عليه وأنا نخليه ونهمله**

تأويل مشكل القرآن ص٤٠٨

تأويله النزول

* (ينزل ربك) نقل الحافظ أبو بكر البيهقي عنه قوله في صفة النزول :

(قد يكون النزول بمعنى إقبالك على الشيء بالإرادة والنية ، وكذلك الهبوط والارتفاع والبلوغ والمصير ، وأشباه هذا من الكلام ، وذكر من كلام العرب ما يدل على ذلك ، قال : ولا يراد في شيء من هذا انتقال يعني بالذات ، وإنما يراد به القصد إلى الشيء بالإرادة والعزم والنية)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤٢٠ – الأزهرية

تأويل مختلف الحديث ص٢٥٠ – ٢٥١

تأويله الهرولة

* (ومن أتاني يمشي ، أتيته هرولة) قال : **وإنما أراد ؛ من أتاني مسرعاً بالطاعة ، أتيته بالثواب أسرع من إتيانه ، فكنى عن ذلك بالمشي والهرولة**

تأويل مختلف الحديث ص٣٢٧

تنويه : إنني على ما اطَّلعت من كتبه فقد رأيت أنه قائل بالاستقرار ، فأرجو أن يكون هذا متأوَّل عنه باستقرار الأمر لأن أوامره وقضاياه تنزل إلى الأرض من السماء ، وإلا فأسأل الله أن يكون قد تراجع عنه والله تعالى يتولانا وإياه برحمته والعاقبة للمتقين

ثالثاً : إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠) هـ

---

١ – عدم تجاوزه لما وصف الله به نفسه بخلاف القوم ونفي التجسيم

قال الإمام الطبري :

(وذلك نحو إخبار الله تعالى ذكره أنه سميع بصير ..... **وأنه ليس بأعور**)

التبصير في معالم الدين ص ١٣٣ – ١٣٦

قلت : فلم يقل أن الله له عينين كما يتوهّم القوم ، وليس في كتاب الله وسنة رسوله لفظ العينين مطلقاً ، فنثبت ما أثبت الله لنفسه ، ليس بأعور يعني أنه ليس بأعور ، فلا نقدِّم بين يدي الله ونتفلسف باجتهاداتنا

(إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى) النجم ٢٣

وقال أيضاً :

(وله – أي الله – يدان ويمين وأصابع ، **وليست جارحة** ، ولكن يدان مبسوطتان بالنعم على الخلق لا مقبوضتان على الخير)

التبصير في معالم الدين ص١٤٢

قلت : تأمل فصاحة الإمام الطبري له يمين (ولم يقل له شمال) وليس في كتاب الله وسنة رسوله لفظ الشمال بتاتاً ، فلا نتعدَّى القرآن والسنة بفلسفات واجتهادات من عندنا في حق الذات الإلهية ، وانظر تأويله اليدين وأنهما مبسوطتان بالنعمة وكذلك نفيه الجارحة عن الصفة

٢– استخدامه للمصطلحات الكلامية في الذود عن العقيدة الإسلامية

قال الإمام الطبري :

(لن يستحق أحد أن يقال له : إنه بالله عارف المعرفة التي إذا قارنها الإقرار والعمل استوجب به اسم الإيمان وأن يقال له : إنه مؤمن إلا أن يعلم **بأن ربه صانع** ..... والمتكلم الذي لا يجوز عليه السكوت)

التبصير في معالم الدين ص١٢٦ – ١٢٧

علق محقق الكتاب فقال : لكن لا يجوز وصف الله بالصانع أو تسميته به ..... وابن جرير ها هنا وغالب الكتاب إنما يتساهل بهذا الإطلاق تنزلاً مع المعتزلة وأمثالهم مع جوازه في باب الخبر

وعلق أيضاً : هذه العبارة ليست على إطلاقها ..... يوهم أن كلام الله قديم مطلقاً ..... وكما تقول الأشاعرة في المعنى النفسي ..... وأظن أن مراد الإمام ابن جرير بالسكوت الذي هو ضد الاتصاف بصفة الكلام ...

قلت : لكن اسم الكتاب التبصير في الدين وليس الرد على المعتزلة ، ثم أن هذا من بدع أهل الكلام عندكم أيها المحقق البارع ، فهل هذا تبصير لفطرة الناس أم ماذا ؟!

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله يصنع كل صانع وصنعته)

خلق أفعال العباد ص١٣٧

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤ / ٣٧١

سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٤

صححه الحاكم في مستدركه ١ / ٣١ ، ٣٢ ووافقه الذهبي

ونحن نعلم أن أخبار الآحاد تفيد عندهم العلم ، فكيف يتجاهل هذا الحديث ويعقب بمثل هذا التعقيب على قول الإمام الطبري ؟!

قال سيد الطائفة الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ) :

(أول ما يحتاج إليه المكلف من عقد الحكمة أن يعرف الصانع من المصنوع فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث)

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٣٢

وتأمل التعقيب الآخر ؛ إن ما وصفه المحقق بالوهم هو عين مراد الإمام الطبري ، أما ظنه فلا يغني من الحق شيئاً

٣- تفريقه بين التلاوة والمتلو وتأكيده أن كلام الله ليس جسماً يقوم بذاته

قال الإمام الطبري :

(وكذلك القول في قائل لو قال "قراءتي القرآن مخلوقة" ... فأما إن قال : أعني بقول قراءتي فعلي الذي يأجرني الله عليه والذي حدث مني بعد أن لم يكن موجوداً ، لا القرآن الذي هو كلام الله – تعالى ذكره – الذي لم يزل صفة قبل كون الخلق جميعاً ، ولا يزال بعد فنائهم الذي هو غير مخلوق ، فإن القول فيه نظير القول في الزاعم أن ذكره الله جل ثناؤه بلسانه مخلوق يعني بذلك فعله لا ربه الذي خلقه وخلق فعله)

التبصير في معالم الدين ص١٥٢

وقال أيضاً :

(لأنه – أي كلام الله – **ليس بجسم فيقوم بذاته قيام الأجسام بأنفسها** ..... وأنه صفة والصفات لا تقوم بأنفسها ، وإنما تقوم بالموصوف بها كالألوان والطعوم والأراييح والشم ، لا يقوم شيء من ذلك بذاته ونفسه ، وإنما يقوم بالموصوف به)

التبصير في معالم الدين ص٢٠١

قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) :

(كان قد وقع بينه – أي الإمام الطبري – وبين الحنابلة أظنه بسبب مسألة اللفظ ، واتُّهِم بالتشيُّع ، وطلبوا عقد مناظرة بينهم وبينه ، فجاء ابن جرير لذلك ولم يجئ منهم أحد ، وقد بالغ الحنابلة في هذه المسألة وتعصبوا لها كثيراً ، واعتقدوا أن القول بها يفضي إلى القول بخلق القرآن ، وليس كما زعموا ، فإن الحق لا يحتاط له بالباطل والله أعلم)

البداية والنهاية ١١ / ١٤٥

الكامل لابن الأثير ٧ / ٨

سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٧٢ – ٢٧٧

٤ – تصريحه بكفر من اعتقد قيام الأفعال الاختيارية الحادثة في ذات الله تعالى بخلاف معتقد القوم

قال الإمام الطبري :

(**فإن زعم خلقه في ذاته فقد أوجب أن تكون ذاته محلاً للخلق وذلك عند الجميع كفر**)

التبصير في معالم الدين ص٢٠٢

٥– تنزيهه للباري جل جلاله عن الشبيه والجسدية ولوازمها بالعقل

قال الإمام الطبري عند قوله تعالى (جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ) الأعراف ١٤٨ :

(والخوار صوت البقر . يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يُضلُّ بمثله أهل العقل ، **وذلك أن الرب جل جلاله** الذي له ملكوت السماوات والأرض ومدبِّر ذلك **لا يجوز أن يكون جسداً له خوار** ، لا يكلم أحداً ولا يرشد إلى خير ...)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠ / ٤٤٧

وقال أيضاً عند قوله تعالى (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) الأنعام ٧٨ :

(... مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض الدائم الذي يبقى ولا يفنى ويحيي ويميت لا إلى الذي يفنى ولا يبقى ويزول ولا يدوم ولا يضر ولا ينفع)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٦٣

وقال أيضاً عند قوله تعالى (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الأنعام ١٠٣ :

(قيل لهم : فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك ، لا ترى إلاَّ ما باينها وكانت بينه وبينها فرجة **قد تراه وهو غير مباين لها ، ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء ، كما لا تعلم القلوب موصوفاً بالتدبير إلاَّ مماسَّاً لها أو مبايناً** وقد علمته عندكم لا كذلك ؟ هل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفاً بالتدبير والفعل معلوماً لا مماسَّاً للعالم به أو مبايناً **وأجاز أن يكون موصوفاً برؤية الأبصار لا مماسَّاً لها ولا مبايناً فرق ؟**)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٤٦٧

وقال أيضاً :

(القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل شيء وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه **لا شيء في العالم مشاهد إلا جسم أو قائم بجسم** ، **وأنه لا جسم إلا مفترق ، أو مجتمع ، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله ، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الافتراق** ، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه ، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الافتراق فمعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن ، وأن الافتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع ، فمعلوم أن الافتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن ، وإذا كان الأمر فيما في العالم من شيء كذلك ، وكان حكم ما لم يشاهد وما هو من جنس ما شاهدنا في معنى جسم ، أو قائم بجسم ، وكان ما لم يخل من الحدث لا شك أنه محدث بتأليف مؤلف له إن كان مجتمعاً ، وتفريق مفرق له إن كان مفترقاً ، **وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك ، إن كان مجتمعاً ومفرقه إن كان مفترقاً ، من لا يشبهه ومن لا يجوز عليه الاجتماع ، والافتراق وهو الواحد القادر ، الجامع بين المختلفات ، الذي لا يشبهه شيء ، وهو على كل شيء قدير** .....

فتبيَّن إذاً أن القديم بارئ الأشياء ، وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء ، وهو الكائن بعد كل شيء ، والأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، **وأنه كان ولا وقت ولا زمان ، ولا ليل ولا نهار ، ولا ظلمة ولا نور ، إلا نور وجهه الكريم ، ولا سماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ، وأن كل**

شيء سواه محدث مدبَّر مصنوع انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير ، سبحانه من قادر قاهر .....

فإذا كان معلوماً أن خالق الأشياء وبارئها كان ولا شيء غيره ، وأنه أحدث الأشياء فدبَّرها ، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات ، وقبل خلق الشمس والقمر اللذين يجريهما في أفلاكهما ، وبهما عرفت الأوقات والساعات ، وأرخت التأريخات ، وفصل بين الليل والنهار ، فلنقل : فيمَ ذلك الخلق الذي خلق قبل ذلك وما كان أوله ؟)

تاريخ الرسل والملوك ١ / ٢٨ - ٣٠ - ٣١

٦- فتنته مع غلاة الحنابلة لخبر الجلوس على العرش

ذكر ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) عند ترجمته للإمام ابن جرير الطبري :

(فلما قدم - أي الإمام الطبري - إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضي. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة ، وعن حديث الجلوس على العرش ، فقال أبو جعفر : أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه. فقالوا له : فقد ذكره العلماء في الإختلاف ، فقال : ما رأيته رُوِيَ عنه ولا رأيت له أصحاباً يُعوَّل عليهم. **وأما حديث الجلوس على العرش فمحال** ثم أنشد :

سبحان من ليس له أنيس ** ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم وقيل كانت ألوفاً ، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم ...)

معجم الأدباء ٦ / ٢٤٥٠ - الغرب الإسلامي

قال الإمام ابن خزيمة (٣١١هـ) مادحاً تفسيره :

(نظرت فيه من أوَّله إلى آخره ، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ، **ولقد ظلمته الحنابلة**)

تاريخ الإسلام ٧ / ١٦٢

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ١٢٤

البداية والنهاية ١١ / ١٦٦

قال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) :

(... وقد وقع بين ابن جرير وبين ابن أبي داود ، وكان كل منهما لا يُنصف الآخر ، كانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود ، فكثروا وشغَّبوا على ابن جرير ، وناله أذى ، ولزم بيته ، نعوذ بالله من الهوى

وكان ابن جرير من رجال الكمال ، وشُنِّع عليه بيسير تشيُّع ، وما رأينا إلا الخير ...)

سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٧٧

قال الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ):

(لم يكن عدم ظهوره ناشئاً من أنه مُنِع ولا كانت للحنابلة شوكة تقتضي ذلك ، وكان مقدار ابن جرير أرفع من أن يقدروا على منعه ، وإنما ابن جرير نفسه كان قد جمع نفسه عن مثل الأراذل المتعرضين إلى عرضه ، فلم يكن يأذن في الاجتماع به إلا لمن يختاره ويعرف أنه على السنة ...)

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ١٢٥

قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) في حوادث سنة (٣٠٩هـ) :

(وفي ذي القعدة منها أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إلى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الحنابلة في أشياء نقموها عليه فلم يحضروا ولا واحد منهم)

البداية والنهاية ١١ / ١٥٢

وقال أيضاً :

(ودفن في داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهاراً ، ونسبوه إلى الرفض ومن الجهلة من رماه بالإلحاد وحاشاه من ذلك كله بل كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله وإنما تقلَّدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض)

البداية والنهاية ١١ / ١٦٧

٧- كان الإمام ابن جرير الطبري على طريق التفويض وكان ينكر التأويل لكنه بعد أن ألَّف تفسيره نقل كثيراً من تأويلات السلف الصالح وأخذ يرجِّح بينها أيضاً

وتفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) مليء بما تقر به أعين المنزهين وإليك أخي القارئ طائفة من تأويلاته وتنزيهه

تأويله الاستواء :

* (ثم استوى إلى السماء)

عرض الإمام الطبري كافة معاني الاستواء في اللغة العربية منها "أقبل عليها - تحوَّل فعله - عمد لها - العلو والارتفاع - الاستقامة - الإقبال على الشيء - الاستيلاء والاحتواء" ، ورجَّح الإمام الطبري معنى العلو ، ثم قال : (علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١ / ٤٥٤ - ٤٥٧

وقد اعترض الشيخ عبد الله الغنيمان على هذا التأويل السلفي فقال :

(قوله "فقل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال" **هو من جنس كلام أهل البدع** ، فلا ينبغي ، وهو خلاف الظاهر من النصوص **بل هو من التأويل الباطل**)

شرح كتاب التوحيد ١ / ٣٦٠

تأويله الكرسي :

* (وسع كرسيه السماوات والأرض) قال : **فأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس** الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه **أنه قال هو علمه**) ... وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) غافر ٧ . فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء ، فكذلك

قوله (وسع كرسيه السماوات والأرض) وأصل الكرسي : العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب : كراسة ...... ومنه قول الشاعر :تحفُّ بهم بيض الوجوه وعصبة ** كراسي بالأحداث حين تنوب

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ٥٤٠

وقال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) :

(وقال ابن عباس : كرسيه علمه ، ورجَّحه الطبري)

الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٧٦

تأويله الرحمة :

* (يختص برحمته من يشاء) قال : **والله يختص من يشاء لنبوته ورسالاته**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢ / ٣٨٧

وقال أيضاً : **وأما رحمته في هذا الموضع ، فالإسلام والقرآن مع النبوة**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ٥٠٧

تأويله النسيان :

* (فاليوم ننساهم) قال : **نتركهم**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨ / ٢٠١

* (فنسيهم) قال : **فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٥٤٩

تأويله اليدين :

* (بل يداه مبسوطتان) قال : **بالبذل والعطاء**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨ / ٥٥٣

تأويله الفوقية :

* (وهو القاهر فوق عباده) قال : القول في تأويل قوله ..... وإنما قال "فوق عباده" **لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم ، ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعلياً عليه**

فمعنى الكلام إذاً : ..... **العالي عليهم بتذليله لهم ، فهو فوقهم بقهره إياهم ، وهم دونه**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ١٨٠

وقال أيضاً : والله الغالب خلقه ، **العالي عليهم بقدرته** ...

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٢٨٨

تأويله الرحمة :

* (إن رحمت الله قريب من المحسنين) قال : **إن ثواب الله الذي وعد المحسنين**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠ / ٢٥٠

تأويله العلو :

* (المتعال) قال : **المستعلي على كل شيء بقدرته**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ٤٥٢

* (وإنه في أم الكتاب لعلي حكيم) قال : **لذو علو ورفعة**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠ / ٥٤٦

* (سبح اسم ربك الأعلى) قال : **لا ربَّ أعلى منه وأعظم**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٣٠٩

تأويله إلقاء المحبة :

* (وألقيت عليك محبة مني) قال : فحببه إلى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته وربته وإلى فرعون حتى كف عن عاديته وشره

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٥٩

وقال أيضاً : رحمتي

النكت والعيون ٣ / ٤٠٢

تأويله العين :

*(ولتصنع على عيني) قال : **بمرأى مني ومحبة وإرادة**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ١٢٣

تأويله المحدث :

(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) قال : **ما يُجدِث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٢٢٢

تأويله الإمساك :

* (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) قال : **ويمسك السماء بقدرته**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٦٢٤

تأويله الوجه :

* (كل شيء هالك إلا وجهه) قال : **قال بعضهم : إلا هو ، وقال آخرون : إلا ما أريد به وجهه** ؛ واستشهدوا لتأويلهم بقول الشاعر : أستغفر الله ذنباً لست محصيه ** رب العباد إليه الوجه والعمل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٣٥٣

* (إنما نطعمكم لوجه الله) قال : **يعنون طلب رضا الله والقربة إليه**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٥٤٦

تأويله الذهاب إلى الله :

* (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) قال : إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله . أي من الأرض المقدسة ومفارقهم ، **فمعتزلهم لعبادة الله**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ٥٧٦

تأويله اليد :

* (يد الله فوق أيديهم) قال : **وجهان من التأويل** ؛ أحدهما يد الله فوق أيديهم عند البيعة لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم ، **والآخر** : **قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم** لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٥٤

تأويله الأيد :

* (والسماء بنيناها بأيد) قال : **والسماء رفعناها سقفاً بقوة**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٥٤٥

تأويله الفرار من الله :

* (ففروا إلى الله) قال : فاهربوا أيها الناس من عقاب الله **إلى رحمته بالإيمان به واتباع أوامره والعمل بطاعته**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٥٤٩

تأويله الأعين :

* (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) قال : يقول جل ثناؤه **فإنك بمرأى منا** ، **نراك ونرى عملك** ، **ونحن نحوطك ونحفظك**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٦٠٥

* (تجري بأعيننا) قال : بمرأى منا ومنظر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ١٢٦

تأويله الفراغ :

* (سنفرغ لكم أيها الثقلان) قال : **وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدد** ، كقول القائل الذي يتهدد غيره ويتوعده ، ولا شغل له يشغله عن عقابه : لأتفرغن لك ، وسأتفرغ لك . بمعنى : سأجد في أمرك وأعاقبك . وقد يقول القائل للذي لا شغل له : قد فرغت لي ، وقد فرغت لشتمي : أي أخذت فيه ، وأقبلت عليه ، وكذلك قوله – جل ثناؤه – : (سنفرغ لكم) : سنحاسبكم ، ونأخذ في أمركم – أيها الإنس والجن – فنعاقب أهل المعاصي ، ونثيب أهل الطاعة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٢١٦

تأويله اليمين :

* (لأخذنا منه باليمين) قال : **لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٢٤٣

رابعاً : الإمام أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي (٢٣٩ – ٣٢١) هـ

ص٦٤١ خشي الناقد من الإطالة ولذلك لم يعمل على زج الإمام الطحاوي ضمن فريقه في الاعتقاد ، ولم يذكر أي شيء عن العقيدة الطحاوية المجمع عليها أنها عقيدة أهل السنة والجماعة ، ولنعرض يسيراً من كلام الإمام الطحاوي لنبيِّن أنه على عقيدة التنزيه وأنه بريء من القوم. والله المستعان

١- تصريحه بعدم الجدل في دين الله وخاصة في ذات الله واتباع السنة والجماعة

قال الإمام الطحاوي :

(٧٤- ولا نخوض في الله ، ولا نماري في دين الله)

(٧٥- ولا نجادل في القرآن)

(٩٦- ونتبع السنة والجماعة ، ونجتنب الشذوذ والفرقة)

(١٣٢- ونرى الجماعة حقاً وصواباً ، والفرقة زيغاً وعذاباً)

العقيدة الطحاوية ص٢٠ / ٢٤ / ٣١ - ابن حزم

٢- استعماله المصطلحات الكلامية لبيان عقيدة الفرقة الناجية

قال الإمام الطحاوي "في توحيد الله" :

(٥- **قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء**)

(١٣- **ما زال بصفاته قديماً** قبل خلقه)

(١٥- **وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً**)

العقيدة الطحاوية ص٨ / ٩ - ابن حزم

ولهذا السبب استدرك عليه الشيخ ابن جبرين (١٤٣٠هـ) حيث قال :

(... وعلى كل فهو - أي الإمام الطحاوي - **قد دخل عليه شيء من شبهات أهل الكلام ، فلأجل ذلك تعاطى شيئاً من بدعهم واستعمل شيئاً من عباراتهم والله يعفو عنه**)

التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية ١ / ٣٣

٣- تصريحه بأن كلام الله أزلي قائم بذاته غير مخلوق وأن أفعال العباد مخلوقة

قال الإمام الطحاوي :

(٣٦- وإن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على رسوله وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ٣٧- ليس بمخلوق ككلام البرية)

(٥٤- وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه ، ٥٥- وكلٌّ ميسر لما خُلِق له)

(١١١- وأفعال العباد هي بخلق الله وكسب من العباد)

العقيدة الطحاوية ص١٢ / ١٦ / ٢٧ - ابن حزم

٤- تفويضه لمعنى الرؤية وتسليمه به ، وتصريحه بأنها من المتشابه

قال الإمام الطحاوي :

(٤١- وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول **فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا**)

(٤٢- فإنه ما سلِم في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل ولرسوله ، **وردَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه**)

(٤٣- ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام)

(٤٤- فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان : فيتذبذب بين الكفر والإيمان ، والتصديق والتكذيب ، والإقرار والإنكار ، موسوساً تائهاً شاكاً لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً)

(٩٨- **ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه**)

العقيدة الطحاوية ص١٣ / ١٤ / ٢٤ - ابن حزم

٥- تنزيه الله عن مشابهة الحوادث

قال الإمام الطحاوي :

(٣٩- **ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر** ...)

(٤٦- ومن لم يتوق النفي والتشبيه زلَّ ولم يصبِ التنزيه)

(٤٨- تعالى – أي الله – عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)

(٦٨- والعرش والكرسي حق)

(٦٩- وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه)

العقيدة الطحاوية ص١٣ / ١٥ / ١٩ - ابن حزم

وانظر إلى هذا الشارح كيف يحاول الطعن بكلام الإمام الطحاوي عند قوله (تعالى – الله – عن ..... والأركان والأعضاء والأدوات) حيث قال :

(وقوله "والأركان والأعضاء والأدوات" لاحول ولا قوة إلا با الله ! عفا الله عن المؤلف وغفر الله لنا وله ! ماذا يريد بالأركان والأعضاء والأدوات ؟! لقد كان غني عن هذا الكلام ، أين الآية أو الحديث الذي فيه هذه الألفاظ ؟ ..... لأن قوله (والأعضاء) يحتمل نفي بعض الصفات الذاتية كالوجه والعينين واليدين ، فيقول المبطل هذه أعضاء فننفي الأعضاء ، وهذا باطل ، ونرجو أن المؤلف لم يرد هذا ...)

شرح العقيدة الطحاوية للبراك ص١٤٣

قلت : أين الآية أو الحديث الذي فيه إثبات ألفاظ (الجهة ، الحد ، الجسم ، ...) ؟!

هذا ما يصل إليه من يعتقد في ربه الجسم والمادة ، فالله جل جلاله (أحد) ليس مركباً من أجزاء ، رحم الله الإمام الطحاوي المنزه (تعالى – أي الله – عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)

لكن ما هو قول الشيخ البراك أمام تصريح ناصر الحديث الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) :

(واعلموا أن الله تعالى ليس بجوهر لا بجسم ولا عرض ..... والقديم سبحانه يستحيل عليه الحوادث فبان أنه ليس بجوهر)

الفقه الأكبر المنسوب للشافعي ص٩

٦- تعريفه الإيمان بأنه الإقرار والتصديق

(٨٣- والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان)

العقيدة الطحاوية ص٢١ - ابن حزم

٧- تبرؤه من أهل التعطيل والتشبيه

قال الإمام الطحاوي :

(فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ، ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ، ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية **مثل** : **المشبهة والمعتزلة والجهمية** والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ، ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء

وبالله العصمة والتوفيق)

العقيدة الطحاوية ص٣٢ - ابن حزم

٨- تأويلاته للصفات :

تأويله العلو

قال الإمام الطحاوي :

(٢٩- **وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد**)

العقيدة الطحاوية ص١١ - ابن حزم

خامساً : محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي (٤٣٣ – ٥١٦) هـ

نقل الناقد من كلام الإمام البغوي بعض النصوص الموهمة لموافقة معتقده وأخفى النصوص الصريحة في التنزيه

*** ص٦٢٨ زعم الناقد – نقلاً عن ابن المبرد – أن الإمام البغوي كان مجانباً للأشاعرة**

ليس صحيحاً أن الإمام البغوي كان مجانباً للسادة الأشاعرة ، فهو يستأنس بأقوالهم في كتبه خاصة في كتاب الإيمان ، حيث يقول : (قال الخطابي : ...) أو (قال أبو سليمان الخطابي : ...)

شرح السنة ١ / ٣٥ – ٣٨ – ٦٩ – ٧٦ – ١١٦ – ١٧٦ – ٢٢٢ – ٢٣٦

*** ص٦٢٩ نقل الناقد عن الإمام البغوي قوله بأن الإيمان قول وعمل ، ونسب للسادة الأشاعرة القول بأن الإيمان مجرد التصديق**

قلت : الإيمان هو التصديق بالجنان ، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه ، فمَن صدَّق بالقلب أي أقرَّ بوحدانية الله تعالى ، واعترف بالرسل تصديقاً لهم فيما جاؤوا به من عند الله تعالى بالقلب صحَّ إيمانه ، حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمناً ناجياً ، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك

الملل والنحل ١ / ١١٤

وعلى هذا فالإيمان قول وعمل ولكن الأعمال شرط لكمال الإيمان لا لصحته

وقد نصَّ الإمام البغوي على أن الأعمال من الإيمان وأنها شرط لكماله بالآثار التي أوردها ، ولو كان للناقد أدنى إنصاف لتابع إقرارات الإمام البغوي عند حديثه عن حقيقة الإيمان

راجع شرح السنة ١ / ٣٩ – ٤٠

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : **إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان** ، فإن أعيش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت ، فما أنا على صحبتكم بحريص

رواه الإمام البخاري في صحيحه بإسناد معلّق وابن أبي شيبة في الإيمان ٤٥ بإسناد صحيح

*** ص ٦٣٠ نقل الناقد عن الإمام البغوي تصريحه بإمرار نصوص الصفات على ظاهرها ، وذكر أن الإمام البغوي روى أثر (إشارة وهب بيده على أن الله على العرش) وكذلك حديث (الأطيط) وأنه نقل تأويل الخطابي واكتفى البغوي بالإيمان والتسليم**

قلت : وهذا الفهم غير صحيح

وعند العودة إلى نص الإمام البغوي وكلامه عن حديث الإشارة وحديث الأطيط نراه يقول :

(وذكر أبو سليمان الخطابي على هذا الحديث – يقصد حديث الأطيط – : أن الكيفية عن الله وعن صفاته منفية ، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله وجلاله من حيث يدركه فهم السائل

ومعنى قوله : " أتدري ما الله ؟ " معناه : أتدري ما عظمة الله وجلاله .

وقوله " إنه ليئط به " معناه : ليعجز عن جلاله وعظمته حتى يئط به أن كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه ، ولعجزه عن احتماله ويقرر بهذا النوع من التمثيل عنده معنى عظمة الله وجلاله ، وارتفاع عرشه ، ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن وجلالة القدر لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه ، تعالى عن أن يكون مشبهاً بشيء أو مكيفاً بصورة خلق ، أو مدركاً بحد "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

قال الشيخ رحمه الله : والواجب فيه وفي أمثاله : الإيمان بما جاء في الحديث والتسليم وترك التصرف فيه بالعقل والله الموفق)

شرح السنة ١ / ١٧٦ – ١٧٧

قلت : فتأمل أخي القارئ كيف قام الإمام البغوي بالاستدلال بكلام الحافظ أبو سليمان الخطابي رحمه الله لتأويل حديث الأطيط ثم سلك الإمام البغوي أخيراً سبيل التفويض الذي هو أحد مسلكي السادة الأشاعرة

فانظر أين شرَّق الإمام البغوي وكيف غرَّب الناقد !

تنويه : إن طريق التأويل الذي اختاره الحافظ الخطابي صحيح فيما إذا كان الحديث صحيحاً ، والحديث – أي حديث الأطيط – ضعيف ؛ في سنده جبير بن محمد بن جبير وهو مجهول تفرد به ، والوجوب فرع التصحيح فلا داعي لتكلُّف تأويله

ولا يخدعنك أخي القارئ عبارة الإمام البغوي (إمرارها على ظاهرها) ، فهذا حق لا شك فيه وهو خلاف لفظي لا معنوي ، فإما أن نقول إن آيات الصفات تجري على ظاهرها مع نفي الكيفية عنها ، أو نقول إن آيات الصفات ليست على ظاهرها ، ويكون الخلاف لفظي والمعنى واحد

واللفظ الأول استعمله الحافظ أبو سليمان الخطابي ومحيي السنة البغوي والإمام ابن قدامة وغيرهم

قال الحافظ أبو سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) :

(كان مذهب السلف فيها الإيمان بها **وإجراءها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها**)

الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الكوثري ص٤١٨ – الأزهرية

قال العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (١٤٣٤هـ) :

(والمصير المتعين في هذه الحالة هو تفسير هذه الألفاظ **على ظاهرها مع تنزيه الله عز وجل عن الشبيه والشريك ، وهو يتضمن الاحتراز عن تفسيرها بالجارحة والجسمية**)

السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ص١٣٢

ولنعرض الآن شيئاً من كلام محيي السنة في تقرير معتقده وبيان أنه كان من المنزِّهين. والله المستعان

١– استعماله المصطلحات الكلامية حيث قال :

(**ويجب أن يعتقد أن الله عز اسمه قديم بجميع أسمائه وصفاته** لا يجوز له اسم حادث ولا صفة حادثة ..... فلا يجوز أن يحدث له اسم بحدوث فعله ، ولا يُعتقد في صفات الله تعالى أنها هو ولا غيره ، **بل هي صفات أزلية** ، لم يزل جل ذكره ، ولا يزال موصوفاً بما وصف به نفسه ، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته ...)

شرح السنة ١ / ١٧٩ - ١٨٠

٢- تبينك طائفة من تأويلاته وتنزيهه نعرضها من كتبه خاصة تفسيره (معالم التنزيل وحقائق التأويل) المليء بما تقرُّ به أعين المنزهين

* (الرحمن الرحيم) قال : (**قال المبرد : هو إنعام بعد إنعام وتفضل بعد تفضل ..... والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله** وقيل هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق فهي على الأول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٥١

* (غير المغضوب عليهم) قال : (**والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٥٥

* (ثم استوى إلى السماء) قال : (**قال ابن عباس : وأكثر مفسري السلف : أي ارتفع إلى السماء ، وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين : أي أقبل على خلق السماء ، وقيل : قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٧٨

قلت : وهذا دليل على أن آيات الصفات من الآيات المتشابهة التي تحتمل أكثر من معنى فإن أكثر السلف فسروا الاستواء بالارتفاع أي أن البقية فسروه بشيء آخر وكذلك النحاة

* (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال : (**يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي هناك رحمة الله** ..... وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان : فثم قبلة الله ، والوجه والوجهة والجهة القبلة ، وقيل : رضا الله تعالى)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ١ / ١٤٠

قلت : وقد علَّق محقق التفسير مستدركاً على كلام محيي السنة قائلاً : والبغوي رحمه الله منهجه عدم التأويل ويظهر أن هذا من الناسخ حيث أثبت الوجه في نسخة ب والله أعلم

* (وسع كرسيه السماوات والأرض) قال : (واختلفوا في الكرسي فقال الحسن : هو العرش نفسه ، وقال أبو هريرة : الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى قوله "وسع كرسيه السماوات والأرض" أي سعته مثل سعة السماوات والأرض ..... **وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أراد بالكرسي علمه وهو قول مجاهد ، ومنه قيل لصحيفة العلم كراسة** ، وقيل : كرسيه ملكه وسلطانه ، والعرب تسمي الملك القديم كرسياً)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٣١٢

* (يختص برحمته من يشاء) قال : (**أي بنبوته**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٢ / ٥٥

* (وهو القاهر فوق عباده) قال : (**القاهر الغالب ، وفي القهر زيادة على معنى القدرة** وهي منع غيره عن بلوغ المراد ، وقيل : هو المنفرد بالتدبير الذي يُجبر الخلق على مراده ، **فوق عباده هو صفة الاستعلاء التي تفرد به الله عز وجل**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٣ / ١٣٣

* (أو يأتي ربك) قال : (... **بلا كيف** ...)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٣ / ٢٠٧

* (بين يدي رحمته) قال : (**قدام المطر**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٣ / ٢٣٨

* (يخافون ربهم من فوقهم) قال : (كقوله "وهو القاهر فوق عباده" الأنعام ١٨)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٥ / ٢٣

* (هب لنا من لدنك رحمة) قال : (**ومعنى الرحمة الهداية في الدين ، وقيل الرزق**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٥ / ١٥٥

* (وربك الغفور ذو الرحمة) قال : (**ذو النعمة**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٥ / ١٨٣

* (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) قال : (**نعمة**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٥ / ١٩٦

* (قال هذا رحمة من ربي) قال : (أي : **نعمة**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٥ / ٢٠٥

* (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) قال : (**ليس ذلك حدث الخلق ، إنما هو حدوث أمر** كما قال الله عز وجل "لعل الله يُحدِث بعد ذلك أمراً")

شرح السنة ١ / ١٨٢ - ١٨٣

وقال أيضاً : (**يريد : ذكر القرآن لهم وتلاوته عليهم وعلمهم به** ،كل ذلك محدث ، فالمذكور المتلو المعلوم غير محدث ، **كما أن ذكر العبد لله محدث** ، والمذكور غير محدث)

شرح السنة ١ / ١٨٣

* (كل شيء هالك إلا وجهه) قال : (**أي : إلا هو ، وقيل : إلا ملكه ، قال أبو العالية : إلا ما أريد به وجهه**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٦ / ٢٢٨

وقال أيضاً : (**سمَّى الله نفسه شيئاً**)

شرح السنة ١ / ١٧٢

* (إني مهاجر إلى ربي) قال : (فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة ، **إلى حران ثم إلى الشام** ...)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٦ / ٢٣٨

* (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) قال : (**ملكاً وخلقاً**)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٦ / ٣٨٥

* (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) قال : (... **وعن قتادة "إليه يصعد الكلم الطيب" أي يقبل الله الكلم الطيب**

قوله عز وجل "والعمل الصالح يرفعه" أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب ، فالهاء راجعة إلى الكلم الطيب ، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين

..... وقال قوم : الهاء في قوله "يرفعه" راجعة إلى العمل الصالح .....

وقيل : الرفع من صفة الله عز وجل / معناه : العمل الصالح يرفعه الله عز وجل)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٦ / ٤١٥

* (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) قال : (**تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد)**

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٧ / ٢٧

* (بل عجبت) قال : (... **والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم ، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا)**

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٧ / ٣٦

* (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) قال : (... **وأذهب إلى مرضاة ربي)**

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٧ / ٤٦

* (يد الله فوق أيديهم) قال : (**قال ابن عباس : يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم** ، وقال السدي : كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق أيديهم في المبايعة ، قال الكلبي : نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٧ / ٣٠٠

* (تجري بأعيننا) قال : (**أي : بمرأى منا ..... وقال سفيان : بأمرنا**

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٧ / ٤٢٩

* (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال : (**فإذا أنزلناه فاستمع)**

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٨ / ٢٨٤

* (سبح اسم ربك الأعلى) قال : (**وقال قوم : معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون** ...)

معالم التنزيل وحقائق التأويل ٨ / ٣٩٩

وأخيراً أحب أن أقول للناقد : اتق الله عز وجل في نفسك وفي علماء المسلمين ، فإن أردت أن تتعصب في الانتصار لمذهبك فأنت حرٌّ ، لكن اتق الله في أن تنسب لأعلام المسلمين ما هم منه برءاء

سادساً : الإمام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٥٤١ - ٦٢٠) هـ

كان الإمام ابن قدامة من مفوِّضة الحنابلة غير أنه قائل بالصوت لكلام الله ، وهذا - فيما أعلم - خلافه الوحيد مع أهل السنة الأشاعرة كباقي فضلاء الحنابلة ، وهو خلاف استغلَّه القوم لجعله من أنصارهم ولكن هيهات ، وفي ردِّه على السادة الأشاعرة اتهام للنوايا غفر الله لنا وله

حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة ص٣٤

١- اعتباره نصوص الصفات المتشابه ، حيث قال :

(**والصحيح أن المتشابه ما ورد في صفات الله سبحانه** مما يجب الإيمان به ويحرم التعرض لتأويله كقوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى - بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ - لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ - وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ - تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) ونحوه فهذا اتفق السلف رحمهم الله على الإقرار به وامراره على وجهه وترك تأويله ..... فإن قيل فكيف يخاطب الله الخلق بما لا يعقلونه أم كيف ينزل على رسوله ما لا يطلع على تأويله ، قلنا يجوز أن يكلفهم الإيمان بما لا يطلعون على تأويله ليختبر طاعتهم كما قال تعالى "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ

وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ – وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ – وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ" وكما اختبرهم بالإيمان بالحروف المقطعة مع أنه لا يعلم معناها. والله أعلم)

روضة الناظر وجنة المناظر ص٣٦

وقال أيضاً :

(... بل بلغ من مبالغتهم – أي السلف – في السكوت عن هذا أنهم كانوا إذا رأوا مَن يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته)

ذم التأويل ص١٠ – الفتح

٢– تصريحه بأن مذهب السلف الصالح هو تفويض المعنى مراراً ؛ حيث قال :

(ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يُخالف ظاهرها ، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين ، بل أمَّروها كما جاءت ، **وردُّوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها ...... ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه**)

ذم التأويل ص٩ – الفتح

وعلق محقق الكتاب "بدر بن عبد الله البدر" محرِّفاً العبارة :

(المراد بقوله "لم يعلموا حقيقة معناها" أي لم يعلموا كيفيتها وكنهها بدليل قولهم (الاستواء معلوم والكيف مجهول) كما سيذكر المصنف ذلك فيما يأتي ، وكما سترى أن مذهبهم إجراؤها على ظاهرها ، أي ظاهر معناها اللغوي ونفي التشبيه والكيفية عنها)

قلت : سبحان الله !! ابن قدامة يفوِّض المعنى والمحقق يحرِّف مراده لتفويض الكيف ، ولو كان للمحقق البارع شيءٌ من الإنصاف لفوجئ بجيش ممن يعتقد فيهم أنهم أهل سنة بأنهم مفوضة ، كما فوجئ بابن قدامة لكن الأمر يحتاج إلى قليل من الدراسة العلمية المنصفة

وقد أحرج الإمام ابن قدامة محقق الكتاب حيث نقل الإمام ابن قدامة عن الإمام مالك قوله ص١١ (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ...)

وقال أيضاً ص٢٤ :

(وقولهم "الإستواء غير مجهول" أي غير مجهول الوجود لأن الله تعالى أخبر به ، وخبره صدق يقيناً لا يجوز الشك فيه ولا الارتياب فيه ، فكان غير مجهول لحصول العلم به ، وقد روي في بعض الألفاظ "الاستواء معلوم"

وقولهم "الكيف غير معقول" لأنه لم يرد به توقيف ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف)

وقال أيضاً ص٣٦ :

(أن قولهم "آمنا به كل من عند ربنا" **كلام يُشعر بالتفويض والتسليم لما لم يعلموه** ، لعلمهم بأنه من عند ربهم ، **كما أن المحكم المعلوم معناه من عنده**)

وقال "في رده على سؤال حول الصفات" :

(... لا نزيدك على ألفاظها زيادة تفيد معنى **بل قراءتها تفسيرها من غير معنى بعينه ولا تفسير بنفسه** ، ولكن قد علمنا أن **لها معنى في الجملة يعلمه المتكلم بها فنحن نؤمن بها بذلك المعنى** ...)

تحريم النظر في كتب الكلام ص٥٩

٣- نفي الحد والمقدار عن الباري جل جلاله ، حيث قال :

(الحمد لله الواحد القهار ..... الذي امتنع عن تمثيل الأفكار ، **وارتفع عن الوصف بالحد والمقدار** ...)

الكافي ١ / ٣ - هجر

٤- إقراره بوجود المجاز في كتاب الله حيث قال"بعد عرضه نماذجاً مجازية في القرآن" :

(... وهذا كله مجاز لأنه استعمال اللفظ في غير موضعه ، **ومن منع فقد كابر ومن سلم وقال لا أسميه مجازاً فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة فيه** والله أعلم)

روضة الناظر وجنة المناظر ص٣٥

سابعاً : الإمام أبو عبد الله محمد بن قايماز الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨) هـ

كان الإمام الذهبي في أوَّل الطلب وريعان الشباب متأثراً بالإمام ابن تيمية مفتوناً به ، ولم يكن متمكِّناً – آنذاك – في الحديث ، فسلك مسلكه وأخذ يمدحه في مؤلفاته ، لكن بعد أن تبيَّن له عور مذهبه وفساده ، عاد إلى التنزيه ، إلا أنه بقي على التفويض وأنكر على المتأولين خوفاً من الوصول إلى التأويلات الفاسدة ، وإليك بعض أقواله التي تعبِّر عما استقرَّ عليه من الاعتقاد

١- تصريحه بأن مذهب السلف هو تفويض معاني نصوص الصفات

قال الإمام الذهبي "عند حديث الصورة" :

(فنؤمن به **ونفوِّض ونسلِّم ولا نخوض فيما لا يعنينا** مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٥٠

وقال أيضاً :

(فقولنا في ذلك وبابه : الإقرار والإمرار **وتفويض معناه إلى قائله** الصادق المعصوم)

سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٥

وقال أيضاً :

(... فنؤمن بذلك ونسكت اقتداء بالسلف **معتقدين أنها صفات لله تعالى استأثر الله بعلم حقائقها** وأنها لا تشبه صفات المخلوقين كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين ...)

سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٠٦

وقال أيضاً "عند الاستواء" :

(من أقر بذلك تصديقاً لكتاب الله ولأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآمن به **مفوضاً معناه إلى الله ورسوله** ، ولم يخض في التأويل ولا عمق فهو المسلم المتبع)

سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٧٣

٢- نفي الكيفية والحد عن صفات الله

قال الإمام الذهبي :

(**فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البارئ تعالى الله عن ذلك** ، فكذلك صفاته المقدَّسة نقرُّ بها ونعتقد أنها حق ولا نمثلها أصلاً ولا نستشكلها)

سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦١١

وقال أيضاً :

(**وتعالى الله أن يُحدَّ** أو يُوصَف إلا بما وصف به نفسه أو علمه رسله بالمعنى الذي أراد بلا مثل ولا كيف "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" الشورى ١١)

سير أعلام النبلاء ١٦ / ٩٧ - ٩٨

٣- تفريقه بين التلاوة والمتلو

قال الإمام الذهبي :

(وكان يقول – أي الكرابيسي – القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولفظي به مخلوق ، **فإن عنى التلفُّظ فهذا جيد ، فإن أفعالنا مخلوقة** ، وإن قصد الملفوظ بأنه مخلوق فهذا الذي أنكره أحمد والسلف وعدُّوه تجهُّماً)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١ / ٥٤٤

٤– تصريحه بكفر من نسب إلى الله الجلوس

قال الإمام الذهبي :

(ولو قال إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف كفر)

الكبائر ص١٣٣ – العصرية

تنويه : وهذا ردٌّ علميٌّ على الشيخ سليمان بن صالح الخراشي الذي حاول أن ينسب الإمام الذهبي لعقيدة التشبيه في رسالته (عقيدة الإمام الذهبي) – الدار الأثرية

٥– نصيحته لشيخه ابن تيمية والتي جاء فيها :

(يا رجل بالله عليك كفَّ عنَّا فإنك مِحجاجٌ عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام ، إياكم والأغلوطات في الدين، كره نبيك صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال : "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" ، **وكثرة الكلام بغير دليل تقسي القلب** إذا كان في الحلال والحرام فكيف إذا كان في العبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلى كم تنبشُ دقائق الكفريات الفلسفية لنردَّ عليها بعقولنا ، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات ، وبكثرة استعمال السموم يُدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن. واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر ، وخشية بتذكر ، وصمت بتفكر ، واهاً لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، لا عند ذكر الصالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما ، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها رأساً من الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعون ، وتعد النصارى مثلنا ، والله في القلوب شكوك إن سَلِمَ لكَ إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد

يا خيبة من اتبعك فإنه مُعَرَّضٌ للزندقة والانحلال ، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليًّا شهوانيًّا لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيدٌ مربوط خفيف العقل، أو عامي كذّاب بليد الذهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل)

وفيها أيضاً :

(**أما آن لك أن ترعوي ؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب** ، أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل. بلى والله ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت ، فما أظنك تقبل على قولي ولا تُصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذناب الكلام ، ولا تزال تنتصر حتى أقول لكَ : والبتة سكتت

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبُّ الواد ، فكيف يكون حالك عند أعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء **كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر**)

ثامناً : الحافظ أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠٠ – ٧٧٤) هـ

حاول الناقد أن يجذب الحافظ ابن كثير إلى صفه لأنه كان يمدح الإمام ابن تيمية في تاريخه إذاً فهو على عقيدته ، وتجدر الإشارة إلى أن مدح أحد من الأئمة لا يفي بالغرض ، فالحافظ ابن كثير دافع عن شيخه الذي بلا شكّ أحبّه فوفّاه حقّه ولكنّه ليس بالضرورة اتبّاعاً لمذهبه ، وهذا من أخلاق أهل العلم وإنصافهم ، فلا بد من الرجوع لمؤلفات الشيخ التي يصرِّحُ بها عن عقيدته ، وهذا ما يغني عن الاجتهادات البائسة في محاولة قلب الحق باطل وتلبيس الباطل زيَّ الحق

١- ردّه للإسرائيليات في أكثر من موضع من تفسيره ، وعلى سبيل المثال يقول الحافظ ابن كثير "عند حديث التربة الذي رواه الإمام مسلم برقم ٢٧٨٩" :

(... وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم ، وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب ، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً)

تفسير ابن كثير ص١٠٩ - ابن حزم

وقال أيضاً "في إحدى الروايات المنقولة عن سيدنا سليمان عليه السلام" :

(والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب ، مما يوجد في صحفهم ، كروايات كعب ووهب - سامحهما الله تعالى - فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل ، من الأوابد والغرائب والعجائب ، مما كان وما لم يكن، ومما حرّف وبدل ونسخ. وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ، ولله الحمد والمنة)

تفسير ابن كثير ص١٣٩٨ - ابن حزم

وقال أيضاً "عند قضية الذبيح" :

(... وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك إلا تلقي إلا عن أخبار أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة ، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد ...)

تفسير ابن كثير ص١٥٨٩ - ابن حزم

٢- حديثه عن فتن الحنابلة ؛ يتبيّن من خلالها التزامه بالكتاب والسنة والإعراض عن أقوال الرجال واجتهاداتهم في صفات المولى تبارك وتعالى

قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) :

(كان قد وقع بينه - أي الإمام الطبري - وبين الحنابلة أظنه بسبب مسألة اللفظ ، واتُّهِم بالتشيُّع ، وطلبوا عقد مناظرة بينهم وبينه ، فجاء ابن جرير لذلك ولم يجئ منهم أحد ، **وقد بالغ الحنابلة في هذه المسألة**

وتعصبوا لها كثيراً ، واعتقدوا أن القول بها يفضي إلى القول بخلق القرآن ، **وليس كما زعموا** ، **فإن الحق لا يحتاط له بالباطل والله أعلم)**

البداية والنهاية ١١ / ١٤٥

وقال أيضاً في حوادث سنة (٣٠٩هـ) :

(وفي ذي القعدة منها أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إلى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الحنابلة في أشياء نقموها عليه فلم يحضروا ولا واحد منهم)

البداية والنهاية ١١ / ١٥٢

وقال أيضاً :

(ودفن في داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهاراً ، ونسبوه إلى الرفض ومن الجهلة من رماه بالإلحاد وحاشاه من ذلك كله بل كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله وإنما تقلّدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض)

البداية والنهاية ١١ / ١٦٧

وقال أيضاً في حوادث سنة (٣١٧هـ) :

(وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي وبين طائفة من العامة اختلفوا في تفسير قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً **فقالت الحنابلة يجلسه معه على العرش** وقال الآخرون المراد بذلك الشفاعة العظمى فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى فإنا لله وإنا إليه راجعون **وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى** وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم ويغبطه به الأولون والآخرون)

البداية والنهاية ١١ / ١٨٤

ونصَّ على أثر الجلوس المروي عن مجاهد في تفسير المقام المحمود قائلاً :

(ومثل هذا لا ينبغي قبوله إلا عن معصوم ، ولم يثبت في هذا حديث يعول عليه ، ولا يصار بسببه إليه ، وقول مجاهد ، وغيره في هذا : إنه المقام المحمود ليس بحجة بمجرده ، وكذلك ما رُوِيَ عن عبد الله بن سلام لا يصح ، ولكن قد تلقَّاه جماعة من أهل الحديث بالقبول ، ولم يصح إسناده إلى ابن سلام . والله سبحانه أعلم بالصواب)

البداية والنهاية ١٩ / ٤٩٠

٣- تصريحه بأنه من أهل السنة الأشاعرة

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) "في ترجمة ابراهيم بن محمد بن القيم الجوزية" :

(ومن نوادره أنه وقع بينه وبين عماد الدين ابن كثير منازعة في تدريس الناس فقال له ابن كثير : أنت تكرهني لأنني أشعري ، فقال له : لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقك الناس في قولك أنك أشعري وشيخك ابن تيمية ...)

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ / ١٧

قلت : وتحذلق أحدهم مبرِّراً بأن الحافظ ابن كثير قال ذلك الكلام على سبيل الفكاهة ، مع أن الذي حاوره لم يفهم عبارته على أنها من الفكاهة بل ردَّها عليه

بل تحذلق آخرون وادَّعوا أنه يقصد بأنه على عقيدة الإمام الأشعري في مرحلته الثالثة التي رجع فيها إلى مذهب السلف (يعنون عقيدة التشبيه التي ينسبونها إلى السلف الصالح) ، وقد أحكمنا ردَّنا على هذه الشبهة فيما مضى وأبطلناها من كل جوانبها. فلتراجع

وقد تولَّى الحافظ ابن كثير مشيخة دار الحديث الأشرفية التي كان شرط واقفها أن يكون أشعري الاعتقاد

٤- عرض مقتطفات من تفسيره الرائع الدال على التنزيه

* (ثم استوى على العرش) قال : (وأما قوله تعالى "ثم استوى على العرش" فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري

والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت **من غير تكييف** ولا تشبيه ولا تعطيل ، **والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله** لا يشبهه شيء من خلقه ، و "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال من شبه الله بخلقه كفرومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الايات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى)

تفسير ابن كثير ص٧٦٢ – ابن حزم

تفسير ابن كثير ٣ / ٤٢٦ – طيبة

* (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال : (**قال عكرمة عن ابن عباس : قبلة الله أينما توجهت شرقاً وغرباً ، وقال مجاهد : قبلة الله**)

تفسير ابن كثير ص١٨٨

* (ولولا دفع الله) قال : (**أي لولا الله يدفع عن قوم بآخرين** ...)

تفسير ابن كثير ص٣١٥

* (قل إن الفضل بيد الله) قال : (**أي الأمور كلها تحت تصريفه وهو المعطي المانع** ...)

تفسير ابن كثير ص٣٧٤

* (يختص برحمته من يشاء) قال : (**أي : اختصكم – أيها المؤمنون – من الفضل بما لا يحد ولا يوصف** ...)

تفسير ابن كثير ص٣٧٤

* (بل يداه مبسوطتان) قال : (**أي : بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء** ...)

تفسير ابن كثير ص٦٣٤

* (وهو القاهر فوق عباده) قال : (**هو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة وعنت له الوجوه وقهر كل شي ودانت له الخلائق** ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه **وتحت حكمه وقهره**)

تفسير ابن كثير ص٦٧٨

* (إن رحمة الله قريب من المحسنين) قال : (وقال قريب ولم يقل قريبة **لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب**)

تفسير ابن كثير ص٧٦٣

* (كل شيء هالك إلا وجهه) قال : (**فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله ها هنا : إلا إياه ، وقال مجاهد والثوري : إلا ما أريد به وجهه ، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له**)

تفسير ابن كثير ص١٤٢٨

* (وله الحمد في السماوات والأرض) قال : (**أي : هو المحمود على ما خلق في السماوات والأرض**)

تفسير ابن كثير ص١٤٤٩

* (وله مَن في السماوات والأرض) قال : (**أي : ملكه وعبيده**)

تفسير ابن كثير ص١٤٥١

* (سبحانه وتعالى عما يشركون) قال : (**تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساوٍ** أو ولد أو والد ، بل هو الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد)

تفسير ابن كثير ص١٤٥٤

* (ذلك بأن الله هو الحق) قال : (... **لأن كل ما في السماوات والأرض الجميع خلقه وعبيده** ، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ...)

تفسير ابن كثير ص١٤٦٩

* (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) قال : (... **المالك لجميع ذلك** ، الحاكم في جميع ذلك)

تفسير ابن كثير ص١٥٣١

* (يد الله فوق أيديهم) قال : (**أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم ، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم**)

تفسير ابن كثير ص١٧٢٦

* (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) قال : (**ملائكته**)

تفسير ابن كثير ص

* (تجري بأعيننا) قال : (**أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا**)

تفسير ابن كثير ص١٧٩٠

* (فإذا قرأناه) قال : (**أي إذا تلاه عليك الملك عن الله جل وعلا**)

تفسير ابن كثير ص١٩٤٢

كذلك تأييده لتأويل الإمام أحمد لآية "وجاء ربك" جاء ثوابه حيث نقل عن الحافظ أبو بكر البيهقي تصحيح السند ولم يتعقَّبه

البداية والنهاية ١٠ / ٣٦١

ثامناً : براءة المسلمين من عقيدة القوم :

ص٧٥٥ زعم الناقد أن العوام لا يعرفون عقيدة الأشاعرة كونها – على حد زعمه – لا تُعرَف إلا من المدارس والمعاهد

قلت : لن أقول العوام كما صرَّح الناقد ، بل أقول إن المسلمين بمثقفيهم وجهالهم على عقيدة التنزيه إلا من افتتن بمذهب القوم في التشبيه

١– لا ضرورة أن يتعلّم المسلمون علم الكلام ، خاصة إن لم تكن هناك فرق مخالفة يحتاج الرد عليها استخدام علم الكلام ، وهذا ما كان عليه سلف الأمة من صحابة وتابعين ، حيث لم تظهر في عصرهم فرق وآراء مخالفة لأهل السنة والجماعة مثل المعتزلة ، فكان السلف يحذرون من استخدام علم الكلام لغياب الضرورة الداعية إلى ذلك ، ولكن بعد أن بدأت تظهر فرق تروّج لآراء تشكك في العقيدة الإسلامية بشكل عام وفي وجود الله وفي عقيدة أهل السنة والجماعة بشكل خاص ، رأى عدد من العلماء ضرورة استخدام علم الكلام لتفنيد هذه الآراء المشككة ، وعدم السكوت عنها مخافة أن يسبب عدم الرد على المخالفين فتنة للمسلمين فينجر بعض العوام وراء آراء المشككين ، ومن هنا كان تعلّم علم الكلام مطلوب فقط "ممن يغلب عليه الشك ليذهب شكه بما يقرؤه من حجج ، أو من يريد أن يدافع عن الإسلام بالحجج الباهرة أو يدل إنساناً ضلّ سبيله في هذه الحياة مغتراً ببعض الأقوال التي هي ضد الأديان ، فلا بد من إنسان يتفرغ للرد على المشككين الذين يشككون الناس في عقائدهم بالرد عليهم بالأدلة المبطلة لأقوالهم ، ويستعمل هذا العلم على قدر الحاجة. وأما المطلوب من عامة الناس فهو القيام على العقائد الحقة الصحيحة ومعرفتها على سبيل الإجمال ، أما التوسع في معرفة أدلة الاعتقاد فليس مطلوباً

الفرق العظيم بين التنزيه والتجسيم ص٦٢

قال الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) :

(الذي صرّح به أئمتنا أنه يجب على كل أحد وجوباً عينيّاً أن يعرف صحيح الاعتقاد من فاسده ، ولا يشترط فيه علمه بقوانين أهل الكلام لأن المدار على الاعتقاد الجازم ولو بالتقليد على الأصح. **وأما تعليم الحجج**

الكلامية والقيام بها للرد على المخالفين فهو فرض كفاية ، اللهم إلا إن وقعت حادثة وتوقف دفع المخالف فيها على تعلم ما يتعلق بها من علم الكلام أو آلاته فيجب عيناً على من تأهَّل لذلك تعلمه للرد على المخالفين)

الفتاوى الحديثية ص٢٧

٢- إن المسلمين لا يعرفون لا مكان عدمي ولا مكان وجودي ، وهم على عقيدة التنزيه وعدم الخوض في الذات الإلهية خلافاً لما خاض به القوم ، بل ونسبوا ذلك للسلف الصالح كونه أمر لم يكلفنا الله بالتفكر فيه ، وقد اشتهرت على ألسن المسلمين بمثقفيهم وجهالهم جملة (**سبحان اللي بغيِّر وما بيتغير**) مسلِّمين بها من غير تردُّد ، وهذا مخالف لعقيدة القوم إذ أن الله عندهم يتغيَّر بل وتحل الحوادث في ذاته. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال العلامة محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) "بعد ذكره عقيدة التنزيه" :

(... حتى أصبحت هذه العقيدة راسخة كل الرسوخ في نفوس العامة والخاصة على حد سواء ، بل العامة تجدهم أكثر تهيُّباً من الخوض في ذات الله وصفاته من بعض من يصف في صف الخاصة)

مقالات الكوثري ص٣١٣

٣- إن المسلمين لا يعرفون مكان الله ولا يأبهون لمثل هذه الأسئلة ولا يشغلون أنفسهم بمثل هذا ، وغالباً إذا ما سُئلوا فستكون إجابتهم في كل مكان ، وهم يقصدون بعلم الله ولكنهم لا يعرفون التعبير بطريقة كلامية ، وهم لا يتوهُّمون الجسمية في حق الله بل يفزعون منها وينزهون الله عنها ويفوِّضون معاني الصفات لقائلها. قال العلامة ابن جهبل (٧٣٣هـ) :

(ومن تقصَّى وفتَّش وبحث وجد أن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والصدر الأول لم يكن دأبهم غير الإمساك عن الخوض في هذه الأمور وترك ذكرها في المشاهد ، ولم يكن يدسُّونها إلى العوام ولا يتكلمون بها على المنابر ولا يوقعون في قلوب الناس منها هواجس كالحريق المشعل ، وهذا معلوم بالضرورة من سِيَرهم وعلى ذلك بنينا عقيدتنا وأسَّسنا نحلتنا ...)

طبقات الشافعية الكبرى ٩ / ٤٠

قال الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه (٤٠هـ) فيما يرويه عنه الإمام البخاري موقوفاً ١٢٧ (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) شارحاً :

(فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ... وضابط ذلك أن يكون الحديث يقوي البدعة ، وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يُخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب)

فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ٢٧٢

وقد حذَّر إمام دار الهجرة مالك بن أنس من التحدُّث بمثل هذه الأحاديث كحديث الصورة وغيرها

التمهيد لابن عبد البر ٧ / ١٥٠

سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٤

النوادر والزيادات ١٤ / ٥٥٣

الموافقات ٤ / ٥٤٩

البيان والتحصيل ١٨ / ٥٠٤

وأنكر الإمام مالك رواية أحاديث أهل البدع من التجسيم وغيره

الذخيرة ١٣ / ٢٣٤

٤- إن المسلمين يعلمون أن الإيمان ينعقد بأركانه لا بأن الله في السماء بذاته ، وأن دخول الإسلام ينعقد بالشهادتين لا بغيرهما (وهي إحدى روايات حديث الجارية كما قررنا ... فليراجع !)

٥- إن المسلمين لا يعرفون حديث الأطيط والأوعال والمسيس وقعود النبي مع الرب والحركة والحد لله عز وجل ، وإثبات صدر له وذراعين ، وإثبات الثقل والصورة التي صور عليها آدم ، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع ، وأنه إذا غضب ثقل على حملة العرش ، وأنه قادر على الاستقرار على ظهر بعوضة ، وأنه على كرسي من ذهب تحمله أربعة من الملائكة ، وأنه واضع رجليه على الكرسي ، وأن الكرسي قد عاد كالنعل في قدميه ، وأن رأس المنارة أقرب إليه من أسفلها ، وأنه تجلى منه مثل طرف الخنصر ، وأنه يهبط ثم يرتفع ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وأن جنة عدن مسكنه ، وأنه إذا أراد أن يخوِّف أحداً من عباده أبدى عن بعضه ، وأنه قرَّب داود عليه السلام حتى مسَّ بعضه وأخذ بقدمه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب يحمله أربعة من الملائكة

وسائر هذه المنكرات والاسرائيليات (والعياذ بالله من غضب الله ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين)

٦- إن المسلمين لا يعرفون تثليث التوحيد ولا تقسيمه ، وتستطيع أيها القارئ أن تصطاد أي مسلم من الشارع وتسأله ما الأمارة التي تعرف بها المسلم ؟! فسيجيبك من فوره "النطق بالشهادتين" ولن يخطر على باله أن يجيبك "اسأله أين الله ؟!" ... فكل المسلمين يعلمون أن النطق بالشهادتين كافٍ للدخول في الإسلام بخلاف معتقد القوم الذين يرون ذلك ليس كافياً ، بل إن الإمام مالك قال فيما يرويه عنه الإمام الشافعي :

(محال أن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ، ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" فما عصم به الدم والمال فهو حقيقة التوحيد)

سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٦

طبقات الشافعية الكبرى ٩ / ٤٠

٧- قال الإمام البخاري (٢٥٦هـ) :

(وقد يقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ، ولا يقال حسن القرآن ورديء القرآن ، وإنما نسب إلى العباد القراءة لا القرآن لأن القرآن كلام الرب جل ذكره والقراءة فعل العبد ، ولا يخفى معرفة هذا القدر إلا على من أعمى الله قلبه ولم يوفقه ولم يهده سبيل الرشاد ..... ففي قولك تلفظ به ، وتقرأ القرآن دليل بين أنه غير القراءة ، كما تقول قرأت بقراءة عاصم وقراءتك على قراءة عاصم ، لا أن لفظك وكلامك كلام عاصم بعينه ، ألا ترى أن عاصماً لو حلف ألا يقرأ اليوم ثم قرأت أنت على قراءته لم يحنث عاصم . وقال أحمد رحمه الله : لا يعجبني قراءة حمزة ، ولا يقال : لا يعجبني القرآن ...)

خلق أفعال العباد ص١٠٠ – ١٠٤

قلت : وهذا المعروف والمشهور بين المسلمين ... فهو يفرّقون بين التلاوة والمتلو بمعاملتهم

٨- ونعرج على التأويلات فالمسلمون يقومون بتأويل كثير من الصفات ، وتستطيع أيها القارئ أن تصطاد من الشارع أي مسلم مثقفاً كان أو مغفلاً وتسأله ما معنى جملة (أنت بعيني) فسيجيبك مباشرة يعني بالحفظ والرعاية والعناية ، وهذا تحريف للصفة عند القوم

وكذلك تأويل المسلمين جملة (ما بيطلع بإيدي) يعني ليس لي قدرة فيه

وحديثاً (المجرم بشار يقتل شعبه) يعني بجيشه وشبيحته لا بذاته ، فلم يقل أحدهم أن هذا التأويل هو نفي لصفة القتل عن المجرم بشار

ونماذج كثيرة من هذا

تاسعاً : بيان أن الأمة الإسلامية أشعرية وأن الجماعة هم أهل الحق :

أما أهل السنة الأشاعرة والماتريدية فلا يحتاج بيان قدرهم وعددهم إلى بيان ، وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل !!

كيف لا تكون الأمة الإسلامية أشعرية والسادة الأشاعرة هم الذين نشروا دين الله في بقاع العالم ؟!

فهذا أمر لا يجادَل فيه أصلاً وما إسهابي إلا لمزيد من الشرح والتوضيح وحسب إذ هو تحصيل حاصل

وقد ذكر سلطان العلماء العز بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٦٥

ونحو ذلك ذكر الإمام ابن عساكر

طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٧٣

ونقل الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) عن الإمام الحافظ أبي ذر الهروي أنه قال "في حق إمام الأشاعرة في عصره القاضي أبي بكر الباقلاني" :

(كل بلد دخلته من بلاد خراسان وغيرها لا يشار فيها إلى أحد من أهل السنة إلا من كان على مذهبه وطريقته)

سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٥٨

قال الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) :

(فهذه عقيدتهم – أي المجسمة – ويرون أنهم المسلمون وأنهم أهل السنة ، ولو عُدوا عدداً لما بلغ علماؤهم – ولا عالم فيهم على الحقيقة – مبلغاً يعتبر ، ويكفرون غالب علماء الأمة ، ثم يعتزون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهو منهم بريء !)

طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ١٧

عاشراً : اعتراف القوم أنهم كانوا ولا زالوا قلَّة :

قال الشيخ عبد الله الغنيمان – هداه الله – :

(وقد انتسب إلى الأشعري أكثر العالم الإسلامي اليوم من أتباع المذاهب الأربعة)

شرح كتاب التوحيد ١ / ٢٥

قال الشيخ ربيع هادي المدخلي – غفر الله له – :

(وأصبحت عقيدة السلف غريبة ويعد أتباعها في العالم الإسلامي على الأصابع)

مقدمة كتاب الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ص٤٠

قلت : يقصد عقيدة التشبيه التي ينسبونها إلى السلف الصالح وهم برءاء منها ، وهذا اعتراف ضمني منه بأن العوام كانوا على عقيدة التنزيه عقيدة أهل الحق

قال الشيخ خالد الغامدي – هداه الله – "متحدثاً عن سبب تأليفه كتابه" :

(الأول : انتشار هذا المذهب حتى عمّ أكثر بلاد المسلمين حتى لا تكاد ترى حنفياً إلا ماتريدياً ، ولا شافعياً ومالكياً إلا أشعرياً ، وأصبح مذهب أهل السنة والسلف مقصوراً عند كثير من هؤلاء في الحنابلة ، وبل يرمي المذهب الحق بالتجسيم والحشوية لغربته وقلة أتباعه ولا حول ولا قوة إلا بالله)

نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية ص٧

قال الدكتور سفر الحوالي – هداه الله – "وهو يتحدث عن مذهب السادة الأشاعرة" :

(وليكن معلوماً أنَّ هذا الرد الموعود ليس مقصوداً به الصابوني ولا غيره من الأشخاص فالمسألة أكبر من ذلك وأخطر ، إنها مسألة مذهبٍ بدعيٍّ له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي حيث تمتلئ به الكثير من

كتب التفسير وشروح الحديث وكتب اللغة والبلاغة والأصول فضلاً عن كتب العقائد والفكر ، كما أن له جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال)

التعليقات المفيدة على رسالة منهج الأشاعرة في العقيدة ص٤٧

قلت : هذا الكلام اعتراف من الدكتور سفر بأن مذهب الأشاعرة والماتريدية هو مذهب جمهور علماء المسلمين ، فجلّ كتب التفسير والحديث والعقائد والأصول ، والبلاغة واللغة كتبها السادة الأشاعرة والسادة الماتريدية ، والجامعات العريقة تتبع هذا المذهب.

أونطرح كلَّ هذه الكتب ونترك هؤلاء العلماءَ ونتبع الدكتور سفر ومن نحى نحوه ؟!

وهل من المعقول أن تكون الأمة المرحومة على ضلال طوال قرون حتى يأتي في القرن الخامس عشر من يصحّح لها عقائدها ، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: " عليكم بالسواد الأعظم" ؟!

ونحن لا نعتقد العصمة للأشعرية ولا لغيرهم ، ولكننا نرى مذهبهم ومذهب الماتريدية أقوم المذاهب وأقربها إلى الحق

والخلاف بين مذهب الأشعري وأتباعه لم يمس أية مسألة جوهرية على حسب ما قرر وصوَّر ، وإنما هو خلاف في تفسير بعض الأصول وزيادة شرح على نفس نهجه ، والاشتغال بمسائل لم تعرض للإمام في حياته

مقدمة أ.حمود غرابة على كتاب اللمع للإمام الأشعري

خاتمة :

أسأل الله تعالى أن أكون قد نفعت الأخوة المخالفين قبل المؤيدين ، وما من كاتب إلا له هفوة سائلاً المولى عز وجل المغفرة وحسن الخاتمة والعتق من النيران ومثل ذلك لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، لا تنسوني من صالح دعائكم في ظهر الغيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين